Mngool.com

القبائل اليَمَنيّة في مصر

منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الأموى

(من ٢٠ إلى ١٣٢ هـ / ٦٤٠ - ٧٥٠ ميلادية)

تأليف

الدكتور / السيد طه أبو سديره
كلية الآداب بقنا / جامعة اسيوط

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الناشر
مكتبة الشعب بالفجالة - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمــــة

لعبت القبائل اليمنية دورا بارزاً فى مجال الفتح الاسلامى للديار المصرية ، فكانت عماد جيش عمرو الفاتح ، وقد استمر نزوح هذه القبائل سواء من بلاد الشام أو اليمن إلى مصر فى أعقاب الفتح ، فكان لها الدور الاكبر فى تخطيط الفسطاط حاضرة مصر الاسلامية التى سرعان ماأضحت قاعدة للفتوحات الاسلامية نحو افريقية وبلاد المغرب حيث خرجت منها الحملات العسكرية بقيادة الشخصيات اليمنية كمعاوية بن حديج التجيبى ، وشريك ابن سمى المرادى ، وزهير بن قيس البلوى وغيرهم من القواد الذين كان لهم السبق فى تحقيق النصر على جند الروم والبربر فى إفريقية والمغرب . كما حققوا النصر فى واقعة الصوارى البحرية على أسطول الروم فى البحر المتوسط .

وقد أفردت الفصل الأول لدراسة صور القبائل اليمنية الهام فى مجال الفتح الاسلامى لمصر ، والفتوحات الاسلامية الاخرى والحملات العسكرية التى قادوها فى سبيل اعلاء راية الاسلام وتحقيق النصر على الروم وتخليص شمال افريقيا من حكمهم البغيض .

كما تناولت تخطيط الفسطاط واشراف اليمنيين وسيطرتهم على منطقة الفضاء الواسع المجاور لحصن بابليون وتوزيعها بين كل من قبائل وبطون علك وغافق ويلى وهمدان وتجيب وغيرها من قبائل عرب الجنوب امثال

خولان وكنده ومراد وحمير ومذحج والمعافر حيث أخذت هذه القبائل تتوافد أرسالا إلى الفسطاط فى أعقاب الفتح الاسلامى ، كما أخذت قبائل قيس العدنانية فى النزوح إلى مصر بفضل تشجيع الحكام الامويين فى أوائل القرن الثانى الهجرى من أجل احداث التكافؤ العربى بين هؤلاء القحطانيين من عرب الجنوب والعدنانيين من عرب الشمال .

وافردت فى الفصل الثانى لدراسة موقف قبائل اليمن وشيوخها ازاء الاحداث السياسية التى وقعت فى حاضرة البلاد وماوقع من احداث فى مقر الخلافة سواء فى المدينة أو فى دمشق عاصمة الامويين . وقد اشتمل هذا الفصل على عدة عناصر رئيسية هامة تركزت حول احداث الفتنة الكبرى فى عهد الخليفة عثمان وهؤلاء الثوار من عرب اليمن وموقف اليمنيين من فتنة عبد الله بن الزبير والدوافع السياسية التى أدت إلى مبايعته وواقعة مرج راهط عام ٦٤ هـ واثرها فى انبعاث روح العصبية القبلية فى كل من بلاد الشام ومصر وظهور الخوارج كفئة مناوئة للحكم الاموى لاسيما من قبيلة تجيب اليمنية وأيضا بالنسبة لموقف اليمانية من خلافة مروان بن محمد ومعارضتهم لبيعته ووقوفهم فى وجه هؤلاء المرشحين من قبله لولاية مصر من أمثال حسان بن عتاهية وغيره وموقف قبيلة جذام ودعوتها لعرب اليمن من أجل خلع مروان ومساعدتهم للعباسيين فى سبيل التخلص نهائيا من حكم بنى أمية .

أما الفصل الثالث فقد تم تناول نظم الحكم فى مصر فى عصر الولاة حتى سقوط الخلافة الاموية وسيطرة العنصر اليمنى على معظم المناصب الادارية والقضائية وتوليهم لوظائف الولاه والقضاة وأصحاب الشرطة والاعوان وذلك فضلا عن توليهم يومئذ ولاية الثغور والسواحل المصرية .

وقد ألقيت الضوء فى الفصل الرابع والاخير على دور اليمنيين الحضارى

ومدى اهتمامهم بالجوانب الاقتصادية ومشاركتهم فى النواحى العلمية والأدبية وبخاصة فى مجال العلوم الاسلامية فى طور نشأتها كالحديث والقراءات والفقه وغير ذلك فى مجال الأدب والقصص ورواية الاخبار والمغازى ، كما أشرت إلى اسماء هؤلاء الصحابة والتابعين من الذين شاركوا فى فتح مصر ونزحوا إليها بعد ذلك ، وكان لهم نشاط ملحوظ فى عقد حلقات الدرس فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وغيره من مراكز العلم والثقافة ومما أدى إلى نشاط الحركة العلمية التى اصطبغت بالصبغة الاسلامية فى ذلك الوقت المبكر فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين .

والله اسأل أن أكون قد وفقت فى بحثى وفيما قصدت إليه بهذا الجهد العلمى المتواضع ، كما أرجو أن يكون هذا العمل اضافة جديدة على طريق البحث والمعرفة فى مجال الدراسات التاريخية والحضارية والله ولى التوفيق ..

سوهاج فى ذى القعدة ١٤٠٨ هـ

السيد طه أبو سديره

الفصـــل الأول

دور القبائل اليمنية فى فتح مصر وتخطيط الفسطاط

١ – عماد جيش عمرو الفاتح .

٢ – دور اليمنيين فى تخطيط الفسطاط .

٣ – هجرة القبائل اليمنية إلى مصر .

١ - عماد جيش عمرو الفاتح

استولى عمر بن العاص على بيت المقدس ، بعد أن شدد الحصار عليها ، وفر قائدها أرطبون إلى مصر ، ورأى بطريقها صفر نيوس أن المقاومة لا تجدى ، وعرض على العرب أن يأتى عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ، حيث يقرر بنفسه شروط تسليمها . فخرج عمر من المدينة والتقى بقواده فى الجابية بالقرب من دمشق . ثم سار إلى بيت المقدس وتسلمها سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م[١] .

ولعل عمرا أدرك الضرورة الحربية التى تقضى على العرب بعد أن تم لهم فتح بلاد الشام أن يولوا وجوههم شطر مصر ، فاقترح على عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أن يسيره إلي مصر ، يقول بتلر[٢] ولعل عمرا افضى إلى عمر برأيه فى فتح مصر منذ كانا فى بيت المقدس ، ولكن الخليفة رأى أن وقت ذلك الفتح لم يحن بعد ، فلما ظهر العرب ، وانتهت الحرب أو كادت عاد عمرو إلى عرض رأيه .

كان الجيش الاسلامى فى ذلك الوقت مشغولا بمحاربة الروم فى بلاد الشام ، فرأى الخليفة أنه ليس من الحكمة توزيع قواته بشكل لا يحقق الهدف المنشود . ولم يمض على ذلك ثلاث سنوات ، حتى أعاد القائد عمرو على

(١) بتلر : فتح العرب لمصر ،ص ١٧٢ ، جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية والاسلامية ، ص ٤٩ .

(٢) نفس المرجع ، والصفحة .

عمر بن الخطاب اقتراحه ، يذكر ابن عبد الحكم[1] أنه حين قدم عمر الجابية خلابه عمرو بن العاص ، فاستأذنه فى المسير إلى مصر ، وكان عمرو قد دخل فى الجاهلية ، وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها ، حيث كان يختلف كما

يقول الكندى[2] : « بتجارته إلى مصر وهى الأدم والعطر » .

وتحاول بعض الروايات العربية أن تجعل فكرة غزو مصر آتية من عمرو ابن العاص وحده ، وأنه أخذ على عاتقه السير إلى مصر على الرغم من عدم موافقة الخليفة على ذلك ، وأنه أرسل إليه كتابا يأمره بالرجوع إلا إذا كان دخل فى أرض مصر ، ولعل التردد الذى ينسبه الرواية العربية التى أوردها ابن عبد الحكم وغيره إلى عمر ، قد يكون بسبب تخوفه على سلامة المسلمين[3] ، ولكن الواقع يقتضى القول بأن عمرا لم يكن ليسير نحو مصر إلا بعد أن عدل عمر عن رأيه ، وهناك نص قاطع أورده ابن اسحق ، يأمر فيه الخليفة عمرو بن العاص بالتوجه إلى مصر بمجرد قراءة كتابه ، مما يدل على أن خطة الفتح كانت تسير وفق خطة الخلافة نفسها[4] .

سار عمرو بن العاص من قيسارية بفلسطين إلى مصر على رأس جيش

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٧٦

(٢) الولاة والقضاة ، ص ٧ .

(٣) فتوح مصر والمغرب ، ص ٨١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .

(٤) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ص ٢١٥ .

كبير تبلغ عدته آربعة آلاف مقاتل[1] ، كلهم من قبيلة عك اليمنية[2] ، وأن كان المؤرخ الكندى يقول أن ثلث الناس كانوا من غافق[3] ، وليس هناك خلاف بين الروايتين ، فغافق بطن من عك ، وعك من قبيلة الأزد اليمنية[4] .

ولم يكد عمرو يصل إلى العريش فى ذى الحجة سنة ١٨ هـ . إلا ، وكانت قد نفرت إليه كما يذكر ابن عبد الحكم[5] – قبائل من لخم وراشدة وتوطن مثل هذه القبائل اليمانية قبل الاسلام فى هذا الموضع ، قد أدى إلى سهولة فتح هذه المدينة ، وذلك على الرغم من وجود تحصينات لها ، وكانت أسوارها لا تزال منها باقية ماثلة حتى القرن الثالث عشر ، كما أشار بتلر فى مؤلفه المعروف[6] .

وقبل المضى فى الحديث عن خطوات الفتح الاسلامى للديار المصرية يجدر بنا الاجابة على سؤال هام يطرح نفسه فى هذا المقام هو : كيف نفسر

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٨١ .

(٢) كانت عك تقطن بلاد تهامة باليمن ، حيث تمتد مساكنهم شمالا حتى إقليم جدة بالحجاز ، وقد اشترك العكيون فى مساكنهم مع قبائل أخرى كالخولائيين ، وأن كانوا ظلوا فى مخلافهم لا يشترك معهم سوى الاشعريين .

(٣) الولاة والقضاء ، ص ٨ .

(٤) ابن حزم : جمرة انساب العرب ، ص ٣٧٥ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الامصار ، ج ٤ ، ص ٤ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٨٥ .

(٦) فتح العرب لمصر ، ص ١٧٥ .

١١

حشد سائر جيش عمرو من قبيلة عك ؟ أو من هؤلاء اليمانية[1]

والواقع أن اليمنية كانت موجودة فى بلاد الشام قبل ظهور الدعوة الاسلامية ، فمن المعروف لدى النسابة العرب أن العديد من الهجرات العربية من جنوب الجزيرة قد نزحت نحو الشمال حتى وردت أرض الشام ، واستقرت فيه ، وعرفوا أيضا بقحطان على اسم قحطان أبو اليمن كلها كما يقول ابن هشام[2] ، وان غلب عليهم اسم اليمنية أو اليمن أو اليمانية فى المصادر العربية .

وكان عمرو وقت التفكير أو الشروع فى غِزو مصر على ربع من أرباع فلسطين كما يقول الكندى ، أى أنه كان الحاكم من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على هذا الجزء من بلاد الشام[3] .

وحين تحدث ابن هشام عن اصل العرب أشار إلى أن العرب كلها من ولد اسماعيل وقحطان ، وأن عك صارت فى دار اليمن بسبب زواجه فى الاشعريين واقامته بين ظهرانيهم ، وذكر أن الاشعريين يتصل نسبهم إلى يعرب بن قحطان . وقد افتخر الشاعر العربى قبل الأسلام بعك حيث قال :

وعك بن عدنان الذين تلقبوا .... بغسان حتى طُردوا كل مطرد[4]

---

(١) يقال يمنية ، وقوم يمانية ، وأيمن الرجل ويمن ويامن إذا أتى اليمن ، كذلك إذا أخذ فى مسيره يمينا . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٤٧ .

(٢) السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ١٢ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٩٢ .

(٣) الولاة والقضاء ، ص ٧ — ٨ .

(٤) السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ٨ — ٩ .

ويبدو أن هذه القبيلة اليمنية قد خرجت من بلاد اليمن بعد انهيار سد مأرب الشهير ، حيث نزحت الأزد ، يقول ابن هشام : « وقالت الأزد : لا نتخلف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان ، فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سجالا »[1] .

ومهما اختلفت آراء النسابة والمؤرخين حول عماد جيش عمرو وهل كان جميعه من عك أم كان ثلثه من غافق[2] وحول عدده الذى كان يتراوح بين ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وبين أربعة آلاف مقاتل ، فإنه لا مجال هنا للحديث عن دحض النظرية التى تقول بتقسيم العرب إلى أصول قحطانية وعدنانية[3] ، فقد أجمعت المصادر التاريخية على ذكر أسماء بعض القبائل اليمنية فى هذا الجيش الفاتح بقيادة عمرو ، وعلى أن معظم هؤلاء الجند كانوا من أصل يمنى .

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ١٢ .

(٢) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٨ .

(٣) يميل فريق من العلماء والمؤرخين المحدثين إلى دحض نظرية تقسيم العرب إلى قحطانية وعدنانية ، ويعتمدون فى ذلك على عدة اتجاهات هامة منها : ١ - أن هذه التقسيمات لا ترجع إلى أيام العرب فى العصر الجاهلى وإنما إلى العصر الأموى .

٢ - أن القرآن الكريم لم يفرق بين العرب القحطانية والعدنانية وإنما رفع العرب جميعا إلى اب واحد ، هو إبراهيم الخليل عليه السلام .

٣ - هناك من يعتبر قحطان نفسه من ولد اسماعيل عليه السلام ، فبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد اسماعيل وأن اسماعيل ابو العرب كلها . ابن هشام : المصدر السابق والجزء ص ٨ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ، ص ١٥٦ - ١٦١ .

ويذكر ابن عبد الحكم[1] أنه ممن شارك فى جيش عمرو الفاتح الحضارمة فكان دخولهم مع عمرو بن العاص الفسطاط ، ومن اسمائهم التى أوردها عبد الله بن كليب ، ومالك بن عمر بن الأجدع ، والملامس بن جذيمة ابن سريع ، ونمر بن زرعة ، والاعين بن مالك بن سريع ، وأبو العالية أحد مواليهم آنذاك .

كما يذكر ابن دقماق : أنه كان مع جيش العرب ممن أسلم من الروم ومن الفرس ، فكانوا ممن سار مع عمرو من الشام إلى مصر ، فهو يقول عن الفرس « وهم قوم من بقايا جند باذان عامل كسرى من اليمن قبل الاسلام ، أسلموا بالشام ورغبوا فى الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص ، مما يدل على أنهم عاشوا باليمن فترة ، ثم نزحوا إلى بلاد الشام وكان خروجهم وانضمامهم إلى صفوف الجيش بغية الجهاد فى سبيل الله وفتح الامصار . أما الروم فيبدو أنها كانت من أصول يمنية اعتنقت النصرانية قبل الاسلام فى بلاد الشام ، يؤيد ذلك قول ابن دقماق[2] عنها « وبنى سلامان ويشكر ومن لخم وهذيل بن مدركه وبنى الأزرق وهم من الروم » وهكذا انضم هؤلاء إلى جيش عمرو ، لكنهم فى أعداد قليلة لم تكن قادرة على أن تختط لنفسها بالفسطاط ، بمفردها كسائر القبائل اليمنية ، كما سنرى فى تخطيط مدينة الفسطاط .

ومهما يكن فإن جيش عمرو سار من العريش إلى الفرما ، وكانت مدينة قديمة قوية الحصون ، وكان لها شأن كبير بالنسبة لفتح مصر ، فهى مفتاحها من جهة الشرق ، وتملك ناصية البحر ، وقد باشر عمر حصارها واستطاع

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

(٢) الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، ص ٤ – ٥ .

أن يفتحها فى مدى شهر[1] ، بعد أن استمرت الحرب متقطعة مع الروم ، وذكر بتلر أن حصارها استمر لمدة شهرين ، وكان أول من اقتحم المدينة أحد اليمنيين ويدعى سميعع بن علة السبىء .

ويبدو أن جند العرب لم يكملوا فتح الفرما ، لكنهم لم يلبثوا أن واصلوا السير جنوبا ، ويستدل على ذلك أنه حينما تمكن عمرو من الانتصار على الروم فى عين شمس ، انفذ إلى الفرما أبرهة بن الصباح الحميرى يقول المقريزى[2] « فصالحه أهلها على خمسمائة دينار هرقلية وأربعمائة ناقة وألفا رأس من الغنم » كما يشهد بذلك أن مقاومة أهل المدينة من القبط كانت موضع اختلاف بين المؤرخين القدامى ، ففريق منهم يرى أن القبط قدموا للمسلمين مساعدة كبيرة[3] وذلك بسبب أنهم كانوا يعملون على التخلص من حكم الروم وطغيانهم ، بينما يذهب المؤرخ بتلر وغيره إلى أن القبط لم يساعدوا المسلمين إلا بعد أن تم فتحهم لإقليم الفيوم .

وعلى أية حال فإن شجاعة الجند فى جيش عمرو وبسالتهم تظهر فى جلاء ، كما يصف ابن عبد الحكم[4] وغيره شدة قتالهم للروم ، ولا مجال لاظهار مساعدة القبط للمسلمين أو مساندتهم للحاميات الرومية الموجودة بالمدن المصرية حينذاك ، فالواقع أن الجيش العربى بقيادة عمرو قاتل الروم

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٨٥ .
(٢) الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٩٦ .
(٣) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ١٨٦ .
(٤) فتوح مصر والمغرب ، ص ٨٥ ، الولاة والقضاة ، ص ٨ .

قتالا شديدا أيضا فى بلبيس ، ولكنه هزمهم ثم مضى حتى بلغ أم دنين[١] يقول الكندى[٢] : « فقاتلوه بها قتالا شديدا ، وكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده » .

حصـــار بابليـــون :

كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب منه المدد من الجند ، فأمده بأربعة آلاف على رأسهم أربعة من مشاهير القواد ، وصف الواحد منهم بأنه كان يعادل ألف جندى ، وهؤلاء هم الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، والمقداد بن عمرو الأسود ، ومسلمة بن مخلد[٣] .

وقد ذكر السيوطى[٤] نقلا عن القضاعى أن المدد كان اثنى عشر الفا ، وكذلك يذكر مثل هذا القول بتلر ، ويعتمد فى ذلك على البلاذرى وياقوت ، والمقريزى فى مؤلفاتهم التاريخية .

والواقع أن الروايات المختلفة هذه يمكن التوفيق بينها على نحو ماذكر ابن الحكم ونقل عنه السيوطى ، فقد أبطأ الجيش الاسلامى فى التغلب على

---

(١) تقع أم دنين إلى الشمال من حصن بابليون ، وموقعها اليوم فى قلب القاهرة ، وعلى وجه التحديد حديقة الازبكية . بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٩١ .

(٢) الولاه ، ص ٨ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٨٧ ، ٩١ ، Lane — Poole: A History of Egypt in the Middle Ages, P.15.

(٤) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٠٧ .

جيش الروم فى أم دنين ولعلها اسم عربى لمدينة منف القديمة ، حيث قاتلهم الروم فيها بشدة ، ثم كان طلب عمرو ، فأمده بأربعة آلاف رجل ، وعندئذ أصبح عدد الجيش العربى تمامه ثمانية آلاف ، كما يقول السيوطى : فسار عمرو بمن معه حتى نزل الحصن ، فحصارهم بالقصر الذى يقال له بابليون هذا وقاتلهم قتالا شديدا يصحيهم ويمسيهم .

ويستطرد السيوطى قائلا : فلما أبطأ عليه الفتح – وهو هنا ينقل عن ابن عبد الحكم أيضاً[1] ، كتب إلى عمرو بن الخطاب يستمده ويعلمه ذلك ، فأمده عمرا بأربعة آلاف رجل على ألف رجل منهم مقام الألف ، وهكذا أصبح عدد الجيش الاسلامى عندما ضرب عمر الحصار على حصن بابليون[2] .

كانت العناصر العربية التى تم حشدها فى كل من المددين الأول والثانى للمسير نحو مصر فى واقع الأمر من قبائل اليمن التى استقرت بالشام قبل الفتوحات الاسلامية ، فقد ذكر ابن عبد الحكم نقلا عن أحد رواته : « أنه سمع رجلا من قبيلة لخم اليمنية جاء إلى عمرو بن العاص ، وطلب أن يندب معه بعض الفرسان ، فأخرج معه خمسمائة فارس فساروا من وراء الحصن ، وكان الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له أبوابا وعملوا على تحصينها بأدوات الحرب وآلات العسكر وحين خرروج اللخمى قائد هذه

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٩١ ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٠٧ .
(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٩١ .

القوة من الفرسان قاتلهم قتالا شديداً حتى هزمهم حتى دخلوا الحصن[1] .

وقد جرى ذلك بعد أن وصل إلى مصر المدد الأول ، كما حارب العرب المسلمون حامية عين شمس ، وكانت مدينة قديمة متصلة بمصر القديمة فى موضع الفسطاط قبل زمن الفتح ، وتختلف الروايات عن موقعة عين شمس ، فبينما يذهب فريق إلى أن معظم حاميتها كانوا من القبط ومن أهل النوبة ، وأنهم هم الذين قاتلوا العرب حتى أشرفوا على الهلكة ، ولكنهم سلموا أخيرا[2] .

والواقع أن ابن عبد الحكم والسيوطى يغفل كل منهما ذكر هذه الواقعة بينما نرى بتلر[3] يشير إلى ماوقع من قتال بين عمرو وبين تيودور قائد جيش الروم فى هذه الواقعة وأن القائد العربى استطاع هزيمة تلك الجيوش التى بلغت عشرون ألفا من الجند آنذاك ، وكانت نتيجة ذلك هى الانسحاب إلى حصن بابليون .

ويمكن القول أن الجيش العربى بعناصره اليمنية هو الذى حارب جيش الروم بعد وصول المدد الأول له فى كل من أم دنين ، أو قرية تندونياس كما كان يطلق عليه المسلمون فى ذلك الوقت ، وعين شمس وهى تلك المدينة القديمة التى اشرنا إليها والتى كانت حاميتها من القبط وأهل النوب كما تذكر احدى الروايات التاريخية ، أو من جند الروم فى بعض الروايات الاخرى .

---

(١) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٠٨ ، بتلر : فتح العرب لمصر .

(٢) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ص ٢١٦٥ - ٢١٧ ، ط ١ ، ١٩٦٠ ، بتلر : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٣) فتح العرب لمصر ، ص ١٩٠ .

أما بعد وصول المدد الثانى ، واحكام الحصار على حصن بابليون وجيش الروم ، فإن قبائل اليمن كان لها الفضل الاكبر فى محاصرته واقتحامه ، فقد وضع عليه عمرو المنجنيق ، وهى من آلات الحصار الثقيلة المعروفة والتى كانت تستخدم فى دك الحصون وفتح الثغرات بها .

كان عمرو القائد يقف تحت راية بلى وهى من قبائل اليمن التى تنسب إلى الأزد ، ومن المرجح أن جندها ممن جاءوا إلى مصر ضمن المدد الثانى ، ويعلل ابن عبد الحكم وقوف القائد عمرو تحت راية بلى بسبب قرابته لهم لأن أم العاص كانت منهم .

كما كانت كل من همدان والصدف وهما قبيلتان يمنيتان من القبائل العربية التى ضربت الحصار حول الحصن المنيع ، ويعبر عن ذلك الشاعر العربى[1] :

يوم لهمدان ويوم للصدق   والمنجنيق فى بلى تختلف

وعمرو يرفل ارفال الشيخ الخرف

كانت قبيلة بلى احدى بطون قضاعة – التى استقرت بالشام ، من بين القبائل الهامة التى شارك أفرادها فى جيش عمرو ، فقد ذكر السيوطى[2] نقلا عن ابن الربيع الجيزى أنه دخل مصر مع عمرو ابن العاص من بلى ممن بايع تحت الشجرة مائة رجل ، والمقلل يقول سبعون رجلا .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٩٣ .

(٢) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٥٤ .

ويبدو أن قبائل همدان وبلى والصدف قد وفدت تباعا ضمن امدادات عمر بن الخطاب إلى عمرو ، حين طلب المدد من الجند ، بعد أن ابطأ فى فتح الحصن واشتد الأمر عليه ، ويستدل على ذلك من قول المقريزى[1] .... فوصلوا إليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا ، وحتى بلغ جيش عمرو اثنا عشر ألفا .

كما شاركت قبيلة تجيب ، وهى إحدى بطون السكون اليمنية فى محاصرة الحصن فكانت إحدى الفرق العسكرية التى كان لها الفضل فى اقتحامه ، مما دعا شاعرها إلى الفخر بذلك فهو يقول :

وبابليونُ قد سعدنا بفتحها .·. وحزنا لعمر الله فيئا ومغنما[2]

كانت مسألة اقتحام حصن بابليون موضوع منافسة بين القواد كالزبير ابن العوام وغيره من أمثال شرحبيل بن حجية المرادى ، فقد نصب شرحبيل سلما آخر غير تلك التى نصبها القائذ الزبير ، الذى ضايقه فعل ذلك من المرادى ، فوجه الاساءة إليه ، مما دعا عمرو بن العاص قائد الجيش الفاتح لأن يقتص منه ، يقول الزبير : « أمن نغفه[3] من نغف اليمن استقيد ياابن النابغة »[4] .

---

(١) الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٤٢ طبعة دار التحرير .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٣ ؛ البرى ، القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ص ١٤٥ .

(٣) النغف : هو دود أنف الأبل والغنم ومنه قالوا للمستحقر : يانغفة .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٩٤ – ٩٥ .

وهكذا كان يرى الزبير بن العوام بأنه أحق بفعل ما يراه من أجل اقتحام الحصن دون غيره من القادة اليمنيين .

ومن المعروف أن الزبير هو صاحب فكرة تسلق الحصن بعد أن طال أمد الاستيلاء عليه[1] ، ويذكر أحد الرواة أن الذين أجريت عليه الارزاق فى الحصن من المسلمين أثنا عشر الف وثلثمائه ، بخلاف من أصيب منهم فى الحصار بالقتل والموت ، وأن الذين قتلوا أثناء الحصار من المسلمين دفنوا فى أصل الحصن يعنى فى موضعهم الذى استشهدوا فيه[2] والحقيقة أن الباحث فى المصادر التاريخية يدرك تماما الدور الهام الذى قامت به القبائل اليمنية وجندها المسلمين ، وذلك فى قتال الروم والانتصار عليهم منذ فتح العريش وحصار الفرما ، وحتى الاستيلاء على حصن بابليون أو ماأطلقوا عليه بعد الفتح بقصر الشمع[3] .

وقد تمكن جيش عمرو من فتح عدة بلاد مثل نقيوس وكان بها حصن منيع ، فعبر النهر إليها حتى إذا فتحها عاد إلى المغرب وواصل السير نحو الاسكندرية[4] .

وكما يذكر ابن عبد الحكم أنه حين خرج عمرو منجها إلى الاسكندرية فإنه لم يلق منهم أحدا نرنوط أو الطرانة كما سماها العرب – فكان القتال بينهم

---

(١) يقول بتلر : فلما ابطأ الفتح قيل أن الزبير وهب نفسه لله وأقبل مع جماعة يقودهم لفتح الحصن (بعد أن) أعد لذلك الامر عدته ، فتح العرب لمصر ، ص ٢٣٦ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٥١ .

(٣) نفس المصدر والجزء ، ص ٥٣٧ .

(٤) الكندى : الولاة ، ص ٩ .

وبين الروم يسيرا وسرعان ماهزموا تلك الطائفة من الروم ، وكان عمرو قد أرسل شريك بن سمى[1] ليتبع العدو المنهزم وقد وقع القتال على بعد عدة أميال إلى الشمال من نرنوط وكان شريك هو قائد هذه المعركة مع الروم وقد أطلق العرب على موضع القتال كوم شريك[2] نسبة إليه .

أما فتح الاسكندرية فقد سار إليها عمرو بجيشه فى ربيع الأول سنة ٢٠ هـ ، بعد أن بعث إليها عوف بن مالك لعله من الأزد اليمنية[3] ، وكان اليمنيون بطبيعة الحال هم جند الحصار لحصن الاسكندرية[4] ، يستدل على ذلك من رواية عبد العزيز مروان ووصف أحد بطاركة الروم له ممن أدرك أعمال الفتح لهؤلاء العرب المقاتلين ، وشدة اعجاب الوالى من وصفه لهم ولأحد فرسانهم ، قائلا له[5] : « انه ليصف لنا صفة رجل يمانى » .

---

(١) هو شريك بن سمى من غطيف وهم بطن من مراد وكان لهم مخلاف باسمهم من مخاليف اليمن ، نزل أكثرهم بمصر واختطوا هم ووعلان فى مراد . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٠٧ .

(٢) وهو معروف إلى اليوم كوم شريك ، قرية من قرى مركز كوم حمادة ، محافظة البحيرة . نفس المصدر السابق ، حاشية ص ١٠٧ .

(٣) الكندى ، الولاة ، ص ٣٠٢ ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٨٠ .

(٤) الحصن الذى أقامه الفرس من الجهة الشرقية للاسكندرية وذلك عند احتلالهم لها قبيل الفتح الاسلامى ، بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٦٧ .

(٥) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

كما تتجلى لنا شجاعة مهرة احدى بطون قضاعة اليمنية ، حين ضرب المسلمين الحصار على الثغر ، وقتل أحد رجالاتهم ، وأسرع جند الحامية إلى الاختفاء داخل الحصن ، ويروى لنا ابن عبد الحكم تفاصيل الواقعة ، نقلا عن المحدث الشهير يزيد بن أبى حبيب ، فيقول أنه حين خرج فريق الروم من باب حصن الاسكندرية ، حملوا على الناس فقتلوا رجلا من مهرة ، فاجتزوا رأسه ، فجعل المهريون ينغضبون ويقولون ، لا ندفنه ابدا إلا برأسه .

عندئذ يشير عليهم عمرو بضرورة استئناف القتال مع جند الروم ، فعاودوا القتال ، ويذكر ابن عبد الحكم صاحب الرواية أنهم سرعان ما قتلوا رجل من بطارقتهم فاجتزوا رأسه ، وقذفوا بها إليهم ، فرمت لهم الروم برأس المهرى إليهم ، يقول عمرو ساعتها : دونكم الآن ، فادفنوا صاحبكم .

والحقيقة أن بنى مهرة كانوا من خير الجند التى أشاد القائد عمرو بفضلهم فى الجهاد وشجاعتهم فى القتال ، فهو يمدح جندهم قائلا : « أما مهرة فقوم يقتلون ولا يقتلون ، وأما غافق فقوم يقتلون وأما بلى فأكثرها رجلا صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا » . وهكذا يشير قائد الجيش إلى شجاعة هذه القبائل اليمنية عند فتح الاسكندرية[1] ، فهى خير قبائل العرب فى القتال والحرب ولا غرو فهى عماد جيشه الفاتح .

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١١٢ - ١١٣ .

وقد طالت مدة الحصار ، وقيل أن حصارها استمر ثلاثة أشهر[1] ، وقيل أيضا أن عمرا ضرب الحصار على الاسكندرية مدة أربع عشرة شهرا منها تسعة أشهر بعد موت هرقل عام ٦٤١ م ، وخمسة قبل ذلك ، وأن فتحها تم فى أول المحرم سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م[2] .

فتوح العرب فى الدلتا والصعيد :

طال حصار العرب للاسكندرية بسبب مناعتها حتى بلغ أربعة عشر شهرا – كما ذكرنا – واضطر عمرو أن يبقى جنوده أمامها ، وأن يأخذ معه سرية ويهاجم بعض الجهات بمصر السفلى ، بل وبعض بلدان الصعيد . وقد ذكر بتلر أن عمرو بن العاص أثناء حصار الاسكندرية سار على رأس فرقة من جيشه نحو الدلتا ليشعرها بوجوده ومر بعدة بلاد منها . بالبحيرة الكريون ودمنهور[3] ، وفى القرية سخا[4] وطوخ مزيد ، وفى الشرقية دمسيس

(١) الكندى ، الولاة ، ص ٩ ، Lane — Poole: History of Egypt in the Middle Ages, P.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١١٧ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(٣) ذكر ابن عبد الحكم : أن عبد الله بن عمرو كان على مقدمة الجيش لفتح الكريون ، وكان حامل اللواء وردان مولى عمرو ، فأصابت عبد الله جراحات كثيرة ، وقد استمر القتال بها بضعة عشر يوما ، لكنهم لم يقدروا على فتحها . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٠٨ – ١٠٩ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٢٤ .

(٤) تقع سخا إلى شمال مدنية طنطا الحالية على نحو اثنين وعشرين ميلا منها ، وقد ظلت قصبة الاقليم وكانت موضعا حصينا . بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٥٩ .

الواقعة على شاطىء فرع دمياط الشرقى . ويقول بتلر[1] أن مصر السفلى انقسمت إلى حزبين ، حزب يرى مساعدة الروم ومحاربة العرب المسلمين وحزب يريد أن يتفق مع العرب ويمد لهم يد العون والمساعدة ، ويبدو من قول بتلر أن العرب كانوا ينتظرون حتى يشتبك المصريون الأقباط مع جند الروم لأن هؤلاء لم يكن لهم من هم سوى قتالهم ونهبهم أو يحرقوا البلاد فى حين كان العرب ينظرون إلى كل منهم نظرة الأزدراء ، ولا يأمنون لأيهما ولا يتعاهدون مع أحد منهما[2] . وهكذا كان العرب يفضلون الحذر والترقب حتى ينجلى الموقف بين هذه الفرق المتناحرة .

والواقع أن مقاومة المصريين للعرب الفاتحين تدل على أنهم كشعب حر لم يكونوا يريدون أن ينتقلوا إلى العرب بعد الروم كسلعة أو لا يعبرون فيه عن مقاومتهم[3] ، مما أدى إلى تعذر فتح هذه البلاد فى أسفل الأرض فترة من الوقت ، وأن غنم العرب كثيرا من الغنائم .

ونستطيع أن ندرك مقاومة المصريين ومساعدتهم للروم تارة ومواجهتهم للعرب الفاتحين كما وقع فى عين شمس ، تارة أخرى ، وذلك مما وقع فيه المؤرخون المسلمون من الاختلاف عند معالجتهم مسألة فتح مصر ، وهل

---

(١) فتح العرب لمصر ، ص ٢٤٩ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ .

كان بصلح أو عنوة أو حتى هل كان للمصريين عهد[1] . ويدل هذا من جهة أخرى على مابذله جيش مصر الفاتح بقيادة عمرو ، الذى كان عماده من جند اليمن المقاتلين .

فتـح الفيـوم وبـلاد الصعيـد :

أرسل عمرو بعد أن تمكن من عقد صلح بابليون مع المقوقس عظيم القبط حينذاك ، فرقة من الفرسان إلى جهة الفيوم ويبدو من رواية ابن عبد الحكم أن العرب لم تكن لديهم الخبرة الكافية بمواقع البلاد ، وكان على رأس هذه الفرقة القائد ربيعة بن حبيش الصدفى (والصدف بطن من حضرموت اليمنية) وحين اقتربوا من سواد الفيوم هموا بالرجوع عنها ، ولكن ربيعة قال لهم : لا تعجلوا ، فلم يلبثوا أن ساروا قليلا حتى بلغوا الفيوم[2] ويتضح لنا من رواية الفتح عدم وقوع قتال بين العرب وبين حامية المدينـة ، بينما يسوق ابن عبد الحكم رواية أخرى تعنى أن الذى أسند إليه عمرو مهمة الفتح هو مالك بن ناعمه الصدفى صاحب الفرس الأشقر الذى كان مشهورا به آنذاك . وأنه رجع إلى عمرو فأخبره بذلك . والحقيقة أنه يمكن التوفيق بين الروايتين ، فلعل عمرا أراد أن يختبر الطريق المؤدى إلى الفيوم ، فأرسل صاحب الأشقر لمعرفة ذلك ، ثم عاد وحين أخبر القائد عمرو ، أرسل ربيعة على رأس فرق الفرسان لفتحها .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٢٣ - ١٢٥ ، ص ١٢٩ - ١٣١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

وقد بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث المرادى لفتح بلاد الصعيد ، فتمكن من فتح مدينة القيس ، التى عرفت باسمه فيما بعد ونسبت إليه[1] . ومن الجدير بالذكر أن قيسا هو من بنى كعب من قبيلة مراد القحطانية .

أما بلاد الصعيد الأوسط والأقصى فقد سار إليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وكان عدة جيشه نحو عشرين ألفا ، ويغلب على الظن أن غالبيته كان من أفراد القبائل اليمنية التى بدأت فى النزوح تباعا إلى مصر فى أعقاب فتح الاسكندرية .

فتح الاسكندرية الثانى :

كانت حامية الروم قد اضطرت للتسليم بدون قتال ، وتم عقد الصلح بين المقوقس وبين عمرو بن العاص ، وكان المقوقس قد عاد إلى مصر بعد موت هرقل وتولى زوجته مارتينا وقنسطانز العرش البيزنطى حيث أصبحت الظروف غير مواتية بالنسبة للروم وهكذا وافقت مارتينه وقنسطانز على عقد هذا الصلح الذى عرف بصلح الاسكندرية وكان بها يومئذ من الروم مائتى ألف مقاتل[2] .

كان عمرو بن العاص قد عاد إلى المدينة رافضا سياسة الخليفة الثالث عثمان بن عفان حين أصر على أن تكون ولاية مصر له جميعها بما فيها

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٨ ،
المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٩٧ تحقيق عبد المجيد عابدين .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٢١ .

الخراج[1] . ولكن بعد أن أبحر الاسطول البيزنطى فى طريقه إلى الاسكندرية لاستردادها من العرب بقيادة مانويل[2] قائد الاسطول لم ير عثمان بدا من صد هذا الخطر عن مصر ، والعمل على تكليف عمرو بن العاص بالعودة إلى مصر حتى يفرغ من قتال الروم ، وذلك لخبرته بالحرب وهيبة فى أنفس العدو[3] .

كانت القوة البحرية البيزنطية قد تمكنت من النزول بالثغر واسترداده من أيدى العرب المسلمين ، كما استطاعت أن تسير فى نواحى مصر السفلى حتى بلغت نقيوس[4] ، وعلى كل حال فإن عمرو لم يلبث أن قام بواجبه ولقى العدو عند نقيوس على رأس جيش بلغ خمسة عشر ألفا - واستطاع أن ينتصر عليه بعد قتال شديد ، وفر الروم إلى الاسكندرية وتحصنوا فيها[5] .

وقد أوضح ابن دقماق فى رواية أخرى له أنه حين بلغ عمرو أخبار الاسطول البيزنطى ونزوله الاسكندرية ، أرسل يعمر بن جماله الأزدى ليأتيه بالخبر[6] ، وأنه أسرع فى اللحاق به ومعه قبائل اللفيف ، بعد أن تعاقدت معه على الجهاد فى سبيل الله واسترداد المدينة من أعداء المسلمين .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٩ .

(٢) A. Fahmy: Muslim Sea — Power in the Eastern Mekiterranean, PP. 76-77.

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٢٥

(٤) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٤١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤١٢ .

(٦) الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، ص ٢ .

وقيل أن سبب تسميتهم باللفيف أنه لما رآهم عمرو بن حماله الأزدى استكثرهم وقال : تالله مارأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم وانكم كما قال الله سبحانه : فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا »[١] .

وقد كان عامة هؤلاء من الأزد من الحجر[٢] وغسان ودوس ، وشجاعة ، ومعهم نفر من جذام ولخم وكلها من قبائل اليمن[٣] .

وتتجلى شجاعة أهل اليمن فى مبارزتهم لجند الروم وأبطالهم ، وذلك عندما برز أحد هؤلاء من بين صفوفهم ، وكانت الروم قد جعلت جيشها صفوفا خلف صفوف ، وعليه السلاح المذهب ، وطلب المبارزة ، فلبى نداءه مجاهد عربى اسمه حومل من زبيد[٤] وهم بطن من قبيلة مذحج اليمنية ، فأخذ يصاول بطريق الروم ، ولما حاول العلج[٥] - كما يقول ابن عبد الحكم[٦] ، أن يرفع حومل من فوق سرجه فاخترط يعنى استل خنجرا كان

(١) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، ص ٢ - ٣ .

(٢) ومن الجدير بالذكر أن أول شاهد قبر عثر عليه بمصر كان لأحد هؤلاء الحجريين ، وقد توفى صاحبه فى جمادى الآخرة سنة ٣١ هـ .

Hawary & Rached: Steles Funeraires. Tome I, P.I

(٣) ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٢ - ٤ .

(٤) زبيد : كانت تعيش فى اليمن مع الاشعريين فى مخلاف واحد اسمه الخصيب ، وقد شهدت فتح مصر .

(٥) العلج : من كفار العجم والجمع علوج . الرازى : مختار الصحاح ، ص ٤٤٩ .

(٦) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٦ .

فى منطقته وطعنه فى عنقه طعنة قاتلة ، فخر صريعا ، وكبر المسلمون أثر ذلك وحملوا على الروم حملة صادقة ، فكانت هزيمتهم .

كما شارك فى فتح الاسكندرية الثانى قبيلة مهرة اليمنية يدلنا على ذلك مما أوضحه ابن عبد الحكم من وقوع نزاع بين مهرة وكنانة بسبب المغانم والاسلاب التى امكنهم الاستيلاء عليها آنذاك ، وإلى عدم حصول قشم بن قريح المهرى على نصيبه من هذه المغانم ، وقد أشار عليهم عندئذ عقبة بن عامر الجهنى بأنه متى كان قد بلغ الحلم فأسهموا له[1] .

اخضاع المدن المصرية الأخرى :

تتحدث المصادر عن انتفاضة أهل الاسكندرية على حكم العرب[2] وأنه فى أثناء ذلك ثارت عليهم أيضا بعض مدن مصر السفلى مثل بلهيب وخيس وسلطيس وقرطسا[3] ، ولكنهم بعد أن انتصروا على حملة مانويل القائد البيزنطى واستعادوا الاسكندرية من الجيش البيزنطى[4] عمل الجند العرب بقيادة عمرو على اخضاع هذه المدن بدورها وأسر أهلها ، وقد ارسلوا الأسرى إلى المدينة ولكن الخليفة عثمان رد هؤلاء الأسرى وأمر بحسن

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٩ .
(٢) فتح العرب لمصر ، ص ٢٣٩ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣١١ .
(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .
(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٣٩ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣١١ .

المعاملة ، وأن تعامل الاسكندرية معاملة البلاد التى فتحت صلحا . وهناك رواية أخرى أوردها ابن عبد الحكم تقول بأن ثورة هذه المدن المصرية بالدلتا واخضاع العرب لها كان فى عهد عمر بن الخطاب ، أى بعد حصار الاسكندرية الأول لا الثانى[1] .

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٢٣ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .

اليمنيون والفتوحات الاسلامية الأخرى

أ - فتح النوبة :

بعث عمرو بن العاص بعد الفتح ، وعلى وجه الخصوص بعد فتح الاسكندرية الأول وتوقيع معاهدة الصلح المعروفة عام ٢١ هـ ، إلى بلاد النوبة بجيش بلغ عدده عشرون ألفا بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح لغزو النوبة[١] . ويبدو أنه لم يحقق جيش عبد الله بن سعد النصر على هؤلاء الأساود كما أطلق عليهم جند العرب[٢] ، وعاد إلى الفسطاط بعد أن أمره عمرو بالرجوع إليها .

ويذكر ابن عبد الحكم أنه فى عام ٣١ هـ ، وفى خلافة عثمان ابن عفان ، خرج عبد الله بن سعد بن ابى سرح على رأس جيش فضرب الحصار على دنقلة الحصار الشديد ورماهم بالمنجنيق ، ولم تكن مملكة النوبة تعرف هذا النوع من السلاح الثقيل وقتئذ[٣] .

ونستطيع أن نعرف مدى البلاء والجهاد الذى بذله جند العرب اليمنيين من واقع الرواية التى أوردها ابن عبد الحكم فهو ينقل لنا عن ابن لهيعة أن القتال كان شديدا بين أهل النوب والعرب الفاتحين حتى أطلق على النوب

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٧٥ .

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٢ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

هؤلاء رماة الحدق[١] ، فقد أصيب كل من معاوية بن حديج النجيبى فى عينه ، وأبى شمر بن أبرهة ، وحيويل بنى ناشرة يومئذ وهم من القادة اليمنيين المعروفين آنذاك[٢] .

ولم يجد عبد الله بن سعد بُدا من توقيع الصلح والمهادنة مع أهل النوبة على شريطة ألا يغزوهم ، ولا يغزو النوبة المسلمين[٣] . وقد أورد المقريزى نص هذه الاتفاقية التى عرفت باتفاقية البقط[٤] وهى إتفاقية تجارية وحسن جوار كما يتضح من شروطها ، وكان من أهلها ، أربعمائة رأس فى كل سنة من الرقيق ، منها لفيىء المسلمين ثلاثمائة رأس وستون رأساً ، ولوالى البلد أى أسوان أربعون رأساً ، وذلك فى مقابل مايؤديه المسلمون من الحنطة

(١) ذكر أبو قبيل حيى بن هانى المعافرى عن شيخ من حمير قال شهدت النوبة مرتين فلم أر قوماً أحد فى حرب بينهم ، لقد رأيت أحدهم يقول للمسلم أين تحب أن اضع سهمى منك فربما عبث الفتى منى فقال فى مكان كذا فلا يخطئه . ونحن نريد أن نجعلها حملة واحدة بالسيوف فما قدرنا على معالجتهم ورمونا حتى ذهبت الأعين فعدت مائة وخمسين عينا مفقودة .
البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٨ .

(٢) قال الشاعر فى رماة الحدق من النوب :

لم ترعينى مثل يوم دمقلة ∴ والخيل تعدو بالدروع متعلة

ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٥ .

(٣) Lane —Poole: A History of Egypt in the Middle Ages, P.21.

(٤) البقط مايقبض من سبى النوبة فى كل عام وتحمل إلى مصر ضريبة عليهم .

والقمح والعدس والزيت من مواد الطعام إليهم[1] .

ب - غزو جزر البحر المتوسط :

شجع الولاه العرب على إقامة اليمانية بالاسكندرية فى أعقاب فتحها لاسيما أن ولاة البحر والمشرفين على هذا الثغر وغيره من السواحل المصرية كانوا من قبائل اليمن . وقد أبدى هؤلاء اهتمامهم بأمور الجهاد والمرابطة ، للحفاظ على ثغر الاسكندرية من غارات الروم ، وتحصين المدينة بالأربطة والنواطير ونحو ذلك[2] .

وقد أشارات المصادر الاسلامية إلى فضل الرباط بثغر الاسكندرية وغيره من الثغور[3] ، كما شجع ذلك المرابطين من أجل الخروج والقتال فى البحر ، فقد استطاع هؤلاء العرب المجاهدون هزيمة الروم فى موقعة ذى الصوارى

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٨ ، المسعودى :
مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢١ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

(٢) كان عمر بن الخطاب يبعث وفى كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالاسكندرية ، وكانت الولاة لا تغفلها وتكثف رابطتها ولا تأمن الروم عليها كما يقول ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٨ .

(٣) ذكر أحد الصدفيين اليمنيين أن من مات بالاسكندرية فهو حى يرزق ويجرى عليه أجر رباطه ما قامت الدنيا ، وله أجر شهيد حتى يحشر على ذلك . وذكر أحد الفقهاء أن الاسكندرية هى كنانة الله يحمل فيها خير سهامه . ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٤٩ .

البحرية عام ٣٤ هـ[١] وقد سميت بهذا الاسم لكثرة صوارى السفن التى التحمت فى القتال فيها[٢] .

وكانت السفن إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال ، ويذكر ابن عبد الحكم أن مركب عبد الله بن سعد وهو الأمير قد أوثقها العدو بسفنه ، فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله إليهم ، فقام علقمة ابن يزيد الغطيفى[٣] ، وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها ، فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسيسة ابنة حمزة بن يشرح ، وكانت مع عبد الله وقتئذ ، وكان الجند يغزون بنسائهم فى المراكب ، من رأيت أشد قتلا ؟ قالت علقمة صاحب السلسلة[٤] ، والحق أن هذه المعركة كانت أول المعارك البحرية التى حقق فيها العرب النصر على البيزنطيين .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٥ .

(٢) سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٩٤ .

(٣) ايرجع نسب علقمة إلى غطيف وهم بطن من قبيلة مراد اليمنية وكان لهم مخلاف باسمهم من مخاليف اليمن ، وتدل شواهد القبور التى عثر عليها بالفسطاط وغيرها على أنهم ظلوا يقيمون بمصر خلال القرنين الثانى والثالث .

Gaston Wiet: Repertoire chro, Volume, II, PP. I44, 237.

(٤) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٧ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣١٥ .

وفى عهد معاوية بن أبى سفيان أمير البحر الأول فى الاسلام أسندت ولاية البحر إلى علقمة بن جناده الأزدى من قبيلة الأزد اليمنية ، ولعله أحد القادة الذين قاموا بغزو جزر البحر المتوسط .

وحين تولى عقبة ولاية مصر فى سنة ٤٣ هـ من قبل أخيه معاوية يذكر كل من ابن عبد الحكم والكندى أنه عقد للقائد اليمنى علقمة بن يزيد الغطيفى على الاسكندرية[١] وبعث معه اثنى عشر ألفاً من الجند المرابطين .

ومما تجدر الاشارة إليه أن المرابطة بالاسكندرية كانت تتعاقب عليها كل ستة أشهر ، حيث خصص ربع الجيش العربى البالغ عدده فى أعقاب الفتح مباشرة نحو اثنى عشر ألفاً ، لأمر المرابطة كشاتية فى الثغر . أما الربع الآخر فقد جعله عمرو بن العاص لحماية الثغور والسواحل المصرية الأخرى كنتيس ودمياط وغيرها[٢] .

ويبدو أن أعمال الغزو فى البحر المتوسط من قبل العرب كانت تتطلب المزيد من الجند ، فقد شكى علقمة إلى الخليفة معاوية من قلة هؤلاء الجند المرابطين لمواجهة حرب الروم وغزو الجزر[٣] ،

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٩ ، الولاة ، ص ٣٦ .

(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

(٣) ليس من شك أن علقمة بن يزيد الغطيفى هو قائد آخر بخلاف علقمة بن جناده الازدى ، فالاول كما واضح من اسمه من غطيف وهى بطن من مراد أو مذحج القبيلة اليمنية المعروفة ، أما الثانى فهو من الأزد تلك القبيلة الكبيرة التى تفرع منها عدة بطون كغسان – الانصار – خزاعة – العقيك – الحجر – دوس – هناءه – علك وغانق وسلامان . البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٥ .

وكان رد معاوية عليه[1] ، إني قد أمددتك بعشرة آلاف من جند الشام ، وخمسة آلاف من أهل المدينة ، فكان فيها سبعة وعشرون الفا من الجند المسلمين .

وقد ذكرت المصادر التاريخية أن معاوية كان يغزو برا وبحرا ، فبعث جناده بن أبي امية الازدى إلى رودس احدى جزر البحر[2] المتوسط ، فغزاها ، وأنزلها طائفة من الجند المسلمين[3] . ونقل السيوطى عن ابن يونس المؤرخ المصرى أن جنادة شهد فتح مصر وولى البحر لمعاوية[4] .

---

(١) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٢) يصف البلاذرى جزيرة رودس بأنها كانت من أخصب الجزر وهى نحو ستين ميلا فيها الزيتون والكروم والثمار والمياه العذبة . فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ ، طبعة دار الكتب العلمية ، لبنان .

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٤) وقد ترجم السيوطى لكل من جناده ، علقمه ، فقال عن الأول أنه كان من الصحابة وشهد فتح مصر ، وروى عنه أهلها وولى البحر لمعاوية ، كما نقل عن ابن يونس وقيل أنه توفى سنة ٨٠ هـ . أما علقمه الازدى الحجرى فقد ذكر السيوطى نقلا عن الذهبى مؤرخ الاسلام أنه صحابى وشهد فتح مصر ، وقد ولى البحر لمعاوية أيضا وأنه توفى سنة ٥٩ هـ . ولم يذكر السيوطى شيئاً عن صلة النسب بينهما . حسن المحاضرة جـ ١ ، ص ١٨٧ ، ص ٢٢١ .

كما أشارت هذه المصادر إلى ولاية عقبة بن عامر الجهنى ، وأنه تولى إمارة مصر بعد عقبة بن أبى سفيان وذلك سنة ٤٤ هـ . وقد قام عقبة بغزو البحر فى سنة ٤٨ هـ ، يقول الكندى[١] وأرسل إلى عقبة فجعله على البحر وأمره أن يسير إلى رودس .

وكان الروم يعملون فى تلك الآونة على مهاجمة الاسطول العربى ، والسواحل المصرية ، فقد هاجم اسطولهم مدينة البرلس المصرية وتمكنوا من إنزال الجند بها وذلك فى عام ٥٣ هـ[٢] . وتذكر المصادر أيضاً أن جناده بن أمية فى نفس العام تمكن من غزو جزيرة كريت وتمكن من فتحها[٣] . كذلك يذكر البلاذرى أنه فى أيام معاوية غزيت جزيرة صقلية التى كانت تعد من أخصب الجزر[٤] .

ونذكر من هؤلاء القادة اليمنيين الذين تولوا غزو البحر بعد ذلك ، عابس بن سعيد المرادى ، فقد أوضح الكندى أن مسلمة ابن مخلد الانصارى قام بعزله من ولاية الشرطة وولاه البحر ، فغزا بأهل مصر حتى بلغ القسطنطينية عاصمة الروم[٥] وذلك فى أواخر أيام معاوية بن أبى سفيان .

ويذكر الكندى وغيره أن الاكدر بن حمام اللخمى ، وهو من قبيلة لخم

---

(١) الولاه ، ص ٣٨ ، تاريخ الطبرى ، جـ ٥ ، ص ٢٣١ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٥ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ .

Fahmy: Muslim Sea — Power in the Mediterranean, P. 94.

(٤) فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ .

(٥) الولاة ، ص ٣٨ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٥ .

اليمنية ، بعث به الوالى عقبة بن جحدم بمراكب فى البحر وذلك فى سنة ٦٥ هـ لحماية الثغور وتأمين سلامة سواحل الشام ، لكن عاصفة هوجاء حاقت بتلك المراكب فأغرقتها ، وقد نجا الأكدر من الغرق وتمكن من العودة إلى الفسطاط[١] .

وفى خلافة عبد الملك بن مروان وولاية أخيه عبد العزيز على مصر (٦٥ - ٨٥ هـ) يخبرنا السيوطى أن متولى ثغر الاسكندرية هو كريب بن أبرهة ابن الصباح من قبيلة الكلاع اليمنية ، لكنه لم يشر إلى نشاطه البحرى وما قام به من غزو الجزر اثناء ولايته ، وقد توفى كريب فى سنة ٧٨ هـ[٢] .

ومما لا شك فيه أن اليمنيين وهم عماد الجيش والبحرية فى عصر بنى أمية كان لهم الدور الفعال فى غزو جزر البحر المتوسط مثل رودس وكريت وأرواد[٣] وصقلية ، وقد شجعهم على ذلك تقدم صناعة السفن الحربية فى كل من جزيرة الروضة والقلزم والاسكندرية[٤] . كما كشفت لنا مصادر التاريخ عن اسماء الولاة الذين كانوا يشرفون على تلك الصناعة الزاهرة فى

---

(١) الولاة ، ص ٤٣ .

(٢) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .

(٣) ذكرنا من قبل فتح هذه الجزر فيما عدا أرواد ، التى لا تعرف حاليا ، فلعلها احدى جزر خليج مرمره أو هى تسمية أخرى لرودس وذلك بسبب أن غزوها وغزو رودس كان على يد جنادة فى نفس العام ، وكان العرب يشنون غاراتهم منها . عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٤٧ .

(٤) Fahmy: Muslim Sea — Power in the Medirerranean, P.95.

دورها المذكور . ومن هؤلاء فهد بن كثير ، فقد ذكر أبن عبد الحكم بأنه تولى دار الصناعة بجزيرة الروضة ، ويبدو من سياق الحديث فى هذا الصدد أنه كان سيد قبيلة المعافر وشيخها حين ذاك فى الفسطاط[١] .

كما تشير أوراق البردى إلى اسم محمد بن أبى حبيب وأنه كان مشرفا على صناعة السفن بميناء القلزم ، يتضح لنا ذلك من واقع الخطاب الذى بعث به قرة بن شريك إليه وذلك فى سنة ٩١ هـ / ٧٠٩م[٢] .

لقد أصبح للعرب المسلمين فى أوائل القرن الثانى الهجرى ثلاثة أساطيل بحرية هامة أحدها بمصر ، والثانى بالشام[٣] ، أما الثالث فهو أسطول تونس أو شمال افريقيا[٤] . ومما تجدر الاشارة إليه أن هذه الاساطيل الثلاثة كانت تحت قيادة الأسطول المصرى ، حيث كان أكثر أهمية وأضخم عددا ، فأمير البحر خلال العصر الأموى هو القائد العام للأسطول الاسلامى فى البحر المتوسط ، وكثيرا ما شاركت السفن المصرية مع قطع الاسطول الثانى فى عمليات بحرية واحدة ضد البيزنطيين ، على حين كان استقلال اسطول

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٣ .

(٢) Bell: Translation of the Greek, Aphrodito papyri, Valume, 2, PP.270 — 27I.

(٣) انشىء هذا الاسطول فى خلاف معاوية بن أبى سفيان . البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٤ .

(٤) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ ، طبعة ١٩٦٥ م .

تونس بعملياته البحرية عنهما[1] . وتشير أوراق البردى إلى قيام أهل مصر بالاشتراك فى غزو افريقية بحرا وذلك فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك[2] .

وقد حاول الروم اضعاف القوة البحرية النامية فى حوض البحر المتوسط ، لما تمثله من خطر وتهديد على أملاكهم ، فكانوا يغيرون على سواحل مصر والشام ، فمن ذلك ماتعرضت له مدينة دمياط فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، حيث أغار الروم عليها واستطاعوا سبى أهلها وأميرها خالد بن كيسان .[3]

وكان الولاة على مصر من قبل الأمويين يعينون لكل مدينة ساحلية أو ثغر أمير يتولى أمرها ويعمل على تأمينها ضد أعداء الاسلام ، والنظر فى صناعة السفن الحربية وبذل العناية بها[4] . ومن هؤلاء الأمراء اليمنيين كما تذكر المصادر أبا بكر بن محمد بن بحر الرعينى[5] ، فقد ولى أمر دمياط

(١) سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٨٧ .

(٢) Bell: Translation of the Greek, Vol,2,P.279.

(٣) الطبرى : تاريخ الطبرى ، جـ ٦ ، ص ٢٤٢ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ، ص ١٠٤ .

(٤) قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة ، ص ٤٨ .

(٥) كان ذور رعين ابو العتيل من أمثال اليمن فهى من الأزواء ، ودخلت رعين مصر فى الفتح ونزلت بها ، وتوجد بعض شواهد القبور التى تدل على توطنهم بالفسطاط خلال القرنين الثانى والثالث من الهجرى ،

Hawary & Rached: Stéles Funeraires, Tome, I.P.60.

وسفنها فى خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ)[١] . وكانت دمياط - كما رأينا - احدى الثغور المصرية الهامة التى تتعرض لهجمات الاسطول البيزنطى .

وقد هوجمت مدينة تنيس المصرية احدى السواحل المصرية من جانب الروم البيزنطيين ، وذلك فى ولاية بشر بن صفوان الكلبى[٢] ، وكان أمير هذه المدينة حينذاك مزاحم بن مسلمة المرادى ، ومما يؤسف له أن الروم استطاعوا الاستيلاء عليها وقتل أميرها[٣] . وهكذا كان هؤلاء القادة وولاة البحر يبذلون الروح والاستشهاد فى سبيل الله والدفاع عن المدن المصرية ضد غارات الروم .

والواقع أن الروم تابعوا نشاطهم ضد القوة البحرية الاسلامية التى تمكنت خلال القرن الأول الهجرى من هزيمتهم والاستيلاء على بعض الجزر بالحوض الشرقى من البحر المتوسط . ويظهر أثر ذلك النشاط فى تلك الغارات المتكررة ، حيث عملوا على مهاجمة دمياط للمرة الثانية فى سنة ١٢١ هـ فاسروا عددا من مسلمى المدينة المرابطين كما قتلوا عددا آخر من أهلها .

كان على ثغر الاسكندرية آنذاك قيس بن الأشعث التجيمى ، غير أن بشر بن صفوان والى البلاد لم يلبث أن صرفه عن ولاية هذا الثغر ، وولاه

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٧٣ .
(٢) الكندى : الولاة ، ص ٧٠ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٣١ .
(٣) يذكر المقريزى أن هجوم الروم على دمياط كانوا فى ثلثمائة وستين مركب فقتلوا وسبوا وذلك فى خلافة هشام بن عبد الملك ، وعلى وجه التحديد عام ١٢١ هـ . الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٠١ ، جـ ٣ ، ص ٥ .

الشرط فى العام الثانى ١٢٢ هـ . ويبدو أن السبب يرجع إلى عدم مقدرته على مجاهدة الروم أو تحقيق النصر عليهم(١) .

وهكذا تولى كثير من اليمنيين أمارة البحر والثغور المصرية ، فمنهم من قام بغزو الجزر والاستيلاء عليها ، كما أسلفنا القول ، ومنهم من بذل الروح فى سبيل الذود والدفاع عنها ضد غارات الروم .

جـ - غـــزو إفريقيـــة :

أصبحت مصر قاعدة الفتوحات الاسلامية نحو افريقية والمغرب فى أعقاب الفتح الاسلامى لها ، حيث كان غزو افريقية منذ البداية على يد الجند من الحلمية العربية التى أقامت بالفسطاط بعد تخطيطها ونزول هؤلاء الجند وقبائلهم بها تباعا ، تحت اشراف القادة اليمنيين(٢) .

وتشير المصادر إلى حملة عقبة بن نافع الفهرى فى أعقاب فتح منطقة برقة طرابلس على يد عمرو بن العاص ، فقد ذكر ابن عبد الحكم أن عقبة حرج فى حملته البرية سنة ٢٦ هـ يرافقه فيها شريك بن سمى المرادى أحد القادة اليمنيين ، وزهير بن قيس البلوى وهو من قبيلة بلى اليمنية الأصل ، وأن كانت تقطن الشام آبان الفتح العربى لمصر .

ومما يذكر أن عقبة ولاه على طرابلس مع عمر بن على القريشى(٣) .

---

(١) الكندى . الولاة ، ص ١٢١ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٢ ، ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، ص ٢ - ٤ ، Lane – Poole : A History of Egypt in the Middle Ages, P.17.

(٣) فتوح مصر والمغرب ،ص ٢٦٢ .

كما يذكر ابن عبد الحكم حملة معاوية بن حديج النجيبى عام ٣٤ هـ[١] ، وذلك حينما خرج على رأس جيش من المهاجرين والأنصار وهو يصف لنا نتائج هذه الحملة فيقول :[٢] « فافتتح قصورها وغنم غنائم عظيمة واتخذ قيروانا عند القرن[٣] ، فلم يزل به حتى خرج إلى مصر .

ولسنا بصدد الحديث عن تاريخ المغرب العربى والفتوحات الاسلامية التى تمت على وجه التحديد ، وبحث أوجه الخلاف فى مسألة تحديد التواريخ لكل حملة وأسبابها على نحو ماأشار إليه المؤرخون القدامى من أمثال ابن عبد الحكم والبلاذرى وغيرهما . فابن عبد الحكم يشير إلى غزوة ٣٤ هـ التى قام بها معاوية بن حديج النجيبى ، على أنها غزوة لا يعرفها كثير من الناس ، ثم ذكر أن لابن حديج غزوتين أخرتين فى إفريقية فى سنة ٤١ هـ / ٦٩١م ،

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٢ .

(٢) الواقع أن ذكر حملة معاوية بن حديج النجيبى جاء قبل حملة عقبة بن نافع لكن ابن عبد الحكم يعود فى كتابه « فتوح مصر والمغرب » فيفرد للحديث عن عقبة بن نافع ويشير إلى حملته الثانية التى أرخ لها فى سنة ٤٦ هـ . فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٣) اتخذ معاوية بن حديج معسكرا له فى موضع القيروان إلى جانب جبل القرن ، وقد أعطى معاوية للجبل هذا الاسم عندما قال لاصحابه : اذهبوا بنا إلى هذا القرن « كما عرف هذا الجبل باسم ممطور وذلك لهطول الامطار عليه عندما بلغه ابن حديج/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ١٢٨ .

وفى سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠م[١] . ويؤيد ابن عذارى ماأوضحه ابن عبد الحكم فيقول ان ابن حديج غزا افريقية ثلاث مرات أولها فى سنة ٣٤ هـ[٢] ، إلا أنه يجعل الثانية سنة ٤١ هـ / ٦٥١م ، أما الثالثة وهى الغزوة الكبرى فحدثت فى سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥م[٣] .

ومهما يكن من أمر فإن هذه الحملات نحو إفريقيا كان عمادها العنصر اليمنى وقد بلغت حملة معاوية ابن حديج الأولى نحو ١٠ آلاف رجل وكان بصحبته عدد من المهاجرين والأنصار ممن كانت لهم خبرة ودراية بالحرب والجهاد فى إفريقيا[٤] .

ومن هؤلاء القادة اليمنيين الذين قادوا تلك الحملات العسكرية لغزو افريقية والمغرب ، زهير بن قيس البلوى[٥] فقد كتب إليه عبد العزيز ابن مروان فى خلافة اخيه عبد الملك يأمره بغزو افريقية ، فبعد أن قضى مروان ابن الحكم خلافته القصيرة فى صراع من أجل استرداد مصر من الخوارج وبعد أن أمضى ابنه عبد الملك السنوات الأولى فى استعادة العراق والمشرق ،

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦١ .

(٢) البيان المغرب فى اخبار المغرب ، جـ ١ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٣) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ١٢٣ - ١٢٥ .

(٤) ويعتقد أن عددا كبيرا من هؤلاء الجند كانوا من تجيب وغيرها من قبائل اليمن ، لاسيما وأن قائد هذه الحملات نحو افريقية كان على رأس هذه القبيلة بمصر وربما كان سيدها أو شيخها كما هو معروف فى ذلك الوقت .

(٥) كانت بلى علوية الهوى ، واستمرت ميولهم ضد الامويين ، فكان زهير بن قيس من قواد ابن حجدم فى حربه ضد مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، الكندي : الولاه ، ص ٤٢ .

مما اضطر معه إلى شراء سكوت الامبراطور البيزنطى عنه بالمال ، وحين بدأت الاحوال تميل إلى الاستقرار ، انتهز الخليفة عبد الملك الفرصة ، وفكر فى استعادة القيروان والمغرب[1] ، وعقد مجلسا له فى دمشق من كبار أصحابه ، واستشارهم فى أمر افريقية والمغرب ، وفى خير الوسائل لاستعادة القيروان والأخذ بثأر عقبة ، وهكذا تم الاتفاق على أن قيادة قوات افريقية إلى زهير بن قيس لأنه صاحب عقبة وأعلم الناس بسيرته وتدبيره وأولاهم بطلب دمه .

وقد خرج زهير فى جمع كثير نحو القيروان ، ولكنه لم يدخلها بل أقام بظاهرها ثلاثة أيام إلى أن استراح وأراح رجاله ودوابه ، استعدادا لقتال البربر والروم الذين كانوا أضعاف جيش زهير ، وتشير الروايات التاريخية إنه لولا شجاعة كل من ابن حيان الحضرمى وتبيع وغيرهما من رجالات اليمن المشاهير لما استطاع القائد زهير أن يواجه جيش الأعداء فى أفريقية[3] ، حيث تقابل الجيشان العربى والرومى فى موضع يعرف بممشى على مسيرة يوم من القيروان ، وكان قتالا لم تعرف افريقية له مثيلا من قبل إذ فشى القتل فى

(١) من المعروف أن عقبة بن نافع بعد أن طوف ببلاد المغرب وبلغ السوس الاقصى ، وفى طريق عودته خرج كسيلة بن الكاهنة البربرى فقتله فى عدد قليل من أصحابه وذلك فى سنة ٦٣ هـ . ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٦٨ .

(٢) ابن عذارى : البيان والمغرب فى أخبار المغرب ، جـ ١ ، ص ٣١ — ٢٦٩ .

(٣) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ ، سعد زغلول تاريخ المغرب العربى ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

الفريقين ، وظن الناس أنه الفناء ، ولكن لم يلبث أن حقق جيش زهير النصر على البربر والروم ، حيث قتل كسيلة - قاتل عقبة - وكثير من كبار أصحابه ، وتبع العرب المنهزمين يقتلونهم ويثأرون منهم .

وهكذا استطاع زهير وجيشه الباسل أن يثأر لعقبة ورفاقه من جند الحامية العربية ، وقد أشار المؤرخون إلى عودة زهير ومقتله فى برقة .

وتبدو أهمية رواية ابن عبد الحكم فى أنها تبين السبب الحقيقى فى عودة زهير من القيروان نحو المشرق ، وذلك لتخليص برقة وأهلها من الروم ، وليس الخوف من أن تفتنه دنيا افريقية . فلا شك فيه أن افريقية فى ذلك الوقت كانت أرض الرباط والجهاد والباحثين عن الاستشهاد فى سبيل الله . ومهما يكن من أمر فإن زهير القائد البلوى . وهو فى طريقه إلى برقة لتخليصها من يد الأعداء . وهناك عند درنة من أرض طرابلس لقى الروم فى سبعين رجلا من رفاقه . وتصور لنا رواية ابن عبد الحكم أيضا أنه أرغم على قتال الروم دون الانتظار أو التوقف حتى يلحق به جيشه ، فقد دفعه جندل بن صخر من قبيلة الصدف وحماس بعض الشباب من أصحابه إلى خوض غمار المعركة غير المتكافئة .

وهكذا تكاثر الروم على زهير وأصحابه ، واقتتلوا حتى عانق بعضهم بعضا ، ولم تفلح جماعة الفرسان الصغيرة فى الصمود ، فكان استشهادهم

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٧٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٧٣ ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص ١٧٧ .

عن آخرهم ، ويقول ابن عبد الحكم أن قبورهم هناك معروفة تدعى قبور الشهداء[1] .

وقد أورد ابن عبد الحكم[2] رواية أخرى تدل على أن أرض افريقية أصبحت أرض الرباط والجهاد بالنسبة لقبائل اليمن وغيرها من القبائل العربية ، فقد ذكر أن رجلا يدعى عطية بن يربوع من قبيلة مذحج اليمنية ، خرج من طرابلس ومعه ابنه خشية الاصابة بالوباء ، وتوضح لنا الرواية أنه أراد أن يثأر لمقتل زهير ورفاقه[3] ، فجمع جيشا من المسلمين يقدر بسبعمائة رجل ، وزحف بهم إلى الروم ، فقاتلهم وهزمهم ، ولم يجد الروم بدا من الاعتصام أو اللجوء إلى مراكبهم والهرب لمن بقى منهم . وقد بلغ ذلك والى مصر وإفريقية عبد العزيز بن مروان ، فبعث إليهم بعامل من قبله يدعى « بليد » وبرفقته جماعة من أشراف أهل مصر ، فتمكنوا من ضبط هذا الاقليم ، والعمل على حمايته من أعداء البر والبحر وهم البربر والروم[4] .

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

(٣) وفى مدينة درنة اليوم قبر مازال يحى ذكرى استشهاد زهير وأصحابه فى تلك الواقعة يقال أنه قبر زهير .

(٤) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٨ ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ١٧٨ .

٢ – دور اليمنيين فى تخطيط الفسطاط

روى ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها وقال : مساكن قد كفيناها ، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك ، فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب عمر إلى عمرو إنى لاأحب أن ينزل المسلمون منزلا يحول الماء بينى وبينهم فيه شتاء ولا صيفا فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى الفسطاط[1] .

والواقع أن رغبة عمر فى أن لا يحول بين المسلمين وبينه ماء لم تكن مقصورة على مصر ، بل كان يريدها أن تتوافر فى كل الامصار التى فتحها العرب[2] .

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٢ .

(٢) ذكر السيوطى نقلا عن ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب كتب إلى كل من سعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص أن لا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى أردت أن اركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد من دواوين كسرى إلى الكوفة ، وتحول عمرو من الاسكندرية إلى الفسطاط . كما ذكر كل من ابن تغرى بردى والمقريزى أن عمر بن الخطاب كان رضى الله عنه منع المسلمين من الغزو فى البحر شفقة عليهم « ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٣ ، النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٨٥ ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ٣ ، حسن المحاضرة جـ ١ ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

وتلبية لرغبة أمير المؤمنين فإن عمرا قصد ذلك المكان الفسيح شمالا حصن بابليون حيث عسكر جند العرب فيه للمرة الأولى وقام بتأسيس الفسطاط ليجعلها قاعدة البلاد ودار الامارة . يقول المقريزى فى خططه[1] . اعلم أن موضع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيها بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم ، ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة . ينزل به شحنة المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيرة من مدينة الاسكندرية يقيم فيه مايشاء ، ثم يعود إلى دار الامارة .

ويبدو من وصف المقريزى لهذا الموضع أن العرب قد أنشأوا مدينتهم الفسطاط فى الفضاء المجاور لحصن بابليون – مقر الدفاع الرومانى[2] .

(١) الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٣٦ .

(٢) اختلف المؤرخون بشأن كلمة بابليون ، فالبعض يطلقها على الحصن فحسب ، والبعض الآخر يرى أنه كانت توجد مدينة حول الحصن تسمى بهذا الاسم ، وتنسب إلى بابل ، حيث اتخذ البابليون لهم فى هذا المكان معسكرا حربيا وانشأوا هناك حصناً على المرتفعات الصخرية التى أطلق عليها العرب فيما بعد « الرصد » وتعنى بابل بالسريانية النهر ، ومما قيل أن أدريس عليه السلام حينما وقف على نيل مصر وسبح الله قال لجماعته بابليون وتفسير ذلك : النهر الكبير أو النهر المبارك ، وقيل أن بون فى السريانية مثل افعال التى للمبالغة ولغة العرب . القفطى : اخبار العلماء ، ص ٣ ، بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٩٥ ،

Lane — Poole: A History of Egypt in Middle Ages, P. I7.

وقد اختط عمرو الجامع العتيق ، ثم اختطت القبائل العربية من حوله . وكانت هذه القبائل من عرب اليمن أو عرب الجنوب كما أشرنا من قبل . ومن المعروف أن القبيلة كانت فى بلاد العرب قبل الاسلام تشكل أساس المجتمع العربى ، كما كانت القبيلة تتألف من عشائر وبطون يربطها النسب وصلة الدم ، وكان للأنساب أهمية كبيرة عند العرب[1] ، حيث كان شعور الاعتداد بالقبيلة هو الشعور السائد أبان الفتح الاسلامى ، ويظهر لنا ذلك جليا أنه حين اختطت القبائل اليمنية ومعها أقلية من عرب الشمال الحاضرة الفسطاط ، فإنهم راحوا يتنافسون فى تخطيطها حسب القبائل وبطونها[2] .

اختار عمرو أربعة من شيوخ اليمنيين يمثلون القبائل اليمنية الكبرى للفصل بينها فى تنظيم خطة كل منها ، وذلك بعد أن ظهر التنافس فى المواضع التى رغبوا فى اتخاذها دورا لهم . وهم : معاوية بن حديج النجيبى ، وشريك بن سمى الغطيفى ، وعمرو بن مخزم الخولانى وجبريل بن ناشرة المعافرى ، فكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك فى سنة ٢١ هـ[3] .

وقد حاول المؤرخ بتلر أن ينفى أمر قيام اليمنيين أو العمل بأنفسهم فى

---

(١) عرض ابن خلدون فى مقدمته لمسألة الانساب وقال أنها أمر وهمى لا حقيقة له ، وأن العرب لم يهتموا بأمر النسب إلا بعد الفتح حتى عرفوا بها . المقدمة ، ص ١١٤ – ١١٥ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٣١ .

(٣) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، ص ٢ .

وقبل الشروع فى ذكر القبائل اليمنية التى اختطت بالفسطاط يجدر بنا أن نشير إلى هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم الذين شاركوا فى أعمال الفتح ، أو ممن وفد منهم فى أعقاب ذلك[1] ، حيث اختط هؤلاء لأنفسهم ، ونخص بالذكر منهم : الزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، أبو أيوب الانصارى ، ومحمد بن مسلمة الانصارى ، وقد روى البلاذرى أن الزبير هو الذى اختط الفسطاط واتخذ فيها لنفسه دارا جعل فيها السلم الذى صعد منه إلى سور حصن بابليون[2] . وهناك رواية أخرى تقول بأن الزبير اختط بمصر والاسكندرية ، وإن كان ابن عبد الحكم لم يذكر شيئا عن خطته بالاسكندرية . كما نقل عنه السيوطى عن

(١) أفراد لنا السيوطى كتابا خاصا اسماه در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة ، ذكر فيه ما يزيد على ثلاثمائة صحابى ممن شرفوا كنانة الله فى أرضه ، وقد نقل عن الامام محمد بن الربيع الجيزى من تصنيفه حيث ذكر فيه مائة دنيفا وأربعين صحابيا ، يقول السيوطى « وقد فاته مثل ماذكر أو أكثر » حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

(٢) يقول البلاذرى : أواختط الزبير بمصر أواتبنى دارا معروفة وأياها هزل عبد الله بن الزبير حين غزا افريقية مع ابن أبى سرح ، وسلم الزبير باق فى مصر « مما يدل على أن السلم الذى صعد منه كان مازال موجودا فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وقيل أنه بقى فيها حتى احترق فى حريق الوزير شاور الفاطمى للفسطاط عام ٥٦٤ . فتوح البلدان ، ص ٢١٥ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٦٣٦ ، عبد الرحمن زكى : الفسطاط ، ص ٩ ، المكتبة الثقافية ، ١٩٦٦ م .

تخطيط وبناء الفسطاط وإنما ينسب ذلك للمصريين من القبط فهو يقول[1] : والظاهر أن الذى قام بتنفيذ هذا الأمر إنما هم القبط لدرايتهم بفن العمارة التى كان يجهلها العرب ، والواقع أن تخطيط الفسطاط ومسألة الفصل بين القبائل فى ذلك الوقت لم تكن من التعقيد بحيث يحتاج إلى معماريين مهرة[2] . كما أن عرب الجنوب من أهل اليمن كانوا أهل حضارة ، وقد اشتهروا بفنهم الراقى فى البناء والعمارة قبل ظهور الاسلام بقرون طويلة[3] .

---

(١) فتح العرب لمصر ، ص ٢٩٤ .

(٢) كان طراز البناء بمدينة الفسطاط فى غاية البساطة فى بادىء الأمر ، وجاء على شاكلة طراز مكة وصنعاء من المدن العربية . وقد أشار آدم متز عندما تحدث عن عمارة المدن وطرازها إلى القسم الرابع منها قائلا : والمدن التى على طراز جنوب جزيرة العرب مثل مدينة صنعاء ، ومن هذا الطراز مكة والفسطاط ، فلا غرو أن بنيت حاضرة مصر فى ذلك العهد المبكر على شاكلة صنعاء حاضرة اليمن وقاعدتها فى أعقاب الفتح الاسلامى . الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٣) وصف الرحالة الغربيون آثار بلاد اليمن قبل الاسلام ومعابدها وما نحتت منه والنقوش والكتابات الاثرية مايبرهن على مدى تفوقهم فى فنون العمارة والبناء . ديتلف نبيلسن وآخرون : التاريخ العربي القديم ، ص ١٥١ – ١٥٥ ، ترجمة : فؤاد حسين على وزكى محمد حسن .

يزيد بن أبى حبيب أن الزبير بن العوام اختط بالاسكندرية[1] والواقع أن العرب لم يختطوا لهم دورا أو منازل بالاسكندرية ، وإنما كان رباطهم فيما اتخذوه من الدور أو القصور المشيدة والتى عرفت بالأخائذ[2] على نحو ماذكر ابن عبد الحكم وغيره من المؤرخين .

وتشير المصادر إلى نسبة كثير من هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم إلى قبائل اليمن أو ما عرف بالمجموعة السبئية ، نلحظ ذلك من مطابقة اسمائهم كما جاء ذكرها وفقا للترتيب الابجدى فى كتاب حسن المحاضرة للسيوطى ، نذكر منهم على سبيل المثال ، وليس من قبيل الحصر ، أحمد بن قطن الهمدانى ، وأدهم بن حظيرة اللخمى الأرقم بن حفينة النجيبى ، أسعد بن نمطية القضاعى البلوى ، امرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح الخولانى ، وكان هؤلاء ممن شاركوا فى فتح البلاد واختطوا لهم من قبائلهم بالفسطاط[3] كما ذكر ابن عبد الحكم من الصحابة عبد الرحمن بن عِديس البلوى وهو ممن بايع للرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، وقد إختط له دارا بالفسطاط سميت بالدار البيضاء[4] .

كما تشير المصادر إلى خطط الفسطاط ، حيث اتخذت كل قبيلة من قبائل العرب التى شاركت فى الفتح خطة لها ، فكانت أولاها خطة أهل الراية

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٩ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٦ .
(٢) فتوح مصر والمغرب ، ط ١ ، ص ١٦٧ – ٢٥١ .
(٣) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٨ .　　(٤) نفس المصدر ، ص ١٥٢ .

وقد جمعت بين عرب الجنوب وعرب الشمال[1] ، وقد اشتملت على جماعة من قريش والانصار ، ومن خزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ودوس وعبس ، فهى تضم بطون من حمير كخزاعة وأسلم وجهينة ، كما تضم أيضا من ثقيف ودوس وعبس وجرش من المضريين العدنانيين وذلك تبعا لما اتفق عليه النسابة العرب[2] .

وقد سيمت هذه الخطة باسم أهل الراية ، نظرا لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ماينفرد بدعوة من الديوان كما يذكر المقريزى ، وقد كره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته[3] .

ونذكر من خطط قبائل اليمن الخالصة خطة كل من بلى وأسلم وبنى بحر وهم من قبيلة الأزد الشهيرة ، ويذكر ابن عبد الحكم أن قبيلة بلى التى كان لها الدور الملموس فى فتح البلاد ، اختطت لها منازل خلف دار خارجة بن حذافة ، ثم توسعوا فى خطتهم[4] .

---

(١) وذكر المقريزى أن الخطط التى كانت بمدينة الفسطاط هى بمنزلة حارات القاهرة فى زمنه ، وقد عرفت بكل خطه باسم الجماعة التى نزلت بها . الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٥٦ .

(٢) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، ص ٢ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٥ .

(٤) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٠ - ١٦١ ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٣ .

واختطت سلامان من ناحية الساحل ، ثم شرعت من بعدهم طائفة من تهم وهم بطون من عريب والأزد القحطانيين[١] كما اختطت الحجر من الأزد[٢] ، ثم يرفأ وشجاعة وثراد من قبيلة خولان اليمنية[٣] .

وقد اختطت مهرة وهى حى من قضاعة من عرب اليمن[٤] ، وكانت كثيرة العدد قوية الجانب فى مصر[٥] ، كما اختطت نجيب ، وكان لكل قبيلة خطة ، فيما عدا لخم وغافق[٦] ، وتذكر المصادر أن غافق ومهرة توسعوا بخطتهم حتى برزوا إلى الصحراء من ناحية الشرق والشمال فى الفضاء

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٢ .

(٢) كان أول شاهد قبر تم العثور عليه والذى أفلت من يد الزمن خلال القرن الأول الهجرى ، هو شاهد واحد يحمل اسم قبر عبد الرحمن بن خير الحجرى المتوفى سنة ٣١ هـ .

A.Hawary & H. Rached: Stéles Funeraires, Tome I,P,I.

(٣) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦١ – ١٦٢ .

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٥٧ .

(٥) ظلت مهرة من القبائل العربية اليمنية الهامة بمصر حتى القرن الثالث الهجرى .

G.Wiet: Repertoire Chro, tome 2,PP.II,67, I64, I84.

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٤ ، ١٦٦ .

المجاور لحصن بابليون والممتد شمالا وشرقا بحذاء النيل[١] .

ومن البطون اليمنية التى اشتهرت بخطتها بالفسطاط الصدف ، فهو احدى بطون كنده المعروفة[٢] ، وقد ظل هؤلاء يقطنون العاصمة الفسطاط حتى نهاية عصر الولاه[٣] . ويذكر ابن عبد الحكم أن خطة الصدف كانت قبلى مهره ، حيث مضوا بخطتهم حتى برزوا بطرف منها فلقوا حضرموت دون الصحراء[٤] .

ومن القبائل اليمنية التى نزلت بالفسطاط وكانت لها خطة مستقلة بها نذكر أيضا كل من قبيلتى يحصب والمعافر ، وكذلك خطة رعين والكلاع وخطة سبأ ، وكلها كما هو واضح من أسمائها تنسب إلى القحطانيين من عرب الجنوب[٥] .

أما خطط اللفيف التى سبق الاشارة إليها عند فتح الاسكندرية الثانى[٦] ، فقد سألوا عمرو بن العاص أن يفرد لهم دعوة ، فامتنعت عشائرهم من ذلك ، فكانوا مجتمعين فى المنزل ، متفرقين فى الديوان ، وكان عامة اللفيف

(١) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، ص ٢ – ٤

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ .

(٣) G.Wiet: Repertoire Chro, tome II, PP. II, 67, I64, I84.

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٥) ابن دقماق : المصدر السابق والجزء ، ص ٣ – ٤ .

(٦) نفس المصدر والجزء ، ص ٣ .

[illegible] ص ٣ .

من قبيلة الأزد ومن إحدى بطون هذه القبيلة وهم الحجر ، كما التف بهم نفر من جذام ولخم وتنوخ من قضاعة[1] ، وهكذا كانت خطط الفسطاط تموج بالعصبية اليمنية ، فهى تلى بعضها بعضا فى النزول واتخاذ الدور والمسكن بها .

ومن الخطط الهامة اليمنية تذكر المصادر كذلك خطة خولان ، حيث نزل الخولانيون جنوبى الحصن ، ومضوا فى خطتهم حتى لقيت دورهم بنو وائل والقارسين من جهة ، كما التقت منازلهم بكل من تجيب ورعيم من جهة الشرق ، وقد اختطت حمير قبلى خولان وشرقيها وشرقى بديعة احدى بطون مذحج اليمنية[2] .

ومن قبائل اليمن التى اختطت بالفسطاط فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، قبيلة حضرموت ، فقد استأذنوا الخليفة عثمان فى المسير إلى مصر فأذن لهم ، وقد اختطوا مع أخوالهم فى خطة تجيب فى بداية الأمر ، ثم عدلوا من ذلك ، واختطوا لانفسهم فى سلهم والصدف حتى جاءوا الصحراء ، وقد كان لكل خطة عريفا ومحرسا ، وكان الملامس بن جذيمة هو عريف حضرموت[3] .

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

وفى عهد معاوية بن أبى سفيان وقع نزاع بين الملامس وبين والى مصر حينذاك مسلمة بن مخلد الانصارى ، ويبدو أنه كان بسبب توسع حضرموت فى خطتها ، وقد ذكر ابن عبد الحكم أن الملامس اسأذن معاوية فى النزوح إلى فلسطين بحضرموت فأذن له ، لكنهم رفضوا ذلك وامتنعوا عن الخروج من خطتهم(١) .

وتشير المصادر إلى أن معاوية كان يفضل هؤلاء الحضرميين والأزديين فى أعماله ، فقد كتب إلى واليه على مصر مسلمة بن مخلد « لا تولى عملك إلا أزدى أو حضرمى فإنهم أهل الامانة »(٢) ويبدو أن معاوية كان متأثرا بما روى من الأحاديث الشريفة ، فقد روى عن النبى (ص) أنه قال : « الامانة فى الأزد والحياء فى قريش »(٣) .

كانت القبائل العربية فى مصر موضع الاهتمام من مؤسسى الدولة الأموية ، يذكر ابن عبد الحكم(٤) أن معاوية جعل على كل قبيلة من قبائل

---

(١) كان الحضرميون يرون أنهم أفضل من بنى الحارث ، فى حين كان يفضلون مسلمة الوالى عليهم ، وكانوا يستندون فى ذلك إلى ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حضرموت خير من بنى الحارث » ، كما ورد عن النبى (ص) أن خيار الرجال أهل اليمن والايمان يمان إلى لخم وجذام ، وأن مأكول حمير خير من أكلها ، وحضرموت خير من بنى الحارث الهيثى : مبلغ الأرب فى فخر العرب ، ص ٥٤ تحقيق مجدى السيد إبراهيم .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧١ .

(٣) الهيثمى : المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٤٦ .

العرب رجلا ، فكان على المعافر رجلا يقال له الحسين ، يصبح كل يوم فيدور على المجالس ، فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال له ولد لفلان غلام ولفلان جارية ، فيقول : سموهم ، فيكتب ويقال نزل بها رجل من أهل اليمن بعياله ، فيسمونه وعياله ، فإذا فرغ من القبائل كلها آتى الديوان . وهكذا بلغ الاهتمام فى ذلك الوقت من جانب الحكام المسلمين بأمر القبائل اليمنية التى استمرت فى النزوح إلى مصر ونزولها بالفسطاط واتخاذ الخطط بها .

وكانت قبيلة المعافر ومنهم الأشعريين والسكاسك قد اختطوا شرقى الكلاح ومضوا فى خطتهم حتى بلغوا جبل يشكر[1] ، يقول ابن عبد الحكم[2] « وحمير والمعافر على الجبل موفون على قبائل مصر ، وليس فى هذا الجبل إلا هذه القبائل » وهناك رواية أخرى للمقريزى ذكر فيها أن منازل يشكر من قبيلة لخم اليمنية كانت مفرقة فى هذا الجبل ، كما نقل عن القضاعى المؤرخ أن هذه المنازل دثرت قديما ، وعادت صحـــراء حتى جاء العباسيون فعمروها[3] .

لم تقتصر خطط الفسطاط على قبائل اليمن بطبيعة الحال فمن المعروف أن أقلية من قريش وغيرها من ثقيف شاركت فى أعمال الفتح وكان نزولها

(١) نسب الجبل إلى يشكر بن جذيلة من لخم ، حيث يذكر المقريزى نقلا عن القضاعى أن يشكر اختطت عند الفتح بهذا الجبل ، فعرف بشكر يشكر تبعا لذلك . الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ص ٧١ – ١٧٣ .

(٣) الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٠ .

بالفضاء المجاور لحصن بابليون ، كما فعلت قبائل اليمن . وقد ذكر ابن عبد الحكم أن ثقيف اختطت لها حول المسجد أو جامع عمرو من الجهة الشرقية نحو السراجين ، كما اختطت بنو جمح من قريش ، وكان منهم وهب بن عمير الجمحى ، وهو ممن شهد الفتح[1] . كذلك اختط الليثيون من مضر . وروى ابن عبد الحكم أن قوم عنزة من قبيلة ربيعة المضرية لم تكن لهم سوى عشر من الدور التى نزلوها بالفسطاط[2] .

كانت عملية البناء بسيطة بالفسطاط فهو لا يعلو عن طابق واحد فى بداية الأمر ، كما كان التخطيط على هذا النحو من البساطة ، بحيث كان ينزل كل قوم من قبيلة فى موضع يحدده عريف القبيلة ، كما كان يفصل فى أمر التنازع بين القبائل اليمنية وغيرها من قبائل العرب هؤلاء الشيوخ الأربعة وهم من قبائل نجيب وغطيف وخولان والمعافر الذين اختارهم عمرو بن العاص للاشراف على تخطيط المدينة وعمارتها .

وقد ذكر ابن دقماق أن العرب حين اختطوا المدينة تركوا بينهم وبين البحر والحصن فضاء لتفريق دوابهم والعناية بها حيث كانت ظروف المعيشة والجهاد تعتمد على الانتقال واستخدام هذه الدواب من الخيل والابل ، ولم يزل الأمر كذلك حتى ولى معاوية ، فأقطع فى الفضاء وبنيت له الدور ، كما

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .
(٢) نفس المصدر ص ١٦١ .

خصص موضعا أمام دار عمرو ، واتخذ موقفا لدواب الجند[1] ، مما يدل على أن عمارة الفسطاط وخططها من أهل اليمن وغيرهم من العرب ظلت مستمرة فى أعقاب الفتح الاسلامى وفى عهد الخلفاء الأمويين .

القبائل اليمنية واختطاطها بالجيزة :[2]

اختطت بها بطون من حمير سنة ٢١ هـ فى أعقاب الفتح مباشرة ، وذلك بعد أن جعل عمرو فريق من جيشه بهذا الموضع غرب النيل ، وقد كتب إلى عمر بن الخطاب يخبره بأن همدان التى شاركت فى أعمال الفتح ، وغيرها من آل ذى أصبح ونافع ومن كان منهم أحبوا المقام بالجيزة ، فكتب إليه : كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك بينك وبينهم بحر لا تدرى ماتفجأهم « فإن رغبوا فى البقاء فأقم عليهم حصنا من فيىء المسلمين »[3] .

وقد أوضح ابن دقماق أن عمرا خيرهم بين البقاء أو النزول بالفسطاط كسائر القبائل الاخرى ، وأنه أقرع بينهم ، فوقعت على نافع فبنى فيهم ، وفرغ من بنائه سنة ٢٢ هـ[4] . ويبدو من رواية ابن دقماق أن نافع بن الحارث هو الذى عهد إليه عمرو بالاشراف على تخطيط الجيزة والنزول

---

(١) الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، ص ٥ .

(٢) الجيزة هى الناحية والجانب فى اللغة وجمعها جيز ، والجيز جانب الوادى . المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٨٥ .

(٣) ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٤) الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، ص ١٢٦ .

بها ، وكان من قبيلة رعين[١] ، وقد توسطت خطته الجيزة ، لكنها توسعت بعد ذلك حتى أنها خرجت عن الحصن الذى أقاموه . ومن الجدير بالذكر أن رعين اختطت - كما أشرنا من قبل - شرقى خولان وقبلى مذحج بالفسطاط[٢] .

وكانت خطة همدان من الخطط الهامة بالجيزة ، فقد شاركت فى أعمال الفتح ، وكان لها دورها البارز فى محاصرة حصن بابليون ، عند الاستيلاء عليه ، كما عسكرت حاشد وهم بطن من همدان فى شمالها الغربى واختطت بها[٣] .

كما اختطت طائفة من الحجر بالجيزة ، منهم علقمة بن جناده الحجرى[٤] ، وقد شهد فتح مصر وولى البحر لمعاوية بن أبى سفيان[٥] وقد توسع الحجريون فى خطتهم حتى أنهم برزوا إلى أرض الحرث والزرع ،

---

(١) كان ذو رعين أبو القبيلة من أقيال اليمن ، فهى من الأذواء ، وتدل شواهد القبور التى عثر عليها على أن رعين ظلت تقيم بمصر حتى القرن الثالث الهجرى ،

A.Hawary & H.Rached: Stiles Funeraires, tome I, P.60

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٩٣ ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ١٢٦ .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٢١ .

وكان بين القبائل اليمنية فضاء من القبيل إلى القبيل ، إلى أن جاءت أفواج من الهجرة العربية فى عهد خلافة عثمان وما بعده من الخلفاء . وكثر عدد الناس ، توسع كل قوم لبنى جلدتهم حتى كثر البنيان والتأمت خطط الجيزة[١] .

وهكذا يتضح لنا بأن سائر القبائل التى اختطت فى البر الغربى من النيل ، أو فيما عرف بالجيزة ، كانت جميعها من قبائل اليمن التى لعبت دورا بارزا فى فتح البلاد ، كما كان لها أثرها فى اجتذاب أفواج من الهجرة من ذويها خلال العصر الأموى .

أخائذ الاسكندرية وسيطرة اليمنيين عليها :

لم يكن من المناسب أن يتخذ عمرو الاسكندرية حاضرة للديار المصرية بعد فتحها ، ذلك لأن الاسكندرية تقع على البحر مباشرة ، فهى مهددة بالغزو من الروم ، وليس أدل على ذلك من محاولتهم العمل على استردادها من أيدى العرب الفاتحين ، ولم يكن قد مضى على فتحها أربع سنوات[٢] .

والواقع أن العرب فى بداية أمرهم لم يكن لديهم من القوة البحرية مايواجهون به أسطول الروم وغاراتهم على سواحل مصر والشام ومهما يكن من أمر ، فإن الاسكندرية بعد فتحها لم يختط بها كما فعلت القبائل

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٨١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣١ .

بالفسطاط ، فقد اتخذ بها الجند ماعرف بالاخائذ ، حيث اتخذ كل عريف له قصرا ينزل فيه بمن معه من أصحابه ، وليس من شك فى أن هذه الدور أو القصور التى نزلوا بها للمرابطة والجهاد بهذا الثغر ، إنما كانت فى غالبيتها للجند اليمنيين عماد جيش عمرو الفاتح[١] .

ويذكر ابن عبد الحكم أن الرجل من جيش عمرو كان يدخل الدار فيركز رمحه فى منزل بها ، ثم يأتى الآخر فيركز رمحه فى بعض بيوت الدار ، فكانت الدار ربما تكون لقبيلتين أو ثلاث[٢] . وقد أرسل عمرو إلى الاسكندرية بعد استعادتها من الروم عام ٢٥ هـ ، قبائل يمنية من لخم وجذام وكنده والأزد وحضرموت[٣] كما أرسل من خزاعة والمزاعنة من عرب الشمال بقصد المشاركة فى حراستها .

وكان نزول لخم فى المكان المعروف بكوم الدكة ، كما نزلت قبيلة جذام اليمنية « بركة جذام » ونزلت كندة فيما عرف « بالبراكيل » ونزلت الأزد بحارة الأزدى ، ونزلت حضرموت كذلك بشارع الحضارمة ، بينما نزلت خزاعة والمزاعنة بناحية أبى قير شرقى الاسكندرية من ظاهرها يحرسون ميناءها[٤] ويذكر المقريزى أنه كان بالاسكندرية من جذام ولخم جماعة ذو

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٨ .

(٢) نفس المصدر ، والصفحة ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣١١ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، ص ٩١ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ .

عدد وعدة وشجاعة واقدام ولهم أيام معلومة وأخبار معروفة ووقائع مشهورة[١] ، ولعله يعنى بذلك تلك الاحداث التى وقعت فى عهد الولاة العباسيين[٢] .

وهكذا كانت قبائل اليمن هى المسيطرة على تلك الدور أو القصور التى اتخذوها من أجل المرابطة والجهاد ، وصاحبة الخطط التى اختطوها بعد ذلك فى الأماكنِ المتفرقة الخالية ناحية الجنوب والشرق من الاسكندرية .

---

(١) البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، ص ٢٧ .

(٢) ظهرت جموع كبيرة من قبيلتى لخم وجذام ، وكانت لها الزعامة على اليمنيين فى ذلك الحين ، وقد مثلت جذام ولخم دورا رئيسيا فى النزاع الذى حدث بين الامين والمأمون فى بغداد وكان له صداه القوى فى مصر . وكان هؤلاء من أنصار المأمون . فى بادىء الأمر . الكندى : الولاه ، ص ١٦٣ .

٣ - هجرة القبائل اليمنية إلى مصـر

شهدت مصر قبل ظهور الاسلام موجات متعاقبة من الهجرة العربية[١] ، كان معظمها من بطون قبائل لخم وجذام اليمنية . فقد عبرت تلك القبائل خلال القرون الأولى بعد الميلاد ، حيث استقرت قبائل كهلان فى ذلك الجزء الشمالى الشرقى من الأراضى المصرية[٢] . ثم أعقب ذلك وفود قبائل أخرى من طىء والتى كان من أهمها قبيلتى لخم وجذام اللتان استقرتا فى الحوف الشرقى[٣] .

كما نزحت قبيلة بلى اليمنية من جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الشام ، ولم تلبث أن تحركت نحو مصر فكان استقرارها فيما بين جهة قنا والقصير من صعيد مصر حيث امكن الاعتماد عليها فى نقل السلع والتجارة من بلاد الهند والشرق الأقصى عبر البحر الأحمر[٤] .

---

(١) أشار كل من هيرودوت واسترابون وديودور الصقلى وغيرهم إلى تلك الهجرات حيث كانت بلاد العرب تقذف ببعض قاطنيها إلى وادى النيل عبر البحر الاحمر بسبب التجارة ، وعبر سيناء التى كانت منذ القدم معبرا وسبيلا لا ينقطع من تلك الهجرات العربية إلى مصر .
ويصف استرابون مدينة قفط قبل الاسلام بأنها مدينة نصف عربية وكذا سائر المدن القبطية فى مصر الاعلى . ارنولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٦٢ ، ترجمة حمزة طاهر .

(٢) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٤٢٤ .

(٣) المقريزى : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ، ص ١٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٩ ، حاشية .

وتشير المصادر أيضا إلى خروج قوم من قضاعة إلى حجهة العريش حيث نزل بها بنو راشدة[1] . وكان آخر الهجرات التى سبقت أعمال الفتح الاسلامى للبلاد . وهى التى قامت بها بعض من قبيلة خزاعة وكانت تربطهم بقبائل كهلان روابط الدم والمعاش فى العصر الجاهلى . ويفسر الكتاب أسباب الهجرة إلى ماحل ببلادهم من الجدب وسوء الأحوال الاقتصادية[2] .

أما فى أعقاب الفتح الاسلامى فقد اختلفت الظروف والدوافع للهجرات العربية ونزوح القبائل من شبه الحجزيرة العربية فى أفواج كثيرة متتابعة إلى مصر وغيرها من البلدان المفتوحة .

كما إختلف المؤرخون الغربيون فى أسباب الهجرة العربية من المؤرخين المسلمين القدامى ، فقد أشار هؤلاء الكتاب الأوربيون إلى الدواعى الحقيقية

---

(١) اختلف النسابة العرب فى أمر قضاعة ، ففريق ينسب قضاعة إلى عدنان فى الشمال ، وآخر ينسب هذه القبيلة الكبيرة إلى مالك بن حمير ويميل النسابة إلى القول بأنها من عرب الجنوب حيث كانت تقيم بطعون قضاعة كحيدان وبهراء وبلى قبل الاسلام فى ناحية الشحر باليمن ، وبلاد العنبر على ساحل البحر الاحمر ، وكانوا يجاورون المهربين اليمنيين ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٤٤٠ . ومما يدل على استقرار قبائل راشد ولخم فى تلك الجهات ماأشار إليه ابن عبد الحكم حين سار عمرو بن العاص بجيشه حيث نفرت منه وانضمت إلى صفوف الجيش الفاتح ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٨٥ .

(٢) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٩٠ تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين .

التى ترجع إلى أسباب وظروف اقتصادية فى المقام الأول[1] .

(١) يرى مؤرخ العصور الوسطى بيكر أن حركة الفتح العربى فى القرن السابع ، إنما هى حلقة أخيرة من سلسلة طويلة من الهجرات السامية من قلب الجزيرة العربية نتيجة لأزمات اقتصادية ، مما دفع شعوبها إلى الهجرة . ويشارك برنارد لويس المؤرخ اليهودى فى هذا الرأى حيث يرى أن بلاد العرب شهدت فى قديم الزمان خصبا عظيما أعقبه جفاف مستمر ، مما أدى إلى زحف الصحراء على حساب الأراضى الخضراء ، حتى أخذ سكان هذه البلاد يخرجون منها فى هجرات بعد أن ضاقت سبل العيش فى وجوههم .

أما توماس أرنولد فقد كان أكثر جرأةوصراحةحيث عبر عن حركة التوسع العربى بأنها عبارة عن هجرة جماعية نشطة دفعها الجوع والحرمان إلى أن تهجر صحاريها المجدبة وتجتاح بلادا أكثر خصباً وأسعد منها حظا فى أسباب الحياة . ولاشك أن هذا الرأى جاء خاليا من الصدق والبعد عن الحقيقة كما أنه يستطرد بعد ذلك قائلاً : « أن الحماسة الدينية وبواعث العقيدة لم تكن قد تسربت إلا قليلا فى نفوس أبطال الجيوش العربية » .

وقد عبر المقوقس حاكم مصر حينذاك عند رده على الامبراطور هرقل بعد أن وبخه لعجزه عن دفع المسلمين وردهم على أعقابهم قائلاً له : إنهم أقل منا عددا ولكن عربيا واحدا يعادل مائة من رجالنا ذلك أنهم لايطمعون فى شيء من لذات الدنيا ويكتفون بالغذاء البسيط والكساء البسيط ، هذا فى الوقت الذين يرغبون فى الاستشهاد لانه أفضل طريق يوصلهم إلى الجنة فى حين نتعلق نحن باهداف الحياة ونخشى الموت ، يا سيدى الامبراطور .

والحقيقة أن مؤرخا غربيا واحدا هو بيرين Pirenne الذى عبر فى صدق واخلاص عن السبب الحقيقى وراء الهجرة العربية وأكد أن الحماسة الدينية وحدها هى التى أدت إلى نجاح العرب فى حركتهم التوسعية . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٠٤ ، أرنولد : الدعوة إلى الاسلام ، ص ٦٤ ، ترجمة حسن إبراهيم ، سعيد عاشور : أوربا فى العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

بينما يرى المؤرخون المسلمون أن حركة الفتوح والدفاع عنها والجهاد فى سبيل تأمين حدود البلاد التى فتحها الله عليهم كان الدافع الحقيقى وراء هجرات العرب المستمرة إلى مصر وغيرها من الأمصار .

ولعل السبب الدينى هو أهم الأسباب وأقواها فلقد حث الاسلام على الهجرة ودفع العرب المسلمين الأوائل دفعا إلى ذلك[1] فأعطى الرسول المثل

(١) ورد فى القرآن الكريم وفى آيات بينات عديدة فى بعض السور مايحث المسلمين على الهجرة والجهاد فى سبيل الله وفى مفارقة المشركين ومحاربتهم ، قال الله تعالى فى سورة النساء ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعه ، ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفوراً رحيما ﴾ آية ١٠٠ . وقد حرض الاسلام على الجهاد والهجرة والمشاركة فى الغزو والفتح ، ففى سورة النساء أيضا يقول الله تعالى : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ﴾ الآية ٩٥ . وفى سورة الانفال نزل قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وأن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق الله بما تعلمون بصير ﴾ الآية ٧٢ . أما سورة التوبة فقد نزلت معظم الآيات فيها لتحريض المؤمنين على الجهاد وتحثهم على عدم التقاعس ونخص من هذه الآيات البينات ماورد فى قوله تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ الآية ٢٤ ، كما وردت الآية الكريمة فى هذه السورة أيضاً لتحث المسلمين على الجهاد فى سبيل الله ، فى قول العزيز الحكيم ﴿ يا ايها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا عن الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ، وإلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير ﴾ الايتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة التوبة . وهكذا نزل القرآن الكريم ليدفع العرب المسلمين إلى الجهاد والهجرة فى سبيل اعلاء كلمة الحق والدين ونشر الاسلام فى ربوع الأرض جميعا ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٥٤٠ – ٥٤٣ ، جـ ٢ ، ص ٣٥٧ – ٣٥٩ .

قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى[1] فكانت هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ايذانا بالهجرة للعرب المسلمين من بعده إلى شتى البلاد من أجل تحرير الشعوب والدعوة إلى الاسلام .

ولقد فرض الله مشروعية الجهاد على العرب المسلمين كما ورد فى القرآن

(١) كما رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ترغيبا عمليا حيث اذن لعثمان بن عفان وصحبه بالهجرة إلى الحبشة ، وقد أورد ابن هشام أسماء من هاجر من بنى عبد شمس ، ومن بنى هذيل وبنى مخزوم وبنى عدى ، والذين بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلا . كما أذن الرسول عليه الصلاة والسلام للمسلمين بالهجرة إلى المدينة ، وذكر ابن هشام نقلا عن ابن اسحاق منازل المهاجرين بها قبل أن يهاجر إليها النبى محمد وأبو بكر الصديق ، وكانت الهجرة هى بدء التاريخ الاسلامى نظرا لاهميتها القصوى بالنسبة للدعوة الاسلامية وقيام دولة الاسلام . السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ — ٢٨٨ ، جـ ٢ ، ص ٨٠ — ٩٧ .

الكريم[١] ، من أجل تأمين الدعوة الاسلامية ، والذود عن أنفسهم[٢] ولم يسبق أن فرض من قبل على الأمم السابقة[٣] ، وكان الجهاد فى سبيل الله لتحرير بنى البشر فى سائر الانحاء من كل سلطان غير سلطان الله ، وأن تكون شريعته هى الحاكمة لهم[٤] .

فحركة الفتوح الاسلامية وما تطلبته من الهجرة العربية فى أفواج متعاقبة ، لم تكن بقصد الغزو وقهر الشعوب كما عرفت أوربا فى العصور الوسطى[٥] .

---

(١) فرض الله الجهاد على المسلمين فى السنة الثانية للهجرة ، فنزلت هذه الاية فى سورة الحج تعرف مشروعية القتال يقول الله تعالى ﴿ واذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ والمراد بهذه الآية أن الله أحل القتال للمسلمين لانهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم . الآيـة ٣٩ . كما أنزل الله تعالى فى سورة البقرة يقرر فيها الجهاد « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو كره لكم ، والله يعلم وانتم لا تعلمون الآية ٢١٦ .

(٢) جمال الدين سرور : قيام الدولة الاسلامية ، ص ٩٧ .

(٣) كان كل نبى ورسول يرسله الله تعالى إلى أى أمة يدعوها للايمان بوحدانيته ، والعبودية له ، فكانت هذه الأمم تكفر بأنعم الله وتكذب رسلها ، فيحق عليها التدمير والهلاك كقوم عاد وثمود وغيرهم ، أما أمة الاسلام فقد كانت خير أمة أخرجت للناس كما يقول الله تعالى فى كتابه العزيز .

(٤) احمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية ، ص ١٩٠ – ١٩٢ .

(٥) الغزو فى المفهوم التاريخي هو حركة اجتياح واستيلاء لشعب أو قطر من الاقطار لا يعنى إلا السيطرة والاستيلاء على ثرواته بشتى الوسائل ، أما الفتح فهو يسعى إلى إدماج الشعوب المفتوحة فى كيان الامة الفاتحة ويجعلها عنصرا منها وعضوا من اعضائها ، ويعطيها من الحقوق ما هو للشعب الفاتح ، فلا يلبث شعور المغلوبين بالقهر ، وتحقق المساواة مع الغالبين ، احمد ابراهيم الشريف ، دراسات فى الحضارة الاسلامية ، ص ٢٠٢ .

وعلى أية حال فإنه يمكن القول بأن العرب حينما جاء الاسلام ليدفعهم للجهاد فى سبيل الله ، واعلاء كلمته ، لبوا دعوته واتخذوا من الهجرة سبيلا لذلك ، وكانت من أهمها تلك الافواج المتتابعة فى أعقاب الفتح العربى .

ولا شك أن أعمال الفتح وما أعقبها من تخطيط الفسطاط كان له أثره الواضح فى توافد الاعداد المتزايدة منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فقد أشار ابن عبد الحكم إلى هجرة قبيلة بلى ، حيث أمير المؤمنين بنقلها من الشام إلى مصر . وكانت بلى تؤلف ثلث المجموعة القضاعية الساكنة فى بلاد الشام[1] .

ولقد شجع وفود المئات من الصحابة رضى الله عنهم ونزولهم مصر بعد أن أصبحت قاعدة للفتوحات الاسلامية نحو المغرب[2] .

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦١ ، المقريزي : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ، ص ٢٩ .

(٢) وفد إلى مصر من هؤلاء الصحابة فيمن ترجم لهم السيوطى مايزيد على ثلاثمائة ، منهم من شارك فى الفتح ، ومنهم من حضر إليها فى عهد عثمان وعلى وفى بداية العصر الاموى ، حسن المحاضرة جـ ١ ، ص ١٦٦ – ١٦٧ .

وكانت حضرموت التى شارك بعض منها فى أعمال الفتح[١] ، من أوائل القبائل التى هاجرت إلى مصر فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وذلك بدافع القرابة التى تربطهم بهؤلاء الجند أو رغبة فى الجهاد والرباط فى سبيل الله[٢] . وقد اشار الكندى[٣] إلى هجرتهم فى خلافة عثمان ، حيث ركب مائة منهم إليه واستأذنوه فى المسير إلى مصر فأذن لهم ، وبذلك زاد عددهم بحيث أصبحوا يستحقون خطة مستقلة ، فاختطوا شرقى سلهم والصدف حتى أصحروا أى بلغوا الصحراء ، وصاروا يرتبعون فى بيامن كورة البهنسا وعين شمس وأتريب[٤] .

وهناك اشارات أوردها المقريزى تدل على هجرة قبيلة جذام إلى مصر وأنهم كانوا أقدم من سكن الحوف الشرقى ، وإن كان فى موضع آخر يشير إلى قبيلتى لخم وجذام وأنهم سكنوا بعض مناطق الشرقية فى أوائل الفتح العربى[٥] .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر المغرب ، ص ١٦٨ .

(٢) تقع بلاد حضرموت فى شرق اليمن ، وكان يسكنها الصدف قبل الاسلام وكانت هجرة بطون حضرموت إلى البحرين فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى ، وذلك فى أكثر من ثلاثين ألف رجل والحقت نفسها بالصدف ، وقد أرسلت وفدا لها لمبايعة النبى صلى الله عليه وسلم فى العام التاسع برئاسة وائل بن حجر الحضرمى . سرور : قيام الدولة الاسلامية فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ص ١٧٨ .

(٣) القضاه ، ص ٣٢٣ .

(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٥) البيان والاعراب ، ص ٢٣ .

كما يشير إلى نزوح بنى مدلج ومعهم نفر من حمير ونزولهم بجهة خربتا بالقرب من الاسكندرية ، وهذه تنسب جميعها إلى أصول يمنية[1] .

وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان تزايدت أعداد المهاجرين إلى مصر ، يستدل على ذلك مما أوضحه ابن عبد الحكم حيث بلغ ديوان العرب فى عدته أربعون الفا بعد أن كان عدد الجند العرب فى أواخر عهد ابن الخطاب نحو عشرين ألفا ، ويبدو من سياق النص الذى أورده صاحب فتوح مصر أن اليمنيين كانوا يفدون فرادى وجماعات بعيالهم ، حيث كان عريف المعافر يدور على قبيلته ويسجل كل نازل بها من أهل اليمن ، وكذلك يفعل كل عريف بالنسبة لقبيلته ، والتى كان معظمها من قبائل اليمن[2] .

والواقع أننا لم نسمع عن هجرة قبيلة بعينها فى عهد معاوية كما وقع بالنسبة لجماعة من قبيلة الازد اليمنية ، فقد ذكر المقريزى عند حديثه عن سويقة العراقيين ، أن جماعة من الأزد قدمت من العراق إلى مصر ونزلت بخطة أهل الراية وذلك فى سنة ٥٣ هـ فى ولاية مسلمة بن مخلد ، حيث نزل منهم نحو من مائة وثلاثين رجلا[3] . وكان الازديون يتمتعون بسمعة طيبة وخصال حميدة ، فقد كتب معاوية إلى واليه مسلمة وهو على مصر يقول له « لا تولى عملك إلا أزدى أو حضرمى فإنهم أهل الامانة »[4] .

(١) البيان والاعراب ، ص ٩٩ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤٦ .
(٣) البيان والاعراب ، ص ٩٩ .
(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٧١ .

ويبدو أن توافد الافراد والجماعات العربية من الشام والحجاز واليمن كان قاصراً على قبائل اليمن فحسب ، حتى خلافة مروان بن الحكم فلم نسمع عن هجرة قام بها بعض من قيس أو مضر من أهل الحجاز أو الشام حتى ذلك الحين ، وقد عبر عن ذلك والى مصر عبد العزيز بن مروان إذ ذاك فى حضرة أبيه الخليفة[١] « ياأمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس بها أحد من بنى أبى » .

كان ولاة مصر وحكامها يشجعون على الهجرة[٢] ، ولا سيما أنهم كانوا يشرفون على شئون الحامية العربية الموجودة فى مصر ، والمرابطة فى الثغور والسواحل المصرية[٣] ، فهم يدركون حاجة الجيش وما تتطلبه أعمال الرباط والجهاد من الجند ويعملون على دعمها بالقوة الكافية التى تتطلبها الظروف تبعا لذلك .

وتشير المصادر إلى أن بعض الولاة المصريين كانوا يفدون إلى مصر وبصحبتهم خمسة آلاف رجل ، أو يزيد عن ذلك ، وفى خلافة عمر بن عبد العزيز قام الوالى أيوب بن شرحبيل بالحاق خمسة آلاف لأهل مصر فى سنة ١٠٠ هـ ولم يذكر الكندى من أى قبائل كانت هذه الأعداد النازحة إلى مصر وإن كان من المرجح أنها من بطون يمنية ، لا سيما وأن الوالى أيوب كان من أصبح إحدى بطون الهميع الحميرية[٤] .

---

(١) الكندي : الولاه ، ص ٤٧ .

(٢) Lane — Poole: A History of Egypt in the Middle Ages, P.29.

(٣) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٢ .

(٤) الولاه ، ص ٦٨ .

(٥) البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ١٩٥ ، ٢١١ ، ٢١٢ .

هجرة القيسية[1] إلى مصر لاحداث التكافؤ العربي :

كان تشجيع القيسية على الهجرة إلى مصر هدفاً سياسياً اقرته الدولة الأموية ولاسيما فى عهد هشام بن عبد الملك ، إذ كان هشام يرمى إلى اضعاف شأن القبائل اليمنية بالاعلاء من مركز القيسية ، وذلك بعد أن غلب العنصر السبئى على تلك الجماعات القليلة من العدنانية منذ الفتح العربى وحتى أوائل القرن الثانى من الهجرة .

فمن الملاحظ أن نزوح تلك الجماعات من قريش وثقيف وغفار ودوس وعبس إلى مصر لم تكن ذات أعداد وفيره حتى أنه لم يكن لكل بطن من هؤلاء من العدد ماينفرد بدعوة من الديوان ، لدرجة أنهم نزلوا جميعا فى

---

(١) القيسية تعنى تلك القبائل العربية التى نزحت من بدو الحجاز بخاصة إلى مصر وغيرها من البلدان التى تم فتحها ، واتخذت أسماء متعددة نسبة لاسماء الاجداد الأوائل كالاسماعيلية والعدنانية والمضرية والنزارية وأن غلب عليهم اسم القيسية أو قيس نسبة إلى قيس عيلان بن مضر . وقد قال قوم : قيس بن عيلان بن مضر ، والصحيح قيس عيلان كما قال الشاعر نصر ابن سيار ، وقد صار هذا الاسم مقابلا لعرب اليمن قاطبة أو السبئية واليمانية واليمنية كما شاع ذلك اثناء واقعة مرج راهط عام ٦٤هـ ، فقيل أن المعركة دارت بين اليمانية والقيسية نظرا للقبائل العربية التى اشتركت فيها . ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ١٠ ، ٢٤٣ – ٢٤٤ ، الطبرى : تاريخه ، جـ ٥ ، ص ٥٣٥ ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٩٥ – ٩٦ .

خطة واحدة سميت بخطة أهل الراية مع فئات أخرى من قبائل اليمن بالفسطاط[1] .

والواقع أن هجرة قبائل العدنانيين من قيس فى سنة ١٠٩ هـ كانت أكبر تلك الهجرات العربية وأكثرها عددا ، مما يدل على أن الامر لم يكن من قبيل المصادفة ، بل كان يهدف إلى الحد من سيطرة العنصر اليمنى الذى كان مازال يمثل الغالبية من عرب مصر حينذاك . يقول الكندى أن عبد الله بن الحبحاب لما ولّى خراج مصر من الخليفة هشام كتب إليه يقول[2] : أن امير المؤمنين - أطال الله بقاءه - قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم وانى قدمت مصر فلم أر لهم حظا إلا أبياتا من فهم[3] ، وفيها كور ليس فيها أحد ، وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ، ولا يكسر ذلك خراجا وهى بلبيس فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل ، فكتب إليه ابن هشام ، أنت وذلك ....

ثم يذكر الكندى بعد ذلك أن هشاما أرسل إلى البادية فاستقدم أربعمائة أهل بيت من بطون قيس المختلفة وأوفدها إلى مصر فنزلت بالحوف الشرقى

---

(١) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٥٧ .

(٢) الولاه ، ص ٧٧ ، المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) فهم هم بطن من بنى جديلة من قيس عيلان وكانت خطتها بالفسطاط ومنهم الوالى عبد الملك ابن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمى الذى ولى امارة البلاد من قبل الوليد بن عبد الملك . الكندى : المصدر السابق ، ص ٦٦ ، المقريزى : المصدر السابق ، ص ٥٦٧ ، ابن دقماق : المصدر السابق والجزء ، ص ٥ .

حول بلبيس . وأمرهم بالزرع[1] ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها إليهم فاشتروا ابلا فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم وكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل ثم أمرهم باشتراء الخيول ، فجعل الرجل يشترى المهر فلا يمكث إلا شهرا حتى يركب وليس عليهم مؤونة فى أعلاف ابلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم .

وقد شجع القيسيين هذا الأمر على استمرار نزوحهم إلى مصر ، يقول الكندى فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت ، فمات هشام وببلبيس الف وخمسمائة أهل بيت من قيس .

وهكذا كانت سياسة الأمويين ترمى إلى إحداث التكافؤ بين القبائل

(١) ولعل قيس كانت أول من قام بالزراعة فى هذه المنطقة ، ويربط استاذنا الدكتور عبد المنعم ماجد بين استيلاء القيسية على أرض الحوف الشرقى وبين انتفاضة القبط لاول مرة فى مصر سنة ١٠٧ هـ ، وإن كان مؤرخنا الكندي يعزى تلك الانتفاضة إلى زيادة الخراج ، فقد كتب عبد الله الحبحاب عامل الخراج إلى هشام الخليفة أن أرض مصر تحتل الزيادة ، فزاد على كل دينار قيراطا ، فانتفضت لذلك كورة تنو ونمى وقربيط وطرابية وعامة الحوف الشرقى ، الولاه ، ص ٧٣ ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٨ ، حسين نصار : الثورات الشعبية فى مصر الاسلامية ، ص ٦٤ . المكتبة الثقافية .

العربية فى مصر ، وخاصة فى جهة الحوف الشرقى ، مما يقلل من الاخطار الناجمة عن تفرد اليمنيين بها واستئثارهم بالنفوذ فيها[1] .

فقد أدرك الأمويين وحكامهم بمصر أنهم على استعداد لاثارة الاضطراب والفتن والوقوف إلى جانب الفئات المناوئة للحكم الأموى كالزبيريين والعلويين والخوارج .

وقد استمر توافد قيس على مصر ونزولهم بأرضها طوال الفترة الباقية من حكم الامويين حيث كانت سياسة مروان بن محمد تنطوى على الاتحاد مع القيسية ضد اليمنيين ، يقول الكندى[2] فمات مروان بن محمد وبمصر ثلاثة آلاف أهل بيت ، ثم توالدوا ، وقدم عليهم من البادية من قدم .

وعلى أية حال فإن السياسة الأموية لم تحقق أهدافها من توافد قيس على مصر ، وعلى الرغم من لجوء مروان فى آخر ايام حكمه إلى القوة وإرسال أحد القيسيين واليا على مصر وهو حوثرة بن سهل الباهلى ، الذى قدم إلى الديار المصرية فى سبعة آلاف رجل من أهل حمص والجزيرة وقنسرين[3] فإنه يمكن القول بأن ذلك كله لم يحدث التكافؤ المطلوب فى القوى العربية لمساعدة الامويين ، فمما يذكر أن مروان حينما قدم إلى مصر فى سنة ١٣٢هـ[4] وجد أهل الحوف الشرقى ، وأهل الاسكندرية ، وأهل الصعيد

---

(١) المقريزي : البيان والاعراب ، ص ١٠١ .

(٢) الولاه : ص ٧٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٨٨ .

(٤) ابن الكندي : فضائل مصر ، ٤٣ .

وأسوان قد سودوا وأصبحوا من أعوان العباسيين[١] – على نحو ما سنوضحه بعدذلك – ولم يجد بدا من احراق بعض جهات الحوف النشرق والفسطاط[٢] .

ويبدو أن جموعا كثيرة من قبيلتى لخم وجذام ، كانت لهما الزعامة فى منطقة الحوف الشرقى ، بعد ماأصابها فى ثلث الأحداث ، راحت تنطلق نحو الدلتا ثم اتجهت غربا إلى الاسكندرية تاركين بعض أقاربهم فى الحوف الشرقى ، حتى غدت لخم أقوى القبائل فى الاسكندرية فى عصر الولاه العباسيين[٣] .

كما يذكر المقريزى أن لخما انساحت نحو الجنوب واستقرت بصعيد مصر ، حيث كانت تتفرغ إلى بطون عديدة مثل بنى الجود وغيرهم ، وكان هؤلاء ينقسمون إلى عدة بطون ، منهم بنو مسعود وبنو حرير وبنو زبير وبنو ثمال وبنو نصار ، وأيضا بنو جدير الذين نزلوا بالأطفيحية[٤] بالبر

---

(١) الكندي : المصدر السابق ، ص ٩٥ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٧١ .

(٢) المصدر السابق ، والصفحة .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٦٢ .

(٤) الاطفيحية احدى الكور المصرية وجزايرها اسكر ، العدوية ، البرنبل ، الخرس ، الدغشية ، كما وردت فى قوانين الدواوين وهى احدى كور الوجه القبلى بعد الجيزة ويليها البوصيرية والفيومية والبهنساوية من جهة الجنوب ، وقد اندثرت اطفيح ومكانها اليوم كوم اطفيح الواقع بأراضى ناحية عزبة قلمشار بمركز اطسا بمحافظة الفيوم ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ١٠٢ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ، محمد رمزى القاموس الجغرافى ، جـ ١ ، ص ٢١ .

الشرقى للنيل[1] .

وقد استمرت رحلة القبائل العربية وهجرتها إلى مصر ، بعذ سقوط الخلافة الأموية ، ويمكن القول بأن السياسة الاموية ، وإن عملت على تشجيع القيسية وهجرتهم إلى البلاد فى خلافة هشام بن عبد الملك وما يليها ، فإنها لم تفلح فى إيجاد نوع من التكافؤ بين القوى العربية فى مصر ، وفى تحقيق ماكانت تصبو إليه من مؤازرة الحكم الأموى ومساندته ضد هؤلاء الخارجين عليه من العلوية والخوارج والفئات المناوئة الاخرى من اليمنية .

(١) المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٩ حاشيه .

الفصـــل الثانـــى

موقف القبائل اليمنية فى مصر ازاء الأحداث السياسيــة

١ – الثوار المصريون من عرب الجنوب فى عهد عثمان ابن عفان .

٢ – ثورة عبد الله بن الزبير وموقف اليمنيين منها .

٣ – الخوارج اليمانية فى مصر أيام الأمويين .

٤ – موقف اليمنية فى مصر من خلافة مروان بن محمد .

١ - الثوار المصريون من عرب الجنوب فى عهـد عثمـان بـن عفـــان

أثار رحيل عمرو من مصر إلى المدينة فى أعقاب الفتح كره أهل مصر من العرب ، فقد رفض عمرو سياسة عثمان الذى رأى عزله عن ولاية مصر وجعل عبد الله بن سعد واليا عليها بدلا منه[١] ، فأخذ يؤلب الناس عليه ، وأخذت طائفة من أبناء الصحابة تؤلب الناس على الخليفة عثمان والانكار عليه فى عزل عمرو ، وتولية من دونهم[٢] .

وكان على رأس هؤلاء الناقمين محمد بن أبى حذيفة ، الذى كان يطمع أن يلى بعض أمور المسلمين بعد أن ولى عثمان الخلافة ، لكن عثمان رفض ماطلب ، فقد وصله أنه يشرب الخمر فقال له : « لو كنت رضيا لوليتك ولكنك لست هناك » . وحين خرج عبد الله بن سعد قاصدا المدينة للقاء الخليفة وللتشاور فيما يتكلم الناس فيه بالطعن على عثمان ، قام ابن حذيفة بالدعوة لخلع عثمان وحرض عليه بكل ماستطاع ، وقد أخرج عقبة بن

---

(١) رفض عمرو سياسة عثمان إذ أراد أن يكون على الحرب وعبد الله ابن سعد على الخراج ، وكان رد عمرو : أنا لاأكون كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها ، وكان عمرو يطمع فى عزل عبد الله ابن سعد عن الصعيد ، لكن عثمان رفض ذلك وقال كيف أعزله وقد غيرى يعنى عمر بن الخطاب . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، الكندي : الولاه ، ص ١٠ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٨٠ .

عامر خليفة ابن سعد من الفسطاط[1] . وجعل يكتب الرسائل على ألسنة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ويأخذ الرواحل فيضمرها ثم يأخذ الرجال - كما يقول الكندى[2] - الذين يريد أن يبعث لذلك معهم فيجعلهم على البيوت فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلوجههم تلويح المسافر ، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر ، ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم ، وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا ليس عندنا خبر ، الخبر فى الكتب ، ثم يخرج محمد بن أبى حذيفة والناس كأنه يتلقى رسل أزواج النبى عليه الصلاة والسلام ، فإذا لقوهم قالوا : لا خبر عندنا عليكم بالمسجد ، فيقرأ عليهم كتب أزواج النبى ، فيجتمع الناس فى المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير ، ثم يقوم القارىء بالكتاب ، فيقول : أنا لنشكو إلى الله واليكم ما عمل فى الاسلام وما صنع فى الاسلام فيقوم أولئك الشيوخ من نواحى المسجد بالبكاء .

ولما رأت شيعة عثمان ذلك اعتزلوا محمد بن أبى حذيفة . والحق أن فريقا من اليمنيين كانوا من أنصار عثمان ، يظهر ذلك من اسماء الوفد الذى بعثوا به إلى المدينة لكى يطلع الخليفة على مجريات الأمور بالفسطاط . فمن هذه الاسماء التى ذكرها الكندى[3] : عمرو ابن قحزم الخولانى وسعد بن مالك

---

(١) الكندى : الولاه ، ص ١٤ - ١٥ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٥ .

الأزدى ومسلمة بن مخزمة التجيبي وأحد بنى زميله وهو من قبيلة تجيب أيضا ، وهكذا يمكن القول بأن أهل اليمن بمصر لم يكونوا جميعا من مثيرى الفتنة أو الرافضين لسياسة عثمان فى ذلك الوقت .

كما أنه يمكن القول أيضا بأن أولئك الشيوخ كان معظمهم من قبائل اليمن الذين كانوا يرون أحقية عمرو فى امارة البلاد ، ورفض سياسة عثمان فى تفضيل ذوى قرباه امثال عبد الله بن سعد واستعمالهم على الولايات المختلفة[1] .

كما كان خروج عبد الله بن سبأ من الشام ودخوله مصر ودعوته لعلى ابن أبى طالب فى أحقيته بالخلافة[2] . أثر كبير فى تهيئة الظروف ضد السياسة العثمانية التى كانت تطالب حينذاك بخلع عثمان من الخلافة ولاسيما فى الأمصار كالبصرة والكوفة ومصر ، ويبدو أثر ذلك واضحا فى أنه حين وفد

(١) كان عبد الله بن سعد أخا عثمان من الرضاعة ، وقد أهدر دمه النبى عليه الصلاة والسلام ، وذلك بسبب أنه أسرف فى السخرية من النبى ، وقد نزل القرآن بكفره وذمه ، ولكن عثمان جاء به مسلما إلى النبى ، فلم يجد النبى عليه سبيلا . طه حسين : الفتنة الكبرى . جـ ١ ، ص ١٢٤ .

(٢) ظهر ابن سبأ فى ذلك الوقت ببلاد اليمن ، وكان يهوديا ثم أسلم ، ويقال أنه تظاهر بالاسلام ليعمل على تقويض أركانه والتفرقة بين أتباعه ، وقد ارتحل بعد اسلامه ، فزار الحجاز وتركها إلى العراق ، فمر بالبصرة والكوفة ، ثم سافر إلى الشام ومصر ، وينفى الدكتور طه حسين وجود شخصية باسم عبد الله بن سبأ وذلك لاسباب منطقية . الطبري : تاريخه ، جـ ٤ ، ص ٣٤٠ ، الفتنة الكبرى ، ص ١٣١ – ١٣٤ .

على مصر عمار بن ياسر الصحابى الجليل رسولا من قبل عثمان لدراسة الحالة والظروف التى أدت إلى تذمر الناس وسخطهم عليهم[1] ، نجح عبد الله بن سبأ فى استمالة عمار وسرعان ما نضم إلى شيعة السبئية . وكان ابن سبأ قد نجح من قبل فى الشام فى أن يوغر صدر أبى ذر الغفارى ويحرضه ، فراح يحرض الفقراء ضد الأغنياء حتى استمعوا له والتفوا حوله . ولم يجد معاوية بدا من رفع الأمر إلى عثمان . فأرسل فى طلبه ولما وصله أمره أن يقيم فى الربذة بالقرب من المدينة[2] .

كان من أقوى الأسباب لاشعال نار الفتنة فى مصر ضد الخليفة عثمان خروج البلويين واعلانهم خلع الطاعة والعصيان ، وكان هؤلاء قد ازداد عددهم فى مصر بعد هجرتهم التى قاموا بها من الشام فى أواخر عهد عمر ابن الخطاب[3] ، ومما لا شك فيه أنهم تأثروا كثيرا عندما عزل عمرو عن ولاية مصر ، وقد شاركوه الفتح وكانوا يقفون بالأمر القريب تحت رايته ، لما كان له من صلة الدم والقرابة التى تربطهم به[4] .

لم تقف الثورة فى مصر عند حد عصيان الخليفة ، بل فكر محمد ابن أبى حذيفة فى استغلال تلك الظروف ، وفى ارسال جيش من مصر إلى عثمان ،

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٨ .
(٢) الطبري : تاريخ الطبري ، جـ ٤
(٣) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٦١ ، المقريزي : البيان والاعراب ، ص ٢٩ .
(٤) المصدر السابق ، والصفحة .

وكما أشار الكندى[1] فإنه استطاع أن يحشد ستمائة رجل على كل مائة رئيس ، أما قائدهم الأعلى فكان عبد الرحمن ابن عديس البلوى ، ذلك الصحابي الشهير الذى اختط له بالفسطاط دارا فخمة أطلق عليها الدار البيضاء[2] .

وقد ذكر الكندي اسماء هؤلاء القواد الذين ثاروا وانضموا إلى ابن ابى حذيفة فكانوا رؤساء فى جيش الثوار ، وهم : كنانة بن بشر بن سلمان التجيبي وعروة بن شيتم الليثي وأبو عمرو بن بديل ابن ورقاء الخزاعى ، وسودان بن أبى رومان الأصبحى ، ودرع بن يشكر اليافعى[3] .

وهناك رواية أخرى أوردها الطبرى تقول بأن أهل مصر خرجوا فى أربع رفاق على أربعة أمراء ، وأن عدد الجيش كان يتراوح بين ستمائة وألف للمكثر ، وأن قائد الجيش هو الغافقى بن حرب العكى وليس عبد الرحمن ابن عديس البلوى[4] .

وإذا تتبعنا أسماء هؤلاء الرؤساء أو القواد نجد أن غالبيتهم من بطون رعين وخزاعة وأصبح وتجيب من قبائل اليمن .

(١) الولاه ، ص ١٧ ، سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١١٨ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٢ .
(٣) الكندى : الولاه : ص ١٧ - ١٨ .
(٤) تاريخه : جـ ٤ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

ومما زاد الثوار حمية فى مصر أنه حين أقبل عبد الله بن سعد والى مصر آنذاك وبلغ القلزم ، وجد بها خيلا لابن حذيفة ، حيث منعته هذه الفرقة من دخول البلاد ، فانصرف إلى عسقلان[1] . وعندئذ خرج الثوار من مصر ، فى الوقت الذى كان خروج عرب الكوفة والبصرة ، متجهين نحو المدينة ، وكان الجميع يجمعون على اتهام قريش والحقد عليها لما تمتعت به من خيرات الفتوح دونهم ، فهؤلاء الذين قامت الفتوح على أكتافهم ، كانوا يريدون أن يكون لهم رأى مسموع فى اختيار الخليفة ، وفيمن يولى عليهم من الولاة أو العمال سواء فى مصر أو فى غيرها من الأمصار[2] .

وقد سار جيش مصر الثائر نحو المدينة فى شوال سنة ٣٥ هـ وخرج فى نفس الوقت جموع من الكوفة والبصرة للتعبير عن سخطهم على سياسة عثمان ، وأظهروا أنهم يريدون الحج حتى لا يتعرض أحد لهم ، وعلى الرغم من أنه قد خرج من كل من هاتين المدينتين عدد غير قليل ، فإن المصريين كانوا أظهر من غيرهم فى هذه الفتنة ولذلك فهم فى الواقع يتحملون وزرها[3] .

كان طلب الثوار من عرب مصر أن يعزل عنهم ابن أبى السرح ويولى

(١) الكندى ، الولاه ، ص ١٧ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٣ .

(٢) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية جـ ٢ ، ص ٣٥٨ .

(٣) الطبري : تاريخه : جـ ٤ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، ص ٦٦ .

محمد بن أبى بكر أميرا[1] عليهم فأجابهم إلى ذلك[2] . والواقع أنه بدلا من أن يظهر الخليفة قوة وحزما أمامهم ، فإنه لجأ إلى مفاوضتهم والرضوخ لمطالبهم ، مما جعل الثوار المصريين وغيرهم من عرب الكوفة والبصرة يقبلون العودة إلى الأمصار[3] .

وربما كادت الفتنة أن تنتهى عند هذا الحد ، ولكن بينما هم فى طريق العودة ، إذ وقع فى أيديهم كتاب مرسل من عثمان إلى عامله على مصر ابن أبى السرح يأمره بجلد المتمردين ويقتل محمد بن أبى بكر وجماعة معه[4] .

والحقيقة أنه لايعرف من الذى زور هذا الكتاب وجعل عليه خاتم عثمان ، فقد أنكر الخليفة تماما أنه لاعلم له بأمر هذا الكتاب الذى قيل أنه كتب بخط مروان بن الحكم وزوره على خاتمه[5] . ومهما يكن فقد أسرع البلويون وغيرهم من عرب الأمصار بالعودة إلى المدينة ليجابهوه بالكتاب ، ولكن انكاره كان سببا مباشرا لتحريض الثوار المصريين على محاصرة دار عثمان وقتله .

---

(١) كان محمد بن أبى بكر قد انضم إلى الثوار ولشيعة على وذلك لما كان بينه وبين على من ناحية وبين الحسين بن على من ناحية أخرى من صلة النسب ، وتشير المصادر إلى أن عليا قد تزوج اسماء بنت عميس أم محمد بن أبى بكر بعد وفاة الصديق ، وكذلك كان محمد والحسين زوجين لابنتى يزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٨٠ .

(٣) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٨ .

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٥) نفس المصدر السابق والصفحة ، السيوطى : المصدر السابق ، والجزء ، والصفحة .

وتشير المصادر إلى أن الثوار جعلوا يحاصرون داره بقصد تعطيشه ومنع القوة عنه[1] ، حتى يخلع نفسه من الخلافة ، ولكن عثمان رفض وقال : لا أخلع قميصا ألبسينه الله[2] .

ولما سمع المحاصرون بأن عثمان قد كتب إلى معاوية وإلى عماله بالأمصار يستنجد بهم ويأمرهم بارسال الجنود إليه لينصروه أحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بأن يسلمهم مروان ، فأبى أن يخلى عنه[3] .

ويذكر المسعودى أنه لما بلغ عليا أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته ، وأمرهم أن يمنعوه منهم . وليس من شك فى أن الثوار المصريين كانوا أظهر الناس فى محاصرة الدار والحرص على قتل عثمان[4] ، فقد اشتبك القوم من أبناء على والصحابة وجرح من جرح منهم ، وأحرق المصريون باب الدار ، وتشير المصادر إلى أن الذى قتل عثمان هم من عرب مصر الثائرين ، وذكر السيوطى أن الذى باشر قتله رجلا من أهل مصر من كنده يسمى أسود بن حمران ، وقيل اسمه

---

(١) المسعودى : مرج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ الطبري ، جـ ٤ ، ص ٣٧٥ ، طه حسين : الفتنة الكبرى ، ص ٢١٠ .

(٣) المسعودي : المصدر السابق ، والجزء والصفحة .

(٤) بلغت مدة حصار عثمان فى داره تسعا وأربعين يوما وقيل : أكثر من ذلك . المصدر السابق والجزء والصفحة .

سودان بن رومان المرادي ، كما نقل الطبري عن الواقدي أن الذى قتل عثمان كنانة بن بشر بن غيات التجيبي[1] .

أما المسعودى[2] فقد ذكر أن الاثنين معا كنانة بن بشر التجيبي وسعد ابن حمران المرادي اشتركا فى قتل الخليفة عثمان رضى الله عنه[3] .

وقد لقى أسود بن حمران جزاءه حيث أمكن قتله فى نفس الوقت الذى قتل فيه الخليفة[4] .

وظهر مدى النقمة من جانب الثوار المصريين على سياسة عثمان وأقاربه ، فيما فعلوه فى المدينة حيث استباحوا حرمتها ، يقول السيوطي نقلا عن

---

(١) قال الشاعر فى تلك المناسبة :
ألا أن خير الناس بعد ثلاثة ... قتيل التجيبى الذى جاء من مصر الطبري : تاريخه ، جـ ٤ ، ص ٣٩٤ .

(٢) مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٣) تشير المصادر إلى أن عثمان كان جالسا في محرابه يقرأ القرآن فضربوه بالسلاح وبعجوا بطنه بالحراب وشدخوا هامته بالعمد فسال دمه على المصحف فى حجره وقد حاولت زوجته نائلة بنت الفرافصة من قبيلة كلب اتقاء السيوف بيدها فقطعوا اصبعين من أصابعها . الطبرى : تاريخه ، جـ ٤ ، ص ٣٤٠ ، طه حسين : الفتنة الكبرى ، ص ١٣١ ، ١٣٤ .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٨٠ .

الوافدي[١] : « فعل المصريون فى المدينة من الشرما لا يفعله فارس والروم ، ونهبوا دار عثمان ، وعدلوا إلى بيت المال فأخذوا مافيه ، وكان فيه شيىء كثير جداً » وذلك فى ذى الحجة سنة ٣٥ هـ .

وقد عاد الثوار إلى مصر ، فلما دخلوا الفسطاط ارتجز مرتجزهم :

خذها إليك واحذرن أبا حسن

انا نمر الحرب امرار الرسن

بالسيف كى تخمد نيران الفتن

وقد ذكر الكندي[٢] أنهم لما دخلوا المسجد صاحوا فى الحاضرين انا لسنا قتلة عثمان ، ولكن الله قتله . ولما رأى شيعة ذلك انصرفوا من المسجد ، وعقدوا لمعاوية بن حديج عليهم وبايعوه ، فكان أول من بويع على الطلب بدم عثمان فى مصر .

وقد شب النزاع بين أنصار العثمانيين وعلى رأسهم معاوية ابن حديج[٣]

---

(١) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٨٠ .

(٢) الولاه ، ص ١٧ – ١٨ ، المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٥ .

(٣) ينسب معاوية بن حديج إلى قبيلة السكون وهى احدى بطون كنده فى مصر ، وقد كانت السكون تعتنق اليهودية ولما ظهر الاسلام ساعدت فى ادخاله اليمن ، فعدها الرسول خير القبائل التى مسحها . واشتركت منها فرقة فى فتح فارس ومن المرجح أن هذه الفرقة الكبيرة قد انضمت بعد ذلك إلى جيش عمرو الذى سار لفتح مصر . البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ١٤٢ .

وبين شيعة على بقيادة محمد بن أبى حذيفة وقد أدى ذلك إلى وقوع الحرب بينهما ، ويذكر الكندي أن شيعة عثمان حققوا النصر على قوات ابن ابى حذيفة مرتين ، احداها فى قرية دقانش[1] من كورة البهنسا بالصعيد ، والأخرى فى خربتا بنواحى البحيرة ، وذلك فى سنة ٣٦ هـ .[2]

وهكذا نرى عرب مصر من أهل اليمن لم يكن جميعهم من أنصار فريق واحد أو حزب من الأحزاب السياسية المناوئة سواء العثمانية أو العلوية ، وإنما كان هناك فريق منهم يميل إلى العلوية كالبلويين والحديجيين بقيادة معاوية ابن حديج زعيم السكون الذى لعب دوراً هاما فى إخماد نار الفتنة ، فبفضله خرجت مصر من سلطان على وشيعته إلى سلطان معاوية والأمويين[3] .

وحين سار معاوية بن أبى سفيان إلى مصر فى شوال سنة ٣٦ هـ ، خرج إليه ابن أبى حذيفة ومن معه ليمنعوا معاوية وأصحابه من دخولها ، وقد بعث إليه معاوية : انا لا نريد قال أحد إنما جئنا نسأل القود[4] بدم عثمان ، ادفعوا إلينا قاتليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وهما رأس القوم ، وقد رفض ابن أبى حذيفة طلب معاوية فقال : لو طلبت منا جديا رطب السرة بعثمان مادفعناه إليك[5] .

(١) اسمها الأصلى تاكونا Tacona وقد اندثرت هذه القرية وأضيف زمامها إلى ناحية مزوره مركز ببا بمحافظة بنى سويف : محمد رمزى : القاموس الجغرافي ، القسم الأول ، ص ٢٤٧ .
(٢) الولاه ، ص ١٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٥٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٨ — ٢١ .
(٤) القود : بفتحتين القصاص وأقاد القايل بالقتيل قتله به . الرازى : مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، ص ٥٥٥ مادة قود .
(٥) الكندي : المصدر السابق ، ص ١٩ .

ويظهر من رواية الكندى أن معاوية اتخذ الحيلة والدهاء عندئذ حتى قبل الثوار ماطلب من شروط الرهن . وحين خرج ابن عديس البلوى ومعه كنانة بن بشر وأبو شمس بن أبرهة الصباح وغيرهم[1] من قتلة عثمان ، أمر معاوية بزجهم فى السجن فى اللد بفلسطين وعاد إلى دمشق[2] .

والواقع أن الأمر لم ينته عند هذا الحد بل تم قتل هؤلاء الثوار والتخلص من زعمائهم وذلك فى آخر عام ٣٦ هـ ويبدو أن الامر اشتد عليهم وخاصة بعد أن عين على مصر قيس بن سعد بن عبادة سنة ٣٧ هـ ، وكان من ذوى الرأى والبأس ، ولقد احتال كل من معاوية وعمرو بن العاص على اخراجه من ولاية مصر ، ونجحا فى ذلك ، حين صرفه الامام على عن مصر وعين الآشتر بدلاً منه[3] . وعندما دخل عمرو بن العاص سنة ٣٨ هـ من قبل معاوية ابن أبى سفيان وأثناء فترة انتظار اجتماع الحكمين بدومة الجندل ، عمل عمرو على محاربة هؤلاء اليمنية من شيعة على وأوقع الهزيمة بهم بالمسناة بالقرب من عين شمس[4] ، وأمكنه القضاء على محمد بن أبى بكر

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٢) وتشير الرواية إلى أن عبد الرحمن بن عديس البلوى استطاع ومن معه الهرب من السجن ، ولكن أحد جنود معاوية وكان من الفرس تمكن من مطاردة عبد الرحمن حتى تمكن من قتله وكان يستحلفه قائلا له : اتق الله فى دمى فإنى بايعت النبى صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فقال له : الشجر فى الصحراء كثير وقتله . المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٠ – ٢١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٨ .

وكان قد تولى امارة مصر من قبل على بن أبى طالب فى سنة ٣٧ هـ[١] .

ولم تجد الحيلة من جانب ابن أبى بكر الذى حاول الاختفاء فى بيت رجل من قبيلة غافق احدى بطون الأزد اليمنية بالفسطاط ، يقول له معاوية ابن حديج السكونى أحد قادة معاوية حين تم القبض عليه[٢] : « قتلت من قومى ثمانين رجلا فى عثمان وأتركك وأنت صاحبه ، فقتله ثم جعله فى جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار[٣] . وهكذا استطاع معاوية فى نفس الوقت أن يثأر لبنى جلدته من أهل اليمن » .

---

(١) ذكر المقريزى أنه لما ولى ابن ابى بكر عمل على هدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذراريهم ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٤ .

(٢) الكندي : الولاه ، ص ٢٩ .

(٣) نقل الكندى عن يزيد بن أبى حبيب : أن معاوية بن حديج قال : يقتل كنانة بن بشر ويترك محمد بن أبى بكر وإنما أمرهما واحد المصدر السابق ، والصفحة .

٢ – ثورة عبد الله بن الزبير وموقف اليمنيين منها

كان عبد الله بن الزبير من أبناء الصحابة الذين رفضوا البيعة ليزيد بن معاوية[١]، فقد كانوا يعلمون منزلتهم العظيمة فى نفوس المسلمين، فإذا ماأصبح الأمر شورى لوقع الاختيار على أحدهم ليكون خليفة، ولذلك جاءت المعارضة من ناحيتهم، وكان امتناعهم عن مبايعة يزيد[٢]، وقد ظلوا على هذه الحال حتى توفى معاوية سنة ٦٠ هـ[٣].

لم يكد يتولى يزيد الخلافة حتى شرع أهل الكوفة – وهم شيعة على يفاوضون الحسين فى الخروج إليهم لمبايعته، لكن الأمر – كما هو معروف – لم يتحقق بالنسبة له، حيث تم استشهاده فى واقعة كربلاء سنة ٦١ هـ[٤].

أما عبد الله بن الزبير، فقد أظهر ماكان يخفيه حين بلغه مقتل الحسين، وطلب الخلافة لنفسه وعلا أمر الزبير بمكة، وكاتبه أهل المدينة، وبعث إلى عبد الله بن عمر بمصر يخبره بأمر أخذ البيعة له وكان صديقاً له[٥].

---

(١) الطبرى : تاريخه، جـ ٥، ص ٣٠٣.

(٢) يقول الطبري : بايع الناس ليزيد بن معاوية غير الحسين بن على وابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر وابن عباس، نفس المصدر والصفحة.

(٣) المسعودى : مروج الذهب، جـ ٣، ص ٦٣.

(٤) أبو الفرج الاصفهانى : مقاتل الطالبين، ص ٥١.

(٥) الطبري : المصدر السابق، والجزء، ص ٤٧٥ – ٤٧٦.

ويبدو أن هذا الانكار لبيعة يزيد ومحاولة استئثار بنى أمية بالأمر دون غيرهم هو الذى دفع بغالبية عرب مصر إلى تأييد عبد الله بن الزبير عند طلب الخلافة لنفسه[1] . والواقع أنه ليس لدينا نصوصا تاريخية توضح لنا الأسباب التى أدت إلى تأييد اليمنية فى مصر لابن الزبير ، على الرغم من محاولة الأمويين تقريبهم إليهم من دون القيسية ، بعد أن تم القضاء على رؤوس الفتنة منهم[2] كما أشرنا من قبل .

ولعل شيغة على من السبئية فى مصر وجدوا الفرصة سانحة للتعبير عن سخطهم ورفضهم لبيعة يزيد ، فأظهروا تأييدهم لابن الزبير ظنا منهم أن هؤلاء الخوارج انما هم فريق منهم ، ومما يدل على ذلك قول الكندي : « وكانوا يحسبونهم على مذهبهم » .

كما يظهر لنا من رواية الكندى أيضا أن عرب مصر من اليمنية أظهروا استيائهم عندما ولى يزيد عليهم بن يزيد الازدى[3] سنة ٦٢ هـ ، وكان من

---

(١) دخل عبد الرحمن بن الزبير مصر فى أيام الفتح حيث يقول الطبري وكان مع أبيه بمصر ، وكان قد قرأ كتاب دنيال هناك ، ويذكر ابن عبد الحكم أن عبد الله كان ينزل فى دار ابيه التى اختطها بالفسطاط إذا قدم إلى مصر بعد ذلك ، ومما يذكر أن هذه الدار أخذها منهم الخليفة عبد الملك بن مروان ، ولكن هشاما ردها عليهم . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٩ ، تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٤٧٧ ،

Lane — Poole: A History of Egypt in the Middle Ages, P.29.

(٢) الولاه ، ص ٤٠ — ٤١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٦ .

الشام ، وحين قدم سعد واليا على جند مصر ، تلقاه عمرو بن قحزم الخولانى من قبيلة خولان اليمنية المعروفة[1] فقال : « يغفر الله لأمير المؤمنين ، أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يول علينا أحدهم »،ويستطرد الكندى فى رواية الليث بن سعد ، قائلاً : « ولم تزل أهل مصر على الشنآن له والأعراض عنه والتكبر عليه حتى توفى يزيد سنة أربع وستين »[2] .

وقد عبر أهل مصر من الخوارج الذين أظهروا تأييدهم لمناصرة ابن الزبير ، وذلك عندما أرسلوا إليه وفدا منهم يسأله أن يبعث إليهم بأمير يقومون معه ويؤازرونه . فبعث إليهم ابن الزبير بعبد الرحمن ابن جحدم الفهرى واليا ، فقدم إلى مصر فى طائفة من الخوارج عام ٦٤ هـ ، فوثبوا على والى مصر سعيد بن يزيد ، فاعتزلهم[3] .

وليس معنى ذلك أن الامويين قد إنعدمت لهم الانصار أو الاتباع من السبئيين أو اليمنية فى مصر فى ذلك الحين ، فالكندى[4] وهو عمدتنا فى هذا

(١) اشتهرت قبيلة خولان وكانوا كثيرين فى مصر ، وعلى شواهد القبور اسماء عدد ضخم منهم من القرن الثالث بخاصة ، كما أن ذكرهم فى أوراق البردى ،

— G. Wiet: Repertorie Chro, tome 2, PP. 54,62,80,I29,I62,I65,207

— AGrohman : Arabic pupyri in Egyptian Library, Tome 2, PP. I79,181.

(٢) الولاه ، ص ٤٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤١ .

(٤) الولاه ، ص ٤٢ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٦ .

الصدد – يذكر لنا أسماء هؤلاء الشيوخ من قبائل اليمن الذين ظلوا من شيعة بنى أمية منهم كريب بن أبرهة الأصبحى ، ومقسم بن بجرة التجيبى ، وزياد بن حناطة التجيبي وعابس بن سعيد وغيرهم ، فلم يكونوا راضين فى قرارة أنفسهم من مبايعة ابن الزبير وتولى ابن جحدم عليهم .

واقعة مرج راهط عام ٦٤ هـ وأثرها فى انبعاث روح العصبية القبلية :

وفى تلك الاثناء توفى يزيد ، ووقع الخلاف بين عرب الشام فيمن يولونه الخلافة ، فاجتمعت قبائل كلب وقضاعة وغسان والسكاسك والسكون إلى الجابية بالقرب من دمشق يقودهم حسان بن مالك الكلبى رئيس قحطان وسيدها بالشام ، وأجمعوا على مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة فى ذى القعدة سنة ٦٤ هـ[(١)] .

وقد ظهر العداء واضحا من جانب القيسية بالشام ، فمالت إلى عبد الله ابن الزبير عدو بنى أمية ومنافسيه مما أدى إلى وقوع الصدام بين اليمنية والقيسية على أرض الشام ، حيث خرج مروان ومعه يمانية الشام ونزلوا مرج راهط ، وخرج إليهم الضحاك بن قيس الفهرى ، وقد انحازت قيس وسائر مصر وغيرهم من النزارية إلى الضحاك ، ومعه قوم من قضاعة عليهم وائل بن عمر والعدوى ، فكانت بينهم الحروب سجالا ، « يقول المسعودى »[(٢)] وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك بن قيس

(١) تاريخ الطبري : جـ ٥ ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٩٥ .
(٢) مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٩٥ .

قائد جيش ابن الزبير ، كما قتل معه خلق كثير ، وهكذا انتصرت اليمانية على القيسية فى مرج راهط[1] ، وكان لها الأثر البالغ فى انبعاث روح العصبية القبلية بين العرب بعد أن كان الاسلام قد أخمدها حينا من الزمن ، ففى كل قطر انقسم العرب إلى يمنية ومضرية كما وقع فى مصر والشام وغيرها[2] .

وقد اسرع مروان إلى مصر ليستردها من هؤلاء الخوارج ومن واليها ابن جحدم المعين من قبل ابن الزبير وللقضاء على هؤلاء المناصرين للزبيرية بمصر وهكذا سار مروان إلى مصر ومعه خالد بن يزيد بن معاوية ومالك بن هبيرة فى اشراف كثير كما بعث ابنه عبد العزيز فى جيش إلى أيله للدخول منها إلى الديار المصرية من تلك الناحية[3] .

القضاء على أعوان ابن الزبير من اليمانية بمصر :

أجمع ابن جحدم على حرب مروان ومنعه من دخول مصر ، فأشار عليه الجند حين ذاك بحفر خندق على الفسطاط[4] وكان سيدها وقتئذ وزعيمها

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن هذه الواقعة لم تؤد إلى هزيمة الكلبيين أو اليمانية بالشام ، كما ورد فى أحد المراجع التاريخية ، وإنما حلت الهزيمة بالقيسية وقتل قائدهم الضحاك بن قيس . تاريخ الحضارة المصرية ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٢) جمال الدين سرور : الحيفاة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، ص ١٠١ .

(٣) الولاه ، ص ٤٢ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

أبو رشد بن كريب بن أبرهة بن الصباح[1] ، من قبيلة أصبح اليمنية[2] .

وقد أبلى ابن جحدم وجنده من عرب الجنوب فى الدفاع عن الفسطاط ومنع مروان من دخولها ، ولكنهم انهزموا فى نهاية الأمر ودخل مروان حاضرة مصر ، بعد أن قتل كثير من أهل القبائل وعلى الاخص من قبيلة المعافر اليمنية[3] .

والظاهر أن جند هذه القبيلة رفضوا البيعة لمروان ، فقد ذكر الكندى نقلا عن الليث بن سعد أنه قال[4] « قتل مروان ثمانين رجلا من المعافر دعاهم أن يبايعوا فأبوا وقالوا : أنا قد بايعنا ابن الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعته ، فقدمهم رجلا رجلا فضرب أعناقهم كما ضرب عنق الاكدر ابن حمام بن غافر وكان سيد لخم وشيخها فى جمادى الآخرة سنة ٦٥ هـ[5] .

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٩٧ .

(٢) قبلية كبيرة ، حضروا الفتح ونزلوا بالجيزة ، وكان بنو أبرهة أهم من عاش منهم بمصر ، وعميدهم أبرهة بن الصباح ، صحابى دخل مصر فى جيش عمر . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٨ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ .

(٣) الولاه ، ص ٤٤ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٥) ويتضح لنا من رواية الكندى أن مروان كان يريد التخلص من زعيم لخم وشيخها بأسرع مايمكن وذلك أنه حين أتى بالأكدر ليس معه أحد من قومه فأدخل على مروان تقول الرواية : « فلم يكن شىء أسرع من قتله » . نفس المصدر السابق والصفحة .

أحدث مقتل الاكدر ثورة الجند فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفاً ، وعندئذ خشى مروان هجومهم . ومضت طائفة من الجند إلى كريب بن أبرهة ، وكان من شيعة بنى أمية آنذاك فأحسن لقاءهم ، ونجح فى استمالتهم فانصرفوا إلى منازلهم ، وقد رثى شعراء لخم سيدهم حيث تم دفنه فى داره[١] .

وقد ابتنى مروان بن الحكم لنفسه دارا بالفسطاط حين دخلها فى سنة ٦٥ هـ وقال : ماينبغى للخليفة أن يكون ببلد لا يكون له بها دار ، فبنيت له فى شهرين[٢] .

وسعى فريق من عرب اليمنية فى الصلح بين أهل مصر ومروان بن الحكم ، وكان كريب بن أبرهة على رأس هؤلاء الساعين لذلك ، ومعه عبد الرحمن بن موهب المعافرى . وتم خلع ابن جحدم من الولاية ، بعد أن كتب لهم مروان كتابا بيده يؤمنهم على جميع ماأحدثوه ، وكان بيعة الناس له فيما عدا نفر من المعافر الذين رفضوا وقالوا : لا نخلع بيعة ابن الزبير[٣] .

وهكذا يبدو من متابعة الاحداث أن قبائل اليمن هى التى كانت تدير دفة

---

(١) قال زياد بن قائد اللخمى :

كما لقيت لخم ماساءها ... بأكدر لا يبعدن أكدر
هو السيف جرد من غمده ... فلاقى المنايا ما يشعر
فلهفى عليك غداء الردى ... وقد ضاق وردك والمصدر

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٢ .

(٣) الكندى : الولاه ، ص ٤٤ — ٤٥ .

الأمور سواء فى السلم أو الحرب لاسيما وأن فريقا مع الزبيريين وآخر كان من أنصار الأمويين ، ولا غرو فشيوخ اليمن فى مصر أصبحوا سادة مصر وأصحاب الحل والعقد وقادة الحرب فى نفس الوقت ، فهم يمثلون الغالبية آنذاك بالنسبة لأهل الديوان[1] .

ويبدو أن حسن المعاملة ولين الجانب من جهة عبد العزيز بن مروان الذى ولى مصر من قبل أبيه فى رجب سنة ٦٥ هـ كان له أثره فى تهدئة الخواطر وهدأة الامور فى مصر . وقد أوصى مروان ابنه قبل عودته إلى الشام بعد أن عبر عبد العزيز عما يتوجس فى نفسه لأبيه قائلاً[2] :« ياأمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس بها أحد من بنى أبى . فقال له مروان : يابنى عمهم باحسانك ، يكونوا كلهم بنى أبيك ، واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم ، وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عينالك على غيره ، وينقاد قومه إليك » .

ولقد نفذ الأمير عبد العزيز وصية أبيه بعد أن تولى شئون البلاد فجعل يستشير رؤساء القبائل وشيوخها ، كما أنه عمل على اختيار عيونه ورجال

---

(١) فعلى سبيل المثال فإن بنى أبرهة كانوا أربعة لهم مكانتهم فمنهم من كان من أنصار الامويين مثل كريب بن أبرهة (ت ٧٨ هـ) حيث يذكر ابن عبد الحكم نقلا عن أحد الرواة وهو عبد الله ابن الأشج قوله « قدمت مصر فى أيام عبد العزيز بن مروان فرأيت كريب بن أبرهة يخرج من عند عبد العزيز وأن تحت ركابه خمسمائة رجل من حمير وهذا يدل على أنه كان من أشراف مصر وسيد حمير جميعها ، بينما كان أخوه أبو شمر من هؤلاء الثوار ضد عثمان فى مصر وضد الامويين . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٨ .

(٢) الكندى : الولاه ، ص ٤٧ .

شرطته منهم مثل عابس بن سعيد المرادى[١] وجناب بن مرثد بن زيد بن هانى الرعينى[٢] وغيرهم ممن سبقت الاشارة إليهم .

ومما يؤيد مساندة القبائل اليمنية فى مصر لحكم بنى أمية فى عهد عبد العزيز بن مروان أنه استطاع أن يحشد جندا كثيفا منهم لقتال ابن الزبير فى مكة ، فقد ذكر الكندي أن نحو ثلاثة آلاف من الجند كان على رأسهم مالك بن شراحبيل الخولانى[٣] ، وكان هذا الجيش جزءاً من جيش الامويين الذى سيره الخليفة عبد الملك بن مروان بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى حيث أراد القضاء نهائيا على فتنة ابن الزبير فى مكة المكرمة .

وكما يذكر المسعودى[٤] فإن أهل مصر هم الذين أقبلوا نحو ابن الزبير بسيوفهم يريدون قتله ، حيث عمل عليهم فضرب رجلا منهم فقده نصفين

---

(١) وهو من قبيلة مراد اليمنية المعروفة وقد بلغت بطونها عشر منها عبس وغطيف وسليم وكعب ونبه ، التى شاركت فى الفتح واختطت بمصر ، وقد سبقت الاشارة إلى عابس عند الحديث عن أصحاب الشرطة بمصر من اليمنيين : البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ٢٩٥ .

(٢) كانت ذو رعين من أقيال اليمن ، ودخلت رعين فى جيش مصر الفاتح واختطت شرق خولان وقبلى مذحج ، وتشير شواهد القبور إلى أنها ظلت بالفسطاط وغيرها خلال القرنين الثانى والثالث من الهجرة . ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٧٢ ،

A.Hawary & H.Rached; Stéles Funeraires, tome, PP.I3, 49, II4.

(٣) ويشير صاحب كتاب الولاه أن قاتل ابن الزبير كان هو عبد الرحمن ابن يحنس مولى بنى اندى بن عدى من تجيب وقد كوفىء بعد عودته إلى الفسطاط بجعله عريفا على موالى قبيلة تجيب الكندى : ص ٥١ .

(٤) مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

وقال : صبرا يا ابن حسام ، ثم اردف قائلا قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة[1] .

وما دفع أهل مصر نحو قتال ابن الزبير بعد أن كان الكثير منهم شيعته ، إلا ماأثارته السياسة الأموية فى ذلك الوقت ، فقد عمل الأمويون على احياء العصبية الأولى بين القبائل العربية ، وضرب الواحدة بالأخرى رغبة منهم فى السيطرة على قبائل العرب جميعا[2] . ومن المعروف أن القبيلة كانت كل شيء فى البادية ، كما كانت أساس المجتمع فى بلاد العرب قبل الاسلام ، وحتى فى الأجزاء المتحضرة كبلاد اليمن فى جنوب الجزيرة العربية[3] .

ومما لاشك فيه أن سياسة عبد العزيز بن مروان التى انتهجها تجاه القبائل اليمنية وغيرها بالفسطاط ، وما اتصف به من السخاء بالنسبة للجميع قد أزال من حدة العصبية القبلية ، حيث يصف لنا الكندى ألوان ذلك السخاء والعطاء فيقول : كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره ، وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل إلى قبائل مصر .

وقد مدحه الشعراء على كرمه وجوده وكثرة عطائه حيث يقول أحد هؤلاء فى الثناء عليه :

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

(٢) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ، ص ١٦١ .

(٣) سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك ، ص ١٠٩ .

كل يوم كأنه يوم أضحى عند عبد العزيز أو يوم فطر
وله ألف حفنة مترعان كل يوم تعدها ألف قدر[1] .

استمر عبد العزيز واليا على مصر من قبل أخيه عبد الملك ابن مروان فى نهج سياسته وفى اختيار أعوانه ورجال حرسه وشرطته من قبائل رعين والمعافر وتجيب وحضرموت اليمنية ، وذلك حتى وفاته فى جمادى الأولى سنة ٨٦ هـ[2] . ومما يدل على مدى تأثر اليمنيين وأهل مصر عموما وأسفهم على فترة حكمه قصائد الرثاء التى قيلت بمناسبة وفاته وابنه الأصبغ فى وقت واحد تقريبا[3] ، وما حفلت به كتب الأدب العربى من هذه الأبيات والقصائد الشعرية .

(١) الكندى : الولاه ، ص ٥١ – ٥٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٥ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٧ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٥٦ – ٥٧ .

٣ – الخوارج اليمانية فى مصر أيام الامويين

االختلف أصحاب على وأنصاره من أهل الكوفة والعراق فى مسألة قبول التحكيم ، وذلك لأنهم كانوا يحاربون فى صفين عام ٣٧ هـ لاعلاء كلمة الله[١] ، وكما هو معروف فقد إنتهت تلك الواقعة بحيلة ارتآها عمرو بن العاص ، إذ أشار على معاوية برفع المصاحف على الرماح والنداء بتحكيم القرآن بدلا من تحكيم السيوف[٢] . وانتهى الأمر بقبول عمرو بن العاص حكما من قبل معاوية كما اختير أبو موسى الاشعرى من قبل على ، فكان حكمهما بخلع كل من على ومعاوية حيث أعلن أبو موسى ذلك ، وإن كان عمرو فى رواية أخرى فقد اعلن خلع على وتثبيت معاوية لأنه ولى عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بخلفه[٣] .

ونتيجة لذلك كان خروج فريق من جيش العراق على الامام لقبوله مسألة التحكيم ، حيث أعلنوا أنه لا حكم إلا لله[٤] ، وهم الذين عرفوا بالخوارج .

وكما تشير المصادر التاريخية فانه لم يمضى وقت طويل حتى قام ثلاثة من هؤلاء الخوارج بالتآمر على قتل كل من على ومعاوية وعمرو ، ولم ينجح فى مهمته سوى عبد الرحمن بن منجم الذى تمكن من قتل على بالكوفة عام ٤٠ هـ[٥] .

---

(١) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٦ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٤٠٠ ، عباس العقاد : عمرو بن العاص ، ص ١٧١ – ١٧٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٧٠ – ٧١ ، المسعودى : المصدر السابق ، ص ٤٠٩ .

(٤) المسعودى : المصدر السابق ، ص ٤٠٤ .

(٥) الطبري : المصدر السابق والجزء ، ص ١٤٣ – ١٤٥ .

كان أول من قدم إلى مصر يدعو برأى الخوارج هو حجر بن الحارث بن قيس المذحجى ، وقد استمر فى دعوته بالفسطاط حتى خرج منها إلى الحجاز وذلك لمناصرة عبد الله بن الزبير فى دعوته بمكة ، وكان مقدم إلى مصر فى امارة مسلمة بن مخلد (٤٤ - ٦٤ هـ)[١] .

وقد تجلى نشاط الخوارج حين بويع ابن الزبير وبعث إلى مصر بعبد الرحمن بن جحدم الفهرى فقدمها فى طائفة منهم من الذين كانوا فى صحبة ابن الزبير بمكة من أهل مصر ، ويقول المقريزى[٢] وكثرت الخوارج بمصر فيها وممن قدم من مكة فأظهروا فى مصر التحكيم ودعوا إليه ، فاستعظم الجند ذلك .

والواقع أن دعوة ابن الزبير فى مصر لم تظهر إلا على أيد هؤلاء الخوارج ، وذلك عقب وفاة يزيد بن معاوية فى ولاية سعيد بن يزيد عليها (٦٢ - ٦٤ هـ)[٣] .

ولاشك أن قيام الخوارج اليمنية بدعوة أهل مصر لمبايعة ابن الزبير ونصرته على حساب الامويين ، فقد كانوا كما يقول الكندى[٤] يحسبون ابن الزبير على مذهبهم .

كما أنه ليس هناك من شك فى أن خوارج مصر وشيعتها كانت تؤيد

(١) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٧٨ .
(٢) الكندى : الولاه ، ص ٤١ ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٨ .
(٣) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٣١ .
(٤) الولاه ، ص ٤٠ - ٤١ .

هؤلاء الثائرين على الخلافة الأموية علّها تستطيع الوصول إلى تحقيق مآربها المختلفة سواء كانت دينية أو سياسية .

ومن الجدير بالذكر أن غالبية الخوارج بمصر كانوا من اليمنيين كما أشرنا من قبل ، فمنهم الذين قاموا بحفر الخندق حول الفسطاط للدفاع مع ابن جحدم والى مصر من قبل ابن الزبير كما كان منهم من بعثه الوالى إلى الشام بقيادة الأكدر بن حمام اللخمى فى حملة بحرية للتصدى لقوات الأمويين البحرية أمام سواحل الشام .

وكذلك كان الخوارج المصريون يشكلون قوة الجيش البرى بقيادة زهير ابن قيس البلوي للوقوف فى وجه عبد العزيز بن مروان ومنعه من السير إليها[1] أما المراكب التى سيرها ابن جحدم بقيادة الأكدر فإنها لم تفلح فى مهمتها حيث حاقت بها عاصفة شديدة فغرقت ونجا اميرها وعاد إلى الفسطاط . وقد التقى جيش زهير بن قيس بعبد العزيز على مقربة من أيلة ونشب القتال بينهما فانهزم زهير ومن معه[2] .

وقد خمدت حركة الخوارج فى مصر بعد انقضاء دعوة ابن الزبير والتخلص من مؤيديها من أهل مصر من القبائل اليمنية وغيرهم ، وذلك بعد أن رفعت هذه الدعوة من شأنهم إلا أنهم كما يقول المقريزي : انكفت السنتهم هم والعلوية ومن حينئذ غلبت العثمانية على مصر[3] .

---

(١) الولاه ، ص ٤٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٣ .

(٣) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٩ .

وتشير المصادر التاريخية إلى ظهور دعوة الخوارج من جديد فى ولاية قرة ابن شريك على مصر (٩٠ - ٩٦ هـ) وفى خلافة الوليد ابن عبد الملك ، فقد ذكر الكندى والمقريزى أنه عندما خرج قرة بن شريك إلى الاسكندرية فى سنة ٩١ هـ اتفق الشراة[١] من الخوارج بالاسكندرية على الفتك به . وكان رئيسهم إذ ذاك المهاجر بن أبى المثنى التجيبى فهو من قبيلة تجيب اليمنية .

وقد بلغ عدة هؤلاء الخارجين مائة رجل ، لكن قرة أخذهم على حين غرة ، قبل أن يتفرقوا وحبسهم بمنارة الاسكندرية ثم قتلهم بعد ذلك[٢] .

وفى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) (٧٢٤ - ٧٤٣ م) أظهر أحد هؤلاء الخوارج العداء وذلك حين خرج وهيب اليحصبى شاريا بالفسطاط سنة ١١٧ هـ ، وجهر بالعصيان ، واتخذ حجة له فى فوافقه الوليد بن رفاعه للنصارى ببناء كنيسة لهم بالحمراء بالفسطاط[٣] عرفت بكنيسة أبى مينا . وكان وهيب من أهل اليمن قدم إلى مصر آنذاك لكن الوالى ابن رفاعه فقبض عليه وقتله . وقد أدى ذلك إلى غضب فريق من القراء اليمنيين ، ويبدو أنهم كانوا من الخوارج المناصرين لدعوة وهيب ،

(١) الشراه هم الخوارج أطلق عليهم أى الذين باعوا انفسهم لله من قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ .
أحمد أمين : فجر الاسلام ، ٢٥٧ ، الطبعة الثانية .

(٢) الكندى : الولاه ، ص ٦٤ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٧٠ .

(٣) الحمراء : نقل المقريزى عن الكندى أن خطط الحمراء كانت ثلاثة بنو نبه ، وروبيل والأزرق ، وكانوا من سار مع عمرو بن العاص من الشام إلى مصر من عجم الشام .
أما مؤرخنا القضاعى فسماها بالحمراء لنزول الروم بها وقد اختط بها كل من قبائل بلى من قضاعة ويشكر فى لخم ، وبنو نبه وبنو الأزرق ، وهم من الروم ، أما بنو روبيل فكان يهوديا ثم اسلموا الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٠ .

وكان على رأسهم شريح بن صفوان التجيبى ، والظاهر أنهم لم يجدوا مناصا للافلات من العقاب إلا بالاعلان عن توبتهم فخلى ابن رفاعة سبيلهم[1] .

ولم يحدث بعد ذلك أن شقت عصا الطاعة فى عهد هشام من جانب الخوارج أو العلوية وإنما ظهرت المعارضة بشكل آخر لسياسته تمثلت فى ماقام به شيخ المغافر[2] عبد الرحمن بن حيوبل بن ناشرة وذلك عند اعتراضه على تلك المدى أو المكاييل التى بعث بها الخليفة هشام إلى مصر وأمرهم أن يكون التعامل بها . وقد رفض شيخ المعافر هذه المدى عندما عرضت عليه وضرب بها الحجر فكسرت وقال : إن لناويبه[3] واردبا قدعرفناهماولسنانحتاج إلى هذا ،ومن ثم شاع ذكره حينذاك وقيل له كاسر المدى ،

(١) الكندى : الولاه ، ص ٧٨ .

(٢) قبيلة المعافر من بنى مالك التى تنتسب إلى قبائل كهلان القحطانية ، وكانت قبيلة كبيرة العدد قوية فهم أهل خير ونجد فكانوا أقوياء مناضلين مثلما كانوا مهرة ، وقد نقلهم عمر إلى الجبل المشرف على البركة التى أطلق اسمهم عليها ، وكانوا أما علويين أو خوارج ، وشواهد القبور تدل على وجودهم فى مصر خلال القرنين الثانى والثالث . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٣ ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ .
A Hawary of H.Rached: Stéles Funeraires, Tome, PP. I3, 49, II4.

(٣) الويبة : مكيال للحبوب سعته سدس الأردب .

وصار ذلك نسبا لقبيلته من بعده[1] . ولاشك أن ذلك يدل على اعتداد أهل مصر من المعافر وغيرها من قبائل اليمن .

أما عن الخوارج رنشاطهم بمصر فلم نسمع عن شيء يعكر الصفو أو يثير أمراء البلاد من جانبهم حتى كانت ولاية حوثرة بن سهيل الباهلى على مصر من قبل مروان بن محمد سنة ١٢٨ هـ ، ففى تلك السنة أعلن عبد الله ابن يحيي الملقب بطالب الحق عن خروجه بالحجاز ، ثم قدم إلى مصر داعيته ودعا الناس كما يقول المقريزي[2] : فبايع له الناس من تجيب وغيرهم من أهل مصر ، فبلغ ذلك حساب بن عتاهية صاحب الشرطة فاستخرجهم من خططهم بالفسطاط ، وأمر حوثرة بهم فقتلهم .

لقد ظلت الخوارج شوكة فى جنب الدولة الأموية يهددونها ويحاربونها حربا تكاد تكون متواصلة ، وإن كانت فى مصر لم تبلغ شأوا بعيدا كما وقع فى شرق الدولة الاسلامية وغربها ، حيث أصبح لهم مقرا بالبطائح بالقرب من البصرة[3] ، كما استولوا على كرمان وبلاد فارس فى أواخر عهد الأمويين[4] وكذلك استولوا على اليمامة وحضرموت واليمن والطائف . أما فى جهة المغرب فقد ظهر الاباضية منهم فى

(١) الكندى : الولاه ، ص ٧٩
(٢) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٧٠ .
(٣) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .
(٤) الطبرى ، تاريخه ، جـ ٦ ، ص ٥٥٦ ، جـ ٧ ، ص ١٣٧ .

طرابلس وثورات الصفوية التى كانت سببا فى إنقطاع المغرب الاقصى عن الخلافة[1] .

ويمكن القول بأن الخوارج فى مصر لعبوا دورا ملموسا أيام الأمويين شأنهم فى ذلك شأن الفرق الدينية والسياسية الاخرى كالشيعة وغيرها فى مجريات الاحداث الهامة والتى أدت فى النهاية إلى تقويض دعائم الحكم الأموى وزوال ملكهم .

(١) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ٢٥٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩ .

٤ – موقف اليمانية فى مصر من خلافة مروان بن محمد

(١٢٧ – ١٣٢ هـ)

لم يكن الخوارج فى مصر هم الذين عملوا فى شق عصا الطاعة بل كانت الشيعة والأحزاب السياسية الدينية فى العراق ، وحركات الموالى فى المشرق الاسلامى تعمل جميعها على زوال الخلافة الأموية[١] فمن شيعة يعملون على الكيد لبنى أمية ، ومن خوارج راحوا ينشرون مبادئهم الرافضة لهذه الدولة ، وموال فى الشرق كرهوا الأمويين لتفضيلهم العرب عليهم[٢] .

وربما ظلت مصر هادئة إلى حد كبير ولم تتأثر كثيرا بما كان يجرى فى شرق الدولة فى أواخر أيام الأمويين ، ولاشك أن السياسة الأموية ساعدت على تجمع تلك الظروف والاحوال السيئة التى حاقت بسلطانهم فقد عملت تلك السياسة على احياء روح العصبية القبلية وضرب القبائل ببعضها ، فلا غرو أن عمت روح العصبية إذ ذاك فى سائر أنحاء الدولة الاسلامية[٣] ، فاليمنيون فى الشام والعراق والجزيرة لا ينفذون أوامر الخليفة حتى رأيناهم يستغلون ذلك الانقسام الذى حدث فى البيت الأموى فى خلافة الوليد بن يزيد (١٢٥ – ١٢٦ هـ) لاسيما بعد أن أثار روح العداء بين القيسية واليمنية ، مما نجم عنه فى النهاية

(١) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، ص ١١٦ – ١٢٤ .
(٢) الطبري ، جـ ٦ ، ص ٤٤ – ٤٦ .
(٣) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

قتل الخليفة الوليد نفسه عام ١٢٦ هـ / ٧٤٣م ، وكان قاتليه من اليمانية بالشام[١]

لم يأمن مروان بن محمد حين تولى الخلافة على نفسه لكثرة هؤلاء اليمانية من حوله ، بعد أن بايعه أهل دمشق فى سنة ١٢٧ هـ[٢] ، فانتقل إلى حران قصبة ديار مضر[٣] ، وكان القيسيون فى جانب الخليفة وقد رأت اليمانية فى الشام وغيرها من الولايات الاسلامية فى تولية مروان الخلافة انتصارا للمضرية عليها .

كان على ولاية مصر فى ذلك الوقت حفص بن الوليد الحضرمى ، وكان هؤلاء اليمنيين الذين أصبحوا فى عداء مستحكم مع المضربين الموالين للخليفة بالفسطاط : وقد كتب حفص إلى الخليفة يستعفيه من ولايته على مصر ، فأعفاه مروان منها ، فكانت ثورة الجند وقواد الفروض ، حيث أعلنوا رفضهم لأى وال من قبل الخليفة مروان وقالوا : لا نرضى إلا بحفص .

---

(١) ثارت اليمانية وعلى رأسها قضاعة حيث كانوا وقتئذ أكثر جند الشام ، وحرضوا ابن عمه يزيد ابن الوليد على البيعة لنفسه وحاصروه فى قصره فقتلوه . الطبرى : جـ ٧ ، ص ٢٥٠ — ٢٥٢ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٣١١ .

(٢) الطبرى : جـ ٧ ، ص ٣١١ — ٣١٢ .

(٣) حران : هى على طريق الموصل والشام وكانت مدينة عظيمة تم فتحها أيام عمر بن الخطاب . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

وكان السبب المباشر فى هذه الثورة هو قيام الخليفة بتولية حسان بن عتاهية الباهلى امارة البلاد ، وقيس بن أبى عطاء على خراج مصر وكلاهما من القيسية المضريين . ويذكر الكندى أن الجند من اليمانية ثاروا عليهم حتى اضطروهما إلى الخروج من مصر ، وقاموا بتنصيب واليهم حفص بن الوليد الحضرمى عليهم مرة ثانية(١) .

كان على رأس اليمانية فى مصر إذ ذاك ثابت بن نعيم الجذامى الذى أمكنه حشد نفر كثير من اليمنيين واتجهوا نحو جامع عمرو وهناك خطبوا فى الناس ودعوا إلى خلع مروان ، فلم يخالفهم أحد ألا يزيد بن أبى أمية المعافرى . وكان الذى شجعهم على ذلك وصول رسول زامل بن عمر قائد اليمانية بحمص يدعوهم للثورة وإلى تأييد زعيمهم ابن نعيم الجذامى(٢) .

وازاء تلك الاضطرابات اضطر الخليفة إلى الرضوخ وقبول حفص بن الوليد لحكم مصر وذلك كما يقول الكندى(٣) - على كره منه . ولما قدم حنظلة بن صفوان الكلبى من افريقية(٤) ، كتب إلى

(١) الولاه ، ص ١٥ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٧٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٨٧ .

(٤) وكان الخليفة هشام بن عبد الملك قد ولاه افريقية ، فخرج اليها فى صفر ١٢٤ هـ ، وكان له نشاط ملحوظ فى عمله حتى أخرجه أهلها وخلفه عبد الرحمن بن حبيب واليا عليها . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٩٨ - ٣٠١ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٧٠ .

أهل مصر يدعوهم للقبول بتوليته أميرا عليهم ، لكنهم أعلنوا رفضهم ، وأظهروا خلعه ، ومضى رجاء بن الأشيم فى رؤساء الجند إلى حنظلة حيث أخرجوه إلى الحوف الشرقى ، ومنعوه من الاقامة بالفسطاط ، ولم يجد مروان من الحيلة إلا السكوت وممالأة اليمنيين حتى يحين الوقت المناسب لفرض سيطرته عليهم[١] .

وقد لجأ الخليفة إلى استخدام القوة ، فأرسل فى بداية سنة ١٢٨ هـ حوثرة بن سهل الباهلى فى سبعة آلاف رجل من أهل حمص والجزيرة وقنسرين لمواجهة اليمنية بمصر . وتقول رواية الكندى أن شيخ الجذاميين رجاء بن الأشيم أسرع فى طلب حفص الوالى من أجل التصدى لجيش مروان ، وواليه الجديد ، لكن حفصا آثر السلامة عندئذ حقنا للدماء ، ورفض القتال ، ودخل حوثرة الفسطاط فى المحرم سنة ١٢٨ هـ[٢] .

وقد بعث حوثرة فى طلب رؤساء الفتنة وقواد الفرق ووجوههم من اليمنية وهم محمد بن شريح بن ميمون المهرى ، وعمرو بن يزيد الشيبانى ، وعقبة بن نعيم الرعينى ، ويزيد بن مسروق الحضرمى ، ومحمود بن سليط الجذامى ، وأيوب بن برغوث اللخمى ، فجمعوا له وعامتهم، ثم أمر بضرب عنق رأس الفتنة رجاء بن الأشيم الحضرمى وآخرين معه ، ولم يبق من حضرموت وغيرها من لخم وجذام أحد من

(١) الولاه ، ص ٨٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٨٩ .

زعمائهم ، حتى أن حسام بن عتاهية قال لحوثرة الوالى الجديد : أنه لم يبق لحضرموت إلا هذا القرن ، فإن قطعته قطعتها يعنى خير بنى نعيم فاكتفى حوثرة إذ ذاك بعزله عن القضاء(١) .

وتشير المصادر إلى أن حوثرة أخذ يتعقب يمانية مصر فى كل جهة منها حتى قضى عليهم ، وقتل الكثير منهم وكان على رأسهم والى مصر اليمنى حفص بن الوليد ، ويزيد بن موسى بن وردان ، وقد رثى الشاعر حفصا وأصحابه(٢) .

وقد امتدت ولاية حوثرة حتى سنة ١٣١ هـ ، حين صرفه مروان عنها وبعثه بجيش إلى العراق لنجدة يزيد بن عمرو بن هبيرة ، وشارك فى الحصار الذى ضربه الجيش الأموى على مدينة واسط ، ولم يلبث أن قتل مع يزيد بن هبيرة ، وتولى مصر إذ ذاك المغيرة بن عبد الملك الفزارى ، فى جمادى الأول سنة ١٣٢ هـ ، ثم وليها عبد الملك بن مروان بن موسى من قبل مروان(٣) . وفى تلك الاثناء كان مروان بن محمد يحارب جيوش العباسيين .

---

(١) الكندى : الولاه ، ص ٩٠ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٧٠ .

(٢) قال الشاعر يبكى حفص :

يا عين لا تبقى من العبرات ... جودى على الاحياء والأموات
بكى الذين مضوا فهم صاد ... قوا صدقان فأبطلت تارات
يا حفص يا كهف العشيرة كلها ... يا أخا النوال وساتر العورات

الكندى : الولاه ، ص ٩١ — ٩٢ ، المقريزى : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ٢٧٠ .

(٣) الولاه ، ص ٩٢ .

ولما هزم مروان أمام العباسيين[١] ، عزم على الفرار إلى مصر[٢] ، لكثرة مالها وخيلها ورجالها ، فإن غلب فيها ذهب إلى افريقية من أرض المغرب[٣] . ويبدو أن دعوة العباسيين كانت قد سبقت مروان إلى مصر ، فقد ذكر الكندى أن أهل الحوف الشرقى وعلى رأسهم شرحبيل الكلبى الزهيرى ، وأهل الاسكندرية بزعامة الأسود بن نافع قد سودوا بها[٤] ، كما سود عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله الجيشانى بالصعيد ، ويحيى بن مسلم ابن الأشج مولى بنى زهرة بأسوان . وهكذا كانت مصر من الاسكندرية وحتى أسوان ترفع شعار السواد وهو شعار العباسيين ، مما يدل على انتشار الدعوة العباسية قبل تقدم مروان إلى مصر من جهة وعلى رغبة اليمانية فى الخلاص من الحكم الأموى من جهة أخرى .

(١) دارت معركة على نهر الزاب بالقرب من الموصل بين الجيش العباسى بقيادة عبد الله بن على ، بلغت عدته ثلاثمائة ألف ، وبين مروان بن محمد وكان جيشه يبلغ عشرون ومائة الف من قبائل قضاعة وبنى سليم والسكاسك والسكون العربية واستغرقت المعركة الرهيبة نحو يومين هزم فيها مروان ، وغرق معظم جيشه ، وكان ذلك فى جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م . الطبرى : تاريخه ، جـ ٧ ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٣٣٥ .

(٢) Lane — Poole: A History of Egypt in the Middle Ages, P.29.

(٣) الكندى : الولاة ، ص ٩٥ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٧١ .

(٤) اتخذ العباسيون شعار السواد ، وأنصارهم فى الأمصار الذين اتخذوا الرايات السوداء تعبيرا عن مؤازرتهم والترحيب بهم ، وكان الأمويون يتخذون لهم رايات بيضاء كشعارهم . الولاه ، ص ٩٥ .

المقريزى : المصدر السابق ، والجزء ، والصفحة

وقد عبر الكندى عن ذلك أوضح تعبير حين قال : « وأجمع جند مصر على منع مروان أن هو سار إليهم وجعلوا على أمرهم عبيد الله بن عبد الرحمن ابن عميره الحضرمى » . وهكذا كان موقف اليمانية وزعيمهم الحضرمى حينذاك ، لكن الأمر لم يلبث على حال ، فحين دعاهم للنهوض معه تثاقلوا عنه فرفض أمرهم[١] .

والحقيقة أن الأمر لم يقتصر على اليمنية من أهل مصر ، فقد ثار القيسية على مروان أيضا ، كما أعلن عليه أحد أفراد البيت الأموى نفسه وهو عمرو ابن سهل بن عبد العزيز مروان وتبعه فى ذلك الدملحس بن عبد العزيز الكتانى فى جمع من قيس ، وكان الوالى على مصر وقتذاك عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير ، فأرسل إليهم جيشا قوامه سبعة آلاف شخص برياسة موسى بن المهند ، وفى بلبيس التقى هذا الجيش مع الثائرين الذين طلبوا الصلح بعد أن أظهروا الفساد بالحوف الشرقي ، وكانت إجابة موسى بن المهند إلى ماطلبوا ، ثم ظفر بعمرو بن سهيل وحبسه فى الفسطاط[٢] .

وكان دخول مروان آخر خلفاء بنى أمية الفسطاط فى شوال سنة ١٣٢هـ ، حيث قضى نحو الشهرين بها ، وقد حاول أن يجمع أمره دون جدوى ، فقد ثارت ضده جهات عديدة من الديار المصرية كرشيد والكريون[٣] فأخضعها[٤] .

---

(١) الولاه ، ص ٩٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٩٤ .

(٣) الكريون : مدينة مصرية تقع بالقرب من الاسكندرية ، خاض عمرو بن العاص مع جيش الروم معركة عندها أثناء الفتح . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٥٨ .

(٤) الكندى : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

ولما علم مروان باقتراب الجيش العباسي من الحدود المصرية أمر باحراق الفسطاط ودار آل مروان المذهبة[1] كما ذكر أن مروان أمر باحراق بعض مناطق الحوف الشرقى عندما أحس باقتراب العباسيين من حدود البلاد[2] .

وعلى الرغم من نجاح مروان فى اخضاع كل من الاسكندرية والصعيد[3] ، فإن موقفه بمصر أصبح فى غاية الحرج ، كما أوضحت المصادر التاريخة ، ذلك أن المصريين جميعهم سواء من اليمنية أو القيسية والاقباط كانوا جميعا ثائرين على حكم الأمويين . فقد ذكر ساويرس بن المقفع[4] أن أهل اليشمور فى شمال البلاد ظلوا على ثورتهم ، بل أنهم ساروا إلى الفرما لمقابلة العباسيين يشكون إليهم من مروان بن محمد ومن اضطهاده للمصريين على وجه العموم .

والواقع أننا لم نسمع من قبل عن اشتراك الأقباط فى المنازعات

---

(١) قيل أن زيان بن عبد العزيز عارضه فى احراقها ، حيث عظمت النفقة فيها ، فقال مروان له : أن أبق أبنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة . الكندى : الولاه ، ص ٩٥ .

(٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٤٥ .

(٣) بعث مروان الكوثر بن الأسود إلى الإسكندرية فقتل زعيمها حينذاك وهو عبد الأعلى بن الهجرس مولى مراد ، كما بعث زيان بن عبد العزيز إلى الصعيد فأتى عبد الأعلى بن سعيد وكان أول من سود بالصعيد سنة ١٣٢ هـ فقاتله وهزمه زيان ، ومن الجدير بالذكر أن عبد الأعلى هو من جيشان وهى بطن من قبيلة رعين اليمنية ، وقد أصبح من رجالات الدولة العباسية بعد زوال الخلافة الاموية . الكندى : المصدر السابق ، ص ٩٦ ، ساويرس : سير الاباء البطاركة ، ص ١٩٢ .

(٤) سير الاباء البطاركة ، ص ١٩١ .

السياسية بين أهل مصر من عرب الجنوب والدولة الأموية ، وإنما كان انضمامهم فى هذه المرة والترحيب بالعباسيين لانهم أرادوا التخلص من الحكم الأموى[١] .

ولما اقترب العباسيون من الحدود المصرية وبلغوا غزة ، كانت الظروف السيئة تحيق بمروان من كل جانب ، فأهالى المدن والكور المصرية على ثورتهم ، واليمنية والقيسية والأقباط لا يريدون جميعهم إلا الخلاص من بنى مروان وحكمهم ، فلا غرو أن تم احراق المدن والكور وتخريبها فى الوجه البحرى وفى شرق الدلتا . كما تم احراق الجسرين اللذين يصلان الفسطاط بجزيرة الروضة وبالجيزة[٢] ، وحتى إذا أتوا الخراسانيون إلى الفسطاط لم يجدوا شيئا من المتاع والبهائم والغلات ، أو المراكب يركبون فيها ، فإذا كان ذلك رجعوا من حيث اتوا[٣] .... هكذا فكر مروان بشأنه فى ذلك شأن المحارب[٤] والمنتقم فى الوقت نفسه من هؤلاء الثائرين عليه من أهل مصر فى ذلك الوقت .

ونتيجة لذلك فإنه عندما وصل العباسيون إلى الفسطاط لم يجدوا وسيلة للعبور إلى الضفة الغربية للنيل ، حيث كان مروان مقيما بالجيزة .

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٧١ ، سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٤٦ ، Lane — Poole: A History, of Egypt in the Middle Ages, PP. 26 — 27.

(٢) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة ، ص ١٩٦ .

(٤) تشير المصادر التاريخية إلى قيام الكثير من القواد المحاربين باحراق كل شىء يمكن أن ينتفع به الأعداء وذلك فى حالة أحساسهم بالخطر وتيقنهم بانهم مغلوبون على أمرهم لا محالة ونذكر من ذلك على سبيل المثال ما قامت به كاهنة البربر من تخريب افريقية حين أحست بقرب هزيمتها من

لكن الجيش العباسى بقيادة صالح بن على استطاع عبور النيل إلى الضفة الغربية ، واستولى على مراكب مروان التى عبر فيها هو وجنده إلى الجيزة[1] واشتبك الفريقان حيث دارت رحى الحرب ، وانتصر العباسيون ، وفر مروان بعدها إلى بوصير[2] . وفى تلك القرية لحق به قائد الجيش العباسى حيث قتله لسبع بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ[3] وقيل أنه تم قطع رأسه وهو نائم بعد أن غالبه الجهد والنصب ، فلما حملت الرأس ووضعت بين يدى أبى العباس خر ساجداً[4] .

ومما لاشك فيه أن مقتل مروان بن محمد وسقوط الحكم الاموى ، لم يكن راجعا فقط إلى انتصارات العباسيين ، وإنما يعزى إلى موقف اليمنيين

حسان بن النعمان القائد الغسانى الفاتح لبلاد افريقية . سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(١) Lane — Poole: A History of Egypt in the Middle Ages.P.39.

(٢) اختلف المؤرخون وعلماء الفنون الاسلامية فى القرية التى انتهت فيها حياة آخر الحكام الأمويين ، فهناك اسماء بلدان كثيرة فى مصر تحمل اسم بوصير فقد ذكر الكندى أنه قتل فى بوصير من كسورة الأشمونين ، ويذكر المقريزى وابو المحاسن أنه قتل ببوصير الجيزة ويرى عالم الآثار فيت أن مروان قتل فى ابى صير الملق الحالية التى تقع الآن فى مركز الواسطى محافظة بنى سويف ، والأقرب إلى الصحة أنها بوصير الملق الحالية القريبة من الجيزة ، الولاه ، ص ٩٦ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٤٧ .

(٣) الطبرى : تاريخه ، جـ ٧ ، ص ٤٣٧ – ٤٤٢ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ .

فى مصر وغيرها من الأقطار وخاصة فى المشرق الاسلامى ، فقد ثاروا فى وجه الامويين وأعلنوا انضمامهم لأعدائهم من العباسيين ، فسودوا لهم قبل أن تصل قوتهم إلى البلاد ، كما عملوا على مساعدتهم فى سبيل الخلاص نهائيا من حكمهم وزوال ملكهم .

الفصل الثالث
نظام الحكم فى مصر وسلطة اليمنيين

١ – الولاة اليمنيون فى العصر الأموى .

٢ – أصحاب الشرطة وغيرهم من الأعوان اليمنيين .

٣ – هيمنة اليمنيين على سلطة القضاء فى مصر .

١ - الولاه اليمنيون فى العصر الأموى

لما اتسعت الدولة الاسلامية فى عهد عمر بن الخطاب ، قسم البلاد أقساماً ادارية كبيرة ليسهل حكمها والاشراف على موارد ثروتها ، حيث جعل فارس ثلاث ولايات ، وبلاد الشام ولايتين احداهما قاعدتها حمص ، والثانية حاضرتها دمشق ، كما جعل فلسطين ولاية قائمة بذاتها ، أما افريقية فقد قسمت إلى ثلاث ولايات : مصر العليا ، ومصر السفلى ، وولاية غرب مصر وهى برقة وطرابلس[١] .

وقد عين عمر على هذه الولايات عمالا أو ولاه يستمدون سلطتهم من الخليفة الذى كان يجمع فى يده السلطتين التنفيذية والقضائية ، وقد ذكر الطبرى أسماء ولاة الأقاليم فى عهد عمر ثم فى عهد عثمان[٢] ، فكان الوالى على مصر عمرو بن العاص فى عهد أمير المؤمنين عمر بعد أن أتم الله فتحها على يديه[٣] .

كان الوالى يؤم المسلمين فى المسجد الجامع ، فى صلاة الجمع والأعياد بوصفه نائب الخليفة ، ولذلك كان يسمى أمير الصلاة ، حيث امامة الوالى فى الصلاة نيابة عن الخليفة تدل على عظم سلطته ، وعلى رئاسته العليا فى هذه الولاية ، كولاية مصر التى كان يرى عمر

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٤٦٤ ، ط ١٠ .
(٢) تاريخ الطبرى ، جـ ٤٣ ، ص ٢٤١ ، ط ٤ ، دار المعارف .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٨٥ ، ١٢٣ ، ١٢٩ .

أنها ولاية جامعة تعدل الخلافة[1] . وحين توفى عمر بن الخطاب عام ٢٤ هـ كان على مصر أميران كما يذكر ابن عبد الحكم عمرو بن العاص بأسفل الأرض وعبد الله بن سعد بن أبى السرح على الصعيد[2] .

وقد رفض عمرو بن العاص فاتح البلاد سياسة عثمان حين رغب فى توليته امامة الصلاة وامارة الحرب ، وأن يولى عبد الله بن سعد على الخراج ، وقال عمرو : أنا إذا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها ، وترك ولاية مصر عائدا إلى المدينة[3] . وكان الخليفة يجمع للوالى أحياناً إلى سلطته ادارة شئون البلاد المالية المعبر عنها بالخراج ، مما يجعله مطلق التصرف فى الولاية[4] وقد قسم الماوردى الامارة على البلدان إلى نوعين ، إمارة عامة وإمارة خاصة ، فالامارة العامة تشغل سبعة أمور كما أوردها على النحو التالى[5] :

١ - النظر فى تدبير الجيوش وترتيبهم فى النواحى وتقدير ارزاقهم .

٢ - النظر فى الاحكام وتقليد القضاه والحكام .

---

(١) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٤٥ .

(٢) فتوح مصر ، ص ٢٢٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٣٩ .

(٤) سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٠ .

(٥) الاحكام السلطانية ، ص ٢٨ .

٣ – جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيها وتفريق ماأستحق منهما .

٤ – حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل .

٥ – اقامة الحدود فى حق الله وحقوق الادميين .

٦ – الامامة فى الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها .

٧ – تسيير الحجيج من عمله ومن مسلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معاونين عليه .

وأما الامارة الخاصة فيقول الماوردى[1] ، يكون الامير مقصور الامارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة والذب عن الحريم وليس له أن يتعرض للقضاء والاحكام ولجباية الخراج والصدقات .

وهكذا كانت امارة عمرو بن العاص على مصر عامة ، إذ كان يقود الجيش ، ويقضى فى الخصومات ويجبى الأموال ، ثم عين عمر بن الخطاب عبد الله بن سعد بن أبى سرح على الخراج ، وبذلك أصبحت مصر ولاية عمرو خاصة بعد أن كانت عامة ، وبعد قليل لم يلبث الأمر أن تقلد قضاء مصر قاضى للفصل فى الخصومات فصارت سلطة الوالى مقصورة على قيادة الجيش وامامة الصلاة .

وإذا تتبعنا أسماء الولاة الذين تقلدوا امارة الديار المصرية من القبائل اليمنية[2] ربما كان أول هؤلاء هو الأشتر بن مالك

(١) الاحكام السلطانية ، ص ٢٨ .

(٢) الكندى : الولاه ، ص ٢٣ – ٢٥ .

ابن الحارث[١] ، من قبيلة مذحج احدى القبائل القحطانية[٢] وقد سار الاشتر حتى نزل القلزم فى مستهل رجب سنة ٣٧ هـ ، وكان معاوية ابن أبى سفيان فى دمشق لا يرضى عنه لانه تولى امارة مصر من قبل على بن أبى طالب[٣] ، وقيل أنه بعث إليه من دس له السم فمات[٤] ، وقد رثاه الشعراء .

ثم يذكر صاحب كتاب الولاة أن الاشتر استخلف على مصر قبل موته ، حمام بن عامر اللخمى ، وهو من قبيلة لخم اليمنية المعروفة ، وكان أبوه من شيعة الامام على بن أبى طالب وذلك إلى حين أن تولى امارة البلاد محمد بن أبى بكر الصديق ، من قبل الامام على ، وجمع له صلاتها وخراجها ، فهى ولاية أو امارة عامة ، وقد دخل الفسطاط فى رمضان سنة ٣٧ هـ[٥] .

كذلك يذكر الكندى أنه لما عين معاوية أخاه عتبة على صلاته فى ذى القعدة سنة ٤٣ هـ ، استخلف على مصر حين وفد على أخيه مع وفد من

---

(١) ومن الملاحظ أن جميع الولاه كانوا من العرب طوال العصر الأموى وذلك بخلاف عما كان عليه الحال خلال العصر العباسى ،

Lane —Poole: A History of Egypt in the Middle Ages: P.29.

(٢) البرى : القبائل العربية فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، ص ١٧٢ .

(٣) الكندى : الولاه ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٤) يقول الكندى : فلما قدم القلزم شرب عسلا فمات ، فبلغ ذلك عمرا ومعاوية ، فقال عمرو : أن لله جنودا من عسل ، الولاه ، ص ٢٤ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٦ .

أشراف أهل مصر ، عبد الله بن قيس التجيبي ، وكان رجل فيه شدة حتى أنهم كرهوا ولايته وطلبوا عودة عتبة إلى الفسطاط ، فرجع إليها(١) .

كان أول وال يتولى شئون البلاد ولاية عامة هو عقبة بن عامر الجهني ، ومن المعروف أن جهينة هي احدى قبائل اليمن ، فقد وليها من قبل معاوية ابن أبي سفيان عام ٤٤ هـ ، وجمع له صلاتها وخراجها يعنى امارة الحرب والصلاة والخراج معا ، وكان من المهاجرين وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) .

وقد صرف عقبة عن الولاية في ربيع الأول سنة ٤٧ هـ ، ثم وليها مسلمة بن مخلد الأنصاري(٣) ، من قبل معاوية ، فكانت امارته عامة ، حيث جمع له الصلاة والخراج والمغرب ، وكانت له أعمال كثيرة منها ابتناء منار المساجد كلها ودفع ذلك عن قبيلتي خولان وتجيب اليمنيين ، وهو صاحب الزيادة في مسجد عمرو بن العاص ولما توفى معاوية في رجب سنة ٦٠ هـ(٤) ،وأصبح يزيد بن معاوية خليفة المسلمين ، أقر مسلمة بن مخلد على ولاية مصر(٥) ، وقد توفى مسلمة وهو وال على مصر في رجب سنة ٦٢ هـ .

---

(١) الولاة ، ص ٣٥ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٥ .

(٣) وقد أورد ابن حزم في جمهرة انساب العرب ، ذكر الأوس والخزرج ، كما تحدث عن نسب مسلمة فهو من بني كعب بن الخزرج ابن حارثة الازدى . جمهرة انساب العرب ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٤) الكندى : الولاه ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٥٦٥ .

وتولى امارة مصر من العنصر اليمنى سعيد بن يزيد الأزدى من قبل يزيد بن معاوية ، وقد أخذت الدهشة شيوخ اليمن بالفسطاط لتعيين سعيد واليا عليهم وهو القاطن أرض فلسطين ويعبر عن ذلك عمرو بن قحزم الخولانى فى قوله[١] : يغفر الله لأمير المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم .

ويظهر من هذا النص مدى تبرم أهل الفسطاط من اليمنية من تفضيل الخليفة لاحد عمن سواهم ، حتى ولو كان من يمانية الشام وبنى جلدتهم . يدلنا على ذلك مانقله المقريزي عن الكندي ، من أن أهل مصر لم تزل على الشنآن له والاعراض عنه ، والتكبر عليه حتى وفاة يزيد بن معاوية عام ٦٤ هـ[٢] .

وقد تولى من اليمنيين امارة الصلاة فى مصر مالك بن شرحبيل الخولانى وذلك من قبل محمد بن مروان ، وقد ظل مالك يؤم الناس فى المسجد الجامع ويدبر شئون البلاد ، حتى ولى الامارة عبد الله بن عبد الملك من قبل أبيه فى جمادى الآخرة سنة ٨٦ هـ[٣] .

ونذكر من الولاة اليمنيين الذين شغلوا امارة البلاد وتولوا شئونها أيضا

(١) الكندى : الولاة ، ص ٤٠ .
(٢) الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٦ .
(٣) الكندى : المصدر السابق ، ص ٥٥ ، ص ٥٨ .

أيوب بن شرحبيل ، فقد تولى شئون البلاد من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز وذلك فى سنة ٩٩ هـ ، وفى عهده نزعت موازيت القبط عن الكور المصرية ، واستعمل المسلمون عليهم ، كما حرمت الخمر وكسرت أوانيها وعطلت حوانيتها ، وقد منع النساء الحمامات[١] .

أما بشر بن صفوان الكلبى فكانت ولايته على مصر من قبل الخليفة يزيد ابن عبد الملك وذلك فى سنة ١٠١ هـ ، فجعل على شرطته شعيب بن حميد البلوى من الموالى . وفى عهده أغارت الدولة البيزنطية على تنيس ، وقتلت ابن أحمر بن مسلمة المرادى أمير المدينة فى جمع من الموالى .[٢]

ولما رأى بشر والى مصر تفرق قبيلة قضاعة اليمنية فى القبائل كتب إلى الخليفة يزيد يسأله الاذن فى استخراج من كان فى القبائل منهم فيجعلهم فى سجل خاص بهم ، فأذن له يزيد فى ذلك ، فكان ما عرف بالندويين الرابع وذلك بالنسبة لديوان الجند وكان بداية الندويين الاول قد تم فى عهد عمر ابن العاص والثانى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، والثالث أيام قرة بن شريك والى مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك[٣] .

(١) الكندى : الولاه ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٧٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧١ .

وحين خرج بشر إلى افريقية واليا عليها ، استخلف على مصر أخيه حنظلة بن صفوان وأقر بذلك يزيد بن عبد الملك ، ثم إنه حين توجه حنظله إلى الاسكندرية فى سنة ١٠٣ هـ ، استخلف على الفسطاط عقبة بن مسلمة التجيبى[١] .

وهكذا كانت سائر الوظائف فى عهد يزيد يتولاها اليمنيون ، حيث جمعت لهم الولاية والشرطة والقضاء وغيرها .

وفى عهد هشام بن عبد الملك تولى امارة مصر حفص بن الوليد الحضرمى ، ونلحظ فى عهد الخليفة هشام أثر النزاع بين الوالى أو أمير البلاد وبين متولى الخراج عبيد الله بن الحبحاب الذى كان له نفوذ كبير ، مما نجم عنه العمل على تغيير الولاة[٢] . حيث لم يلبث الأمر أن اسندت الولاية إلى حفص بعد عزل الحر بن يوسف والى مصر سنة ١٠٨ هـ فقد كتب إلى الخليفة يقول[٣] : إنك لم تعزل الحر إذا وليت حفصا فجعل الخليفة الاختيار إلى عبيد الله فاختار عبد الملك بن رفاعة .

(١) المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٨ ط دار التحرير . أنشأ عمر بن الخطاب ديوان الجند للاشراف عليهم وذلك لتسجيل اسمائهم وأوصافهم ومقدار أرزاقهم واحصاء اعمالهم .
حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٤٨٩ .

(٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٢ .

(٣) الكندى : الولاة ، ص ٧٤ – ٧٥ .

وقد أعاد هشام إلى ولاية مصر مرة ثانية حفص بن الوليد الحضرمى وكانت ولاية عامة حيث جمع له الخليفة الصلاة والخراج معا ، وذلك فى رمضان سنة ١٢٤ هـ(١) .

وفى ولاية حفص الثانية على مصر (١٢٤ - ١٢٧ هـ) جعل على الصعيد رجاء بن الأشيم ، وعلى أسفل الأرض فهد بن مهدى الحضرمى(٢) .

وحين خرج حفص لمقابلة الخليفة الوليد بن يزيد استخلف على مصر نيابة عن عقبة بن نعيم الرعينى(٣) وهو من قبيلة رعين اليمنية المعروفة التى ظلت تقطن الفسطاط حتى القرن الثالث الهجرى(٤) .

لقد مكث اليمنيون يتولون شئون البلاد والهيمنة على الأمور فيها فى معظم الأحيان حتى زمن الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، فقد عهد بامارة البلاد لأحد اليمنيين وهو حسات ابن عتاهية بن عبد الرحمن التجيبى ، ولكن يبدو أن شيوخ القبائل اليمنية ، أصبحول لا يطيقون مسألة تعيين الوالى أو الأمير دون مشورتهم فمن ذلك أنه عندما وفد الوالى حسان من قبل مروان ، وأراد أن يتولى مهام منصبه الجديد بالفسطاط ، رأينا قواد

---

(١) الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٦٩ .
(٢) الكندى : الولاة ، ص ٨٤ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٨٣ .
(٤) Hawry & Rached: St''les Funeraires, tome I, P.60.

الفروض من زعماء اليمن يعلنون رفضهم له ويطالبون بعودة الولاية مرة أخرى إلى حفص بن الوليد ، مما أدى إلى ارغام الخليفة فى النهاية على عزل حسان وتولية الأمير الحضرمى للمرة الثالثة حيث استمر فى ولايته على مصر نحو ثلاث سنوات أخرى[١] .

وبلغ من هيمنة اليمنيين وسلطتهم بالفسطاط ، أنه حين كتب الخليفة مروان اليهم طالبا منهم قبول حنظلة بن صفوان الكلبى واليا عليهم بدلا من حفص بن الوليد ، أظهروا المعارضة والرفض ومضى رجاء بن الأشيم أحد زعماء اليمنية إلى حنظلة حيث أخرجه إلى الحوف الشرقي وقام بطرده من الفسطاط[٢] . ويبدو أن اليمنيين أنقسموا على أنفسهم على أثر طرد حنظلة ، فأصبحوا مابين مؤيد لاستمرار حفص ابن الوليد فى الولاية ، وما بين معارض له ، يستدل على ذلك من هجاء الشاعر سعيد بن شريخ مولى تجيب لحفص ، ولم ير الخليفة بدا من السكوت على ذلك فترة . وكانت النتيجة فى النهاية عزل حفص عن ولاية مصر فى مستهل عام ١٢٨ هـ[٣] .

وفى ختام الحديث عن ولاة مصر فى العصر الاموى يمكن القول بأنه كان لهم من السلطة وتصريف الأمور ، بفضل تولى هؤلاء شئون البلاد ،

---

(١) الكندى : الولاة ، ص ٨٤ ، ٨٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٨٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٨٦ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

حيث كانت ولايتهم لمصر عامة فى معظم الأحيان ، فجمعت أهم كافة المناصب الادارية والشئون المالية ، فلا غرو أن حرصوا عليها وعملوا على الاستئثار بها دون غيرهم من القيسية أو المضرية من عرب الشمال العدنانيين فى مصر فى ذلك العصر .

٢ – أصحاب الشرطة وغيرهم من الأعوان اليمنيين

كان للوالى أيضا الاشراف على الشرطة التى كان مقرها الفسطاط فى عهد الراشدين والخلفاء من بنى أمية وقد قيل أن أول من شرط الشرطة فى الاسلام كان عمرو بن العاص وذلك عندما ولى امارة مصر بينما يرى كثير من المؤرخين أن معاوية هو أول من استعمل الشرطة(١) .

ولما انشأ العباسيون مدينة العسكر فى شمال الفسطاط عملت لها الشرطة وسميت بالشرطة العليا ، وربما وصفت بذلك لاهميتها بينما أطلق على الأول الشرطة السفلى(٢) .

كان صاحب الشرطة بمثابة نائب الوالى فهو يؤم الناس فى الصلاة إذا مرض أمير البلاد أو إذا خرج من دار امارته أو ولايته لمقابلة الخليفة مثلما كان يحدث فى معظم الأحيان أو لخروجه إلى الاسكندرية لتفقد أحوال الرباط والمرابطة بهذا الثغر الهام(٣) .

وقد أوضح الكندى وغيره من المؤرخين مدى أهمية هذه الوظيفة فى ذلك الوقت ، فصاحب الشرطة كثيرا ماكان يعينه الخليفة فى الامارة إذا ماتم عزل الأمير ، وكذلك لحالة وفاته أو تنحيته عن أمور الدولة .

ونذكر من أصحاب الشرطة الذين كانوا أول من أسندت لهم وظيفة الشرطة بالفسطاط عبد الله بن أبى حرملة البلوى فقد تولى وظيفته هذه من

(١) عطيه القوصى : الحضارة الاسلامية ، ص ٣٥ .

(٢) المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٧١ .

(٣) الكندى : الولاه ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٣ .

قبل الوالى محمد بن أبى بكر الصديق وذلك فى عام ٣٧ هـ[١] ومن المعروف أن قبيلة بلى كانت من أوائل القبائل اليمنية التى نزحت فى عهد عمر بن الخطاب من بلاد الشام إلى مصر ولم تلبث أن اتجهت إلى بلاد الصعيد[٢] كما أشرنا من قبل .

ومن الشخصيات اليمنية التى تولت وظيفة صاحب الشرطة عابس بن سعيد المرادى ، من قبيلة مراد ، فقد عينه عبد العزيز بن مروان (٦٥ - ٨٥ هـ) فى هذه الوظيفة ، ويذكر الكندى أنه أناب عنه فى حكم البلاد ، وذلك عند خروجه لمقابلة أخيه عبد الملك فى دمشق وذلك فى سنة ٦٧ هـ[٣] .

ويبدو أن الشرطة وحفظ النظام والأمن بالفسطاط ، ومن ينوب عن صاحب الشرطة فى الاقاليم والكور المصرية ، كان يشغلها تباعا اليمانية ، يستدل على ذلك أنه لما توفى عابس بن سعيد خلفه على الشرطة زياد بن حناطه بن سيف التجيبى ، حدث ذلك فى عام ٧٨ هـ ، كما جعل على الحرس والأعوان والخيل جناب بن مرثد ابن هانى الرعينى وهو من قبيلة رعين اليمنية ، ضم إليه ثلاثمائة من الأمداد والجند ، فكان الرجل إذا أغلظ فى حضرة الوالى عبد العزيز أمير البلاد ، وخرج تناوله جناب قائد الحرس ومن معه فضربوه وحبسوه[٤] ، مما يدل على سيطرة هؤلاء ومقدرتهم على حفظ

---

(١) الكندى : الولاة ، ص ٢٧ .

(٢) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٢٩ .

(٣) الكندى : نفس المصدر ، ص ٣٩ .

(٤) الكندى : نفس المصدر والصفحة .

الامن والنظام فى مصر .

والواقع أن وظيفة الشرطة وقواد الحرس والأعوان كانت تتولاها عناصر يمنية فى عصر الأمويين ، كما كانوا ينوبون عن الأمراء عند خروجهم إلى الاسكندرية أو إلى دمشق ، فمن ذلك أنه حين خرج عبد العزيز بن مروان إلى الاسكندرية فى سنة ٨٣ هـ وللمرة الرابعة ، وكان على الشرطة جناب ابن مرثد الذى توفى فى نفس العام[١] ، وهكذا نرى الوالى يعين مكانه على الحرس والاعوان عمرو بن كريب بن صالح الرعينى ، ثم أعقبه به وفاته سعيد بن يعقوب المعافرى وكلهما من عناصر يمنية كما هو واضح من أسمائهم[٢] .

ويذكر الكندى المؤرخ أنه حين توفى عبد الرحمن بن حسان ابن عتاهية صاحب الشرطة فى جمادى الأولى سنة ٨٤ هـ ، أسندت وظيفته الادارية إلى يونس بن عطيه الحضرمى ، ثم صرف يونس عنها فى مستهل عام ٨٦ هـ ، وعين بدلا منه على الشرطة عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيبى ، وقد جمع له منصبى القضاء والشرطة فى آن واحد[٣] .

ومن هؤلاء الذين تولوا الشرطة الشيخ ابن حرو الحضرمى والحسن بن يزيد الرعينى ، فقد اختاره الوالى أيوب بن شرحبيل من قبل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وفى عهده ورد كتاب منه بالزيادة فى أعطيات الناس

(١) الكندى : الولاة ، ص ٥٣ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٥٣ ، القضاه ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٣٢٥ .

عامة ، ومما لاشك فيه أن صاحب الشرطة اليمنى هو الذى عمل على تنفيذ تعليمات الخليفة من أجل القضاء على حوانيت الخمر وكسر أوانيها وتعطيل حاناتها[١] .

وقد ورد ذكر أسماء كثيرين ممن تولوا مهام الشرطة بالفسطاط ، مثل الحارث بن داخر ، وشعيب بن حميد وكان من الموالى ، وحنظلة ابن صفوان الكلبى ، الذى عهد إليه بالولاية نيابة عن أخيه بشر حين خرج من مصر كما أشرنا ، وكذلك محمد بن مطير البلوى[٢] الذى تم عزله فى سنة ١٠٣ هـ فى عهد يزيد بن عبد الملك ، ثم جعل على شرطة : القاسم بن أبى القاسم بن السبائى ، وقد خرج الوالى حنظلة إلى الاسكندرية ، فاستخلف على الفسطاط عقبة بن مسلم التجيبى[٣] ، فعهد إليه بتكسير التماثيل والأصنام وكان من بينها تمثال حمام زيان ابن عبد العزيز الذى يقال له حمام أبى مرة[٤] ، وغيره من التماثيل التى كانت تزين تلك الحمامات بالفسطاط والاسكندرية وغيرهما من المدن المصرية فى ذلك الوقت .

وفى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أسندت شرطة مصر إلى حفص بن الوليد وذلك قبل أن يولى الامارة ، كما تولى فى عهده أيضا من العنصر اليمنى عقبة بن نعيم بن صابر الرعينى وذلك من قبل

---

(١) الكندى : الولاة ، ص ٦٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٧٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧١ – ٧٢ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٩ .

الوالى حنظلة بن صفوان فى ولايته الثانية عام ١٢٤ هـ[١] .

وإذا نحن أحصينا هؤلاء الذين تولوا أمر الشرطة المصرية فى عصر الأمويين من عرب اليمانية ، فإن عددهم يصل إلى خمسة عشر بخلاف من تولى الشرطة من مواليهم أمثال شعيب بن حميد ومعاوية ابن مروان مولى لخم ، فقد أسندت له وظيفة صاحب الشرطة من قبل أخيه الأمير عبد الملك ابن مروان بن موسى بن نصير وذلك فى عام ١٣١ هـ قبيل زوال حكم الأمويين[٢] .

وليس من شك أن تولى هؤلاء اليمانية لوظيفة الشرطة فى مصر ، كان يساير توليهم شئون البلاد ، ويتمشى مع الظروف والأحوال السائدة آنذاك ، حيث كانت القبائل اليمنية هى العنصر السكانى الغالب على خطط الفسطاط ، وصاحبة النفوذ والغلبة لأهل مصر من سائر العرب والمصريين .

(١) الكندى : الولاة ، ص ٨٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٩٣ .

٣ – هيمنة اليمنيين على القضاء فى مصر

كان الرسول عليه الصلاة والسلام هو القاضى الأعلى للمسلمين بالمدينة وكان يعين العمال من قبله ليحكموا بين الناس بالعدل فى أعمالهم ، وكذلك فعل خليفته أبو بكر الصديق من بعده ، فكان عماله أو ولاته على البلاد يباشرون هذه السلطة بالنيابة عنه . وبعد أن اتسعت الفتوحات الاسلامية فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكثرت عليه أعباء الحكم والواجبات ، اضطر إلى تعيين القضاة فى الأمصار[١] .

وكانت بداية القضاء الاسلامى فى مصر بعد فتحها ، أن كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يأمره بأن يولى على قضائها كعب بن ضنة العبسى ، وكان قاضيا فى الجاهلية[٢] ، لكنه أبى ذلك ، فولى عمرو عثمان بن قيس بن أبى العاص[٣] ، فكان ذلك تقليدا أتبعه الولاة فى الامصار الاسلامية ، فكانوا يولون القضاة

(١) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ .

(٢) نقل السيوطى عن سعيد بن عفير المؤرخ أنه كان أول قاضى بمصر وقال الذهبى أنه شهد فتح مصر وولى القضاء ، لكن عمار بن سعد التجيبى راوية اليمن يشير إلى رفض كعب بن يسار بن ضنة قائلاً : لا والله لا ينجينى الله من ذلك فى الجاهلية ، ثم أعود إليه وأبى . حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ .

(٣) ذكر الكندى أنه أول قاضى قضى بمصر ، ولى القضاء بمصر فى ربيع =

مناصبهم حتى زوال دولة بنى أمية ، وتولى العباسيين الخلافة[1] .

وتطالعنا المصادر التاريخية بأسماء العديد من الشخصيات التى تولت منصب القضاء من قبائل اليمن بمصر فى عهد الراشدين وفى عصر بنى أمية ، وكانوا من الذين شاركوا فى حكم البلاد مشاركة فعالة عن طريق توليتهم لوظيفة القضاء الهامة . نذكر من هؤلاء القضاة اليمنيين وذلك وفقاً لما ورد فى هذه المصادر على النحو التالى :

١ - سليم بن عتر التجيبى ، كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعله أول قاضى من قبيلة تجيب اليمنية يتولى القضاء فى مصر فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وقد جمع له القصص ، يقول الكندى[2] : « ثم لما كان عام الجماعة سنة أربعين هجرية ولاة معاوية القضاء . ومن الجدير بالذكر أن سليم بن عتر كان أول قاضى أيضا يكتب كتابا بقضائه وأشهد فيه شيوخ الجند فهو أول من سجل بمصر سجلاً بقضائه .

٢ - عابس بن سعيد المرادى ، تولى القضاء من قبل أمير البلاد مسلمة بن مخلد الأنصارى سنة ٦٠ هـ[3] ، ولاشك أن كثرة

= الأول سنة ٢٣ هـ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ١٤٦ ، القضاه ، ص ٣٠١ .

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٢) القضاه ، ص ٣٠٣ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣١١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ .

الاعباء بالنسبة للوالى أو الأمير كانت تتطلب الاستعانة بهؤلاء القضاة[1] . ثم ولى الأمر سعيد بن يزيد الأزدى ، فأقر عابسا على القضاء والشرطة[2] ، وهكذا اتسعت دائرة الاختصاص بالنسبة له حتى كانت وفاة يزيد بن معاوية فى سنة ٦٤ هـ[3] ومما يذكره الكندى أن عابسا كان من شيعة مروان وأنصاره ، حيث كان يكاتبه بالطاعة ، ويشجعه على المسير إلى مصر ، وذلك مع جمع من وجده القوم حتى دخلها فى جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ[4] .

(٣) عبد الرحمن بن حجيرة : وهو من قبيلة خولان اليمنية التى عاشت بالفسطاط ، واختلطت بها كما أشرنا من قبل ، كان القاضى عبد الرحمن من أفقه الناس وأعلمهم ، جمع له الوالى عبد العزيز بن مروان بين القضاء والقصص وبيت المال[5] ، وكان القضاة فى زمن الخلفاء الراشدين وبنى أمية مجاهدين لايقلدون

---

(١) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ .

(٢) وكان من حق والى الشرطة اقامة الحدود الثابتة فى مجالها ويحكم فى القود والقصاص وأن يقيم التعزيز والتأديب فى حق من لم ينته عن الجريمة . ابن عرنوس : تاريخ القضاء والاسلام ، ص ٢٦ .

(٣) القضاه ، ص ٣١١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣١٢ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣١٤ .

أحدا فى أحكامهم ، لأن التقليد لم يكن معروفا فيهم ، ولم تكن المذاهب قد دونت بعد[1] . وكما ذكر الكندى فإن أقدم قضية تم تدوينها أو تسجيلها له يرجع تاريخها إلى شهر رمضان سنة ٧٠ هـ[2] . ومما تجدر الاشارة إليه أن مسألة تنفيذ الأحكام بعد تسجيلها كان يقوم بها القضاة أنفسهم ، ولكن قلما كانوا يحتاجون إلى ذلك ، فإن الخصوم أنفسهم كانوا بعد علمهم بالحكم ينقادون إليه ويسارعون إلى تنفيذه .

وكان القاضى عبد الرحمن لا يحجر على سفيه فى ماله ولكن يشهره وينهى الناس عن معاملته ويقر ماله بيده يصنع به مايشاء . ومن طريف مايروى أن ابن حجيرة قضى فى امرأة من حمير جدعت أمة لها فأعتقها ، وقضى بولائها للمسلمين يفعلون عنها ويربونها[3] .

(٤) مالك بن شراحبيل : وهو من قبيلة خولان اليمنية[4] . ولى القضاء من قبل عبد العزيز بن مروان فى شهر المحرم سنة ٨٣ هـ

---

(١) ابن عرنوس : تاريخ القضاء فى الاسلام ، ص ٢٠ .

(٢) القضاه ، ص ٣١٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٤) امتازت بلاد خولان فى اليمن بالعمران وكثرة الحبوب ، وكانت صعده اكبر مدنهم مركزاً هاماً للدباغة فى العصر الجاهلى ، وقد اعتنق الخولانيون الاسلام فى السنة العاشرة من الهجرة وعدهم النبى فى خير القبائل . وهم أصحاب مصلى خولان الشهيرة ، وتدل شواهد القبور على تواجدهم بمصر حتى القرن الثالث الهجرى .

المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٦٨ ،

G.Wiet: Repertaire Chro, tome II, PP. 54, 80,129.

وذلك بعد أن قام بجهد كبير فى مقاتلة الزبيريين فى مكة ، كما أشرنا من قبل ، ويبدو أن الأمويين أرادوا مكافأته فولوه القضاء بعد أن أصبح مقدما عند الوالى عبد العزيز ، يقول الكندى : فولاه القضاء بعدموت ابن حجيرة الأكبر فى المحرم سنة ٨٣ هـ . وكان الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق يرسل إليه بحلة ثمينة ومبلغ من المال قدره ثلاثة آلاف درهم فى كل عام[١] .

(٥) يونس بن عطية الحضرمى : وكان من سادات حضرموت وأول قاضى يتولى من هذه القبيلة اليمنية ، وقد جمع له عبد العزيز بن مروان القضاء والشرطة فى سنة ٨٤ هـ[٢] ، وكان له رأى يعتد به فى القضاء . وقد ذكر الكندى أن الخليفة عبد الملك بن مروان أرسل إلى أخيه عبد العزيز يسأله فى نفقة المبتونة[٣] ، فجمع الشيوخ والفقهاء ، وكان يونس بن عطيه فى أخرياتهم فى المجلس ، فتكلم فى تلك المسألة ، فأعجب عبد العزيز برأيه فسأل الحاضرين عنه فأخبروه أنه من سادات حضرموت ، فولاه القضاء حينئذ[٤] . والواقع أن الوالى كان يحتفظ لنفسه بما كان يعجز عنه القاضى ، كما كان يجلس القضاء بنفسه ، حيث لم يكن هناك من حيث المبدأ ما يتصل بين السلطتين

---

(١) القضاه ، ص ٣٢١ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) المبتونة : هى المرأة المطلقة من الرجل يقال بت الرجل طلاق امرأته . المصباح المنير ، ص ٣٥ .

(٤) القضاة ، ص ٣٢٣ .

القضائية والتنفيذية[1] . ويذكر الكندى المؤرخ : أنه كان فى مجلس آخر للأمير عبد العزيز فقص عليه أخبار هجرته مع أعمامه[2] إلى المدينة . وذلك فى خلافة عثمان بن عفان ويقول القاضى يونس وكنت معهم وأنا غلام جفر[3] أعقل ماأسمع فخرجنا من حضرموت فى مائة راكب حتى أتينا المدينة فأقمنا بها شهرا ، وكان أبى وأعمامى يجالسون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فدخلوا على عثمان رضى الله عنه ليستأذنوه فى المسير إلى مصر . مما يدل على استمرار نزوح هؤلاء الحضارمة وغيرهم من اليمنيين إلى المدينة ، ومتابعة الهجرة إلى مصر فى أعقاب فتحها[4] . هذا وقد استمر فى ولايته للقضاء حتى صرف عنها فى سنة ٨٦ هـ .

(٦) أوس بن عبد الله بن عطيه : وهو ابن أخى يونس بن عطيه القاضى السالف الذكر – من قبيلة حضرموت أيضا – وقد ذكر

---

(١) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ .

(٢) القضاه ، ص ٣٢٣ .

(٣) الجفر : هو ولد الضأن الصغير فهو الذكر . والجمع جفار . المصباح المنير ، ص ١٠٣ .

(٤) تقع بلاد حضرموت شرق اليمن ، وكان يسكنها الصدف قبل الاسلام ، وقد ذكر ابن عبد الحكم أسماء من دخل منهم الفسطاط مع عمرو . وقد زاد عددهم فى مصر ، كما عثر على شواهد قبور بأسمائهم خلال القرن الثالث الهجرى . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ .
Hawry & Rached: Stéles Funeraires Volume I, P. I02.

الكندى أنه حين مرض يونس صرفه عبد العزيز بن مروان عن القضاء والشرط وجعل أوس بن عبد الله أبن أخيه على القضاء ، والحقيقة أنه لم يمكث فى ولايته للقضاء سوى شهرين ونصف ثم صرف فى ربيع الأول سنة ٨٦ هـ[١] .

٧ – عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيبى : من قبيلة تجيب الشهيرة ، وابن القائد معاوية المعروف من أوائل المجاهدين الذين خرجوا فى غزو أفريقية ، كما أشرنا من قبل[٢] – ولى القضاء من قبل عبد العزيز وكان قبل ذلك صاحب الشرطة فجمعا له فى سنة ٨٦ هـ[٣] .

كان عبد الرحمن القاضى أول من نظر فى أموال اليتامى ، وضمن عريف كل قبيلة بأموال اليتامى فيها ، واستمر الأمر على ذلك من بعده ، ومن الملاحظ أن غالبية هؤلاء القضاة اليمنيين قد جمعت لهم ولايتا القضاء والشرطة ، فهو صاحب الحق فى الفصل فى الخصومات ، وفى اقامة الحدود والتعزيز والتأديب فى نفس الوقت ، مما يدل على سعة الاختصاص والنفوذ والسلطان لهم أيام الامويين . وقد استمر عبد الرحمن فى ولايته للقضاء حتى صرفه الوالى الجديد عبد الله بن

(١) القضاه ، ص ٣٢٤ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٠ .

(٣) الكندى : القضاه ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .

عبد الملك (٨٦ - ٩٠ هـ)[١] وذلك فى رمضان سنة ٨٦ هـ[٢] .

٨ - عبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية : وهو ابن القاضى عبد الرحمن تولى القضاء بعد أبيه بفترة زمنية تقدربنحوثلاث سنوات ، وكان على الشرط أيضاً ، كما كان شديد التقشف فى حياته ، متمسكا بحقوق الناس ، زاهدا لا يكاد يشبع من الخبز كما ورد فى ترجمته رغم حداثة سنه ، فقد ولى القضاء وله خمس وعشرون سنة[٣] .

٩ - عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى : وهو الملقب بالأصفر ولى القضاء من قبل قرة بن شريك فى سنة ٩٠ هـ[٤] . وكان يرى أن استيفاء الحقوق لأهل مصر لا تدعه يشبع من الخبز

---

(١) تشير احدى اوراق البردى التى عثر عليها إلى حكم عبد الله ابن عبد الملك ، وإلى بعض الأوامر الصادرة عنه فى سنة ٨٦ هـ ،

Grohmann: Arabic Papyri, Vol,2, P.22

(٢) القضاه ، ص ٣٢٥ .

(٣) الكندى : المصدر السابق ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٤) عثر على مجموعة هامة من أوراق البردى خاصة بوالى مصر قرة بن شريك وهى عبارة عن مكاتبات بينه وبين حكام الأقاليم فى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، منها رسالة نشرها جروهمان لا يذكر تاريخها على وجه التحديد .

Grohmann: Op.cit., Vol,2,P.26.

أيضا ، وكان أخذ القضاء عن أبيه[1] .

١٠- عياض بن عبد الله الأزدى : وهو من قبيلة الأزد الشهيرة ، تولى القضاء من قبل قرة بن شريك فى عام ٩٣ هـ ، وكانت مدة ولايته على قضاء مصر أربع سنين . كما تولى القضاء للمرة الثانية فى عهد سليمان ابن عبد الملك عام ٩٩ هـ ، وقد أقره الخليفة بن عبد العزيز بعد توليه الخلافة[2] .

١١- عبد الله بن يزيد بن خذامر : وهو ابن خذام الصنعانى ، أى من صنعاء اليمنية ، وكان من موالى سبأ ، تولى القضاء من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز فى سنة ١٠٠ هـ ، واستمر كذلك نحو عامين[3] .

١٢- يحيى بن ميمون الحضرمى : تولى القضاء من قبل الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ، وذلك فى سنة ١٠٥ هـ ، ويبدو أنه لم يكن بالمحمود فى سيرته حيث كان أول قاضى يشكو الناس من كتابه الذين كانوا يسجلون الأحكام ، وقد طعن أهل مصر من العرب فى نزاهته ، حيث كان كتابه هؤلاء لا يكتبون - كما يقول الكندى - الا برشوة ، وعلى الرغم من شكوى الناس وطلب القاضى يحيى بعزلهم إلا أنه لم يعزل أحداً منهم[4] . ومما قيل عنه أن يتيما من قبيلة

---

(١) القضاه ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٣٢ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

(٤) القضاه ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

مراد اليمنية[١] ، جاء يشكو إليه من عريف قومه ، فلم ينصفه منه رغم اتيانه بالبينة الواضحة لمظلمته ، ولاشك أن هذا الامر وغيره من الاسباب هى التى أدت إلى صرفه عن منصبه[٢] .

١٣- توبه بن نمر الحضرمى : تولى قضاء الديار المصرية من قبل أميرها الوليد بن رفاعه وذلك فى سنة ١١٥ هـ[٣] ، ومما عرف عنه أنه لم يكن يقبل شهادة الأشراف[٤] ، ولا شهادة أحد المضريين على أحد من اليمنيين والعكس أيضا[٥] ، مما يدل على مدى العصبية التى عادت من جديد تفرق بين القبائل العربية وبطونها وبين اليمانية والقيسية فى مصر حينذاك . وقد ظل توبة فى قضائه حتى استعفى فى عام ١٢١ هـ[٦] .

---

(١) لعبت دورا ملموسا فى الفتوحات الاسلامية ، كما نزح من مراد خلق كثير ، ولاشك أنهم كانوا كثيرين فى مصر ، فعلى شواهد القبور أسماء طائفة من القرنين الثانى والثالث ، كما أن التسمية المرادى جاءت كثيرا فى أوراق البردى العربية .

Wiet: Repertoire Chro, Tome I, PP.5I, 73, 74, I34, Tome 2, PP. 48-49, 62, I44.

(٢) القضاه ، ص ٣٤١ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

(٤) أوجد الاسلام نوعا من شرف الدم ، وصلة القربى فى ذرية أهل بين رسول الله (ص) وكانوا يأخذون بوصفهم قرابة النبى راتبا من الدولة . الماوردى : الاحكام السلطانية ، ط . دار الفكر العربى ، ص ٨٥ ، سيده كاشف : مصر فى عهد الاخشيديين ، ص ٢٤٥ .

(٥) الكندى : القضاه ، ص ٣٢٥ - ٣٤٦ .

(٦) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ .

كان القاضى توبة بن نمر الحضرمى محمود السيرة ، قويا فى الحق ، عارفا بأحوال العرب سواء اليمنية منهم أو القيسية ، ومن الطريف أن زوجته وتدعى عفيرة الاشجعية كانت تحاول أن تثير فيه روح العصبية ، لاسيما وهى من القيسية ، إذ قالت له يوما[1] : « أما والله ياتوبة ماحاباك ابن رفاعة بهذه الولاية ، ولو أنه وجد فى قيس كلها من يسد سدك أو يستضلع بهذا الامر لآثره عليك وقدمه وأخرك وفى هذا القول مايدل على تفضيل اليمنيين على غيرهم من القيسيين عرب الشمال لتولى منصب القضاء فى مصر الأموية .

لقد كان القاضى ابن ميمون الحضرمى يخشى على نفسه من تأثير زوجته عليه فى قضائه وذلك لعصبيتها الواضحة ، فهو يقول لها محذرا[2] : « فاسمعى لاتعرضين لى فى شىء من القضاء ، ولا تذكرينى بخصم ولا تسألنى عن حكومة ، فإن فعلت شيئا من هذا ، فأنت طالق ، فأما أن تقيمى مكرمة ، واما أن تذهبى ذميمة » .

إتخذ توبة بن ميمون القاضى كاتبا له يدعى مغيث من موالى قبيلة حضرموت ، وقد كان يتحرى العدل والشهادة فى أحكامها التى يقضى بها ، ومما عرف أنه كان يقضى بيمين صاحب الحق مع شاهده فى الشىء اليسير . كما يذكر الكندى أنه كان أول قاضى بمصر يضع يده على الاحباس[3] ، وكانت هذه الاحباس من قبله فى أيدى

(١) الكندى : القضاه ، ص ٣٤٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٤٣ .

(٣) كان القاضى توبة يرى أنها من باب الصدقات فهى توزع على الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجة . المصدر السابق ، ص ٣٤٦ .

أصحابها أو فى أيدى أوصيائهم . كما يقول الكندى صاحب كتاب القضاة فى ذلك[1] : « فلم يمت توبة حتى صار الاحباس ديوانا عظيما » .

كان ابن ميمون سخيا جوادا ، لا يملك شيئا إلا وهبه ووصل به أخوانه وأفضل به عليهم ، ومن طريف مايروى عنه أنه أراد يوما أن يحجر على غلام من حمير لا تحوى يده شيئا إلا وهبه وبذره ، حيث قال له : أرى أن أحجر عليك يا بنى : قال فمن يحجر عليك أيها القاضى والله مانبلغ فى أموالنا عشر معشار من تبذيرك ، فسكت توبة ولم يحجر على سفيه بعد ... وقد توفى توبة وهو قاضى على مصر فى سنة ١٢٠ هـ[2] .

١٤ - خير بن نعيم الحضرمى : وهو رابع من تولى القضاء من الحضارمة اليمنيين خلال العصر الأموى ، كانت ولايته على قضاء مصر من قبل الوالى حنظلة بن صفوان الكلبى وذلك بعد وفاة توبة[3] ، وقد جعل إليه القضاء والقصص ، وقد أشاد الفقيه الشهير يزيد بن أبى حبيب بعلمه وفقهه ، فهو يقول عنه[4] : ماأدركت من قضاة مصر

---

(١) الكندى : القضاه ، ص ٣٤٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٤٧ . السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ، ص ١٣٩ ، ص ١٧٧ .

(٣) ذكر السيوطى أن توبة طلب الاستعفاء من القضاء ، وقد قيل له فأشر علينا برجل نوليه ، فقال : كاتبى خير بن نعيم الحضرمى ، فولى خير سنة ١٢١ هـ . حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٤) الكندى : القضاه ، ص ٣٤٨ .

أحدا أفقه من خير بن نعيم .

كان خير بن نعيم يقضى فى المسجد بين المسلمين ، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج ، فيقضى بين النصارى ، كما كان له مجلس أيضا على باب داره يشرف على الطريق يجلس فيه فيسمع من الخصوم ويقضى بينهم . وهكذا كانت مجالس الحكم والقضاء فى مصر فى صدر الاسلام .

وقد اشتهر القاضى خير بن نعيم ببعض الأحكام التى أصدرها وفى حالات بعينها فى الشهود ، كشهادة الصبيان فى الجراح التى يصيبونها ، وجواز شهادة ذوى الرحم إذا كان معروفا بالعدالة ، كما كان يسجن بالديون ، ثم لا يـ ـ ـن يطلق سراحه إذا علم بفقره وشهد له جيرانه بعدم وجود المال لديه[1] .

وكان خير أيضا يقبل شهادة أهل الذمة ، فهو يرى صحة شهادة النصارى على النصارى ، واليهود على بنى جنسهم[2] ، وكان يسأل عن مدى عدالتهم فى أهل دينهم ، وقد اشتهر القاضى خير بن نعيم بالنزاهة والعدل ، فهو يتكسب قوت عياله بيده كما جاء فى سيرته على لسان قريب له يدعى سهل بن على أحد شيوخ حضرموت بالفسطاط وكان ملازما له فى مجالسه ، يقول عنه[3] : « كنت ألازم خير بن نعيم وأجالسه وأنا يومئذ حديث السن ، وكنت أراه يتجر فى الزيت فقلت له : وأنت أيضا تتجر ، فضرب بيده على كتفى ، ثم قال : انتظر حتى تجوع ببطن غيرك فقلت فى

(١) الكندى : القضاه ، ص ٣٥١ .

(٢) ويذكر الليث أنه كان يسمع كلام القبط بلغتهم ويخاطبهم بها وكذلك شهادة الشهود منهم ويحكم بشهادتهم، القضاة ، ص ٣٤٩ حاشية .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٥٢ .

نفسى وكيف يجوع انسان ببطن غيره ، فلما ابتليت بالعيال إذا أنا أجوع بطونهم « هكذا كانت سيرة القاضى خير بن نعيم ، ولما قدم حوثرة بن سهيل الباهلى واليا على مصر من قبل مروان بن محمد آخر الخلفاء من بنى أمية وقتل عدد من أشراف اليمن ، عزل خير عن ولايته للقضاء وذلك فى سنة ١٢٧ هـ ، وقد ذكر السيوطى أنه صرف عن منصبه سنة ١٢٨ هـ[١] .

١٥ – عبد الرحمن بن سالم الجيشانى ، وهو من قبيلة المعافر اليمنية[٢] ، وكان آخر القضاة الذين شاركوا فى الحكم والقضاء من قبائل اليمن من أواخر العصر الأموى ، فقد تولى القضاء من قبل أمير البلاد حوثرة بن سهيل فى المحرم سنة ١٢٨ هـ ، ولم يزل فى ولايته حتى عزل نفسه فى سنة ١٣٥ هـ بعد زوال دولة بنى أمية وحكم العباسيين للبلاد[٣] . ولعل السبب فى تقديم استقالته كان يرجع إلى تدخل الولاة العباسيين فى شئون القضاء ، مما لم نسمع عنه طيلة الحكم الأموى لمصر ، ويوضح لنا الكندى هذا الأمر قائلاً : فاعتزل خير وجلس فى بيته وترك الحكم فأرسل إليه أبو عون الوالى العباسى

(١) الكندى : القضاه ، ص ٣٥٢ ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ .

(٢) المعافر قبيلة قوية ، شهدوا فتح مصر ، وقد أقاموا مع قبائل حمير اليمنية بالفسطاط ، وظلوا بها حتى القرن الثالث الهجرى كما تشهد بذلك شواهد القبور ، H.Hawry & H.Rached, Stéles Funeraires Tome I,PP.49, II4.

(٣) السيوطى : المصدر السابق والجزء ، ص ١٣٩ .

فقال : لا حتى ترد الجندى إلى مكانه . وحين طالبه الوالى باختيار أحد القضاه بدلا منه أشار عليه بتولى كاتبه غوث بن سليمان الحضرمى ، فلم يزل فى منصبه حتى صرف عنه عام ١٤٠ هـ[١] .

وهكذا ارتبط تاريخ القضاء فى مصر منذ فجر الاسلام بالعنصر اليمنى ، حيث كانوا هم الغالبية ممن تولى هذا المنصب الهام ، كما جمعت لهم الشرطة مع القضاء فى آن واحد ، مما يدل على هيمنة اليمنيين بالفسطاط ومدى سيطرتهم فى حكم البلاد فى أعقاب الفتح وحتى زوال الخلافة الأموية .

---

(١) الكندى : القضاه ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

الفصـــل الرابـــع

دور اليمنيين الحضارى فى مصر
حتى زوال الخلافة الأموية

١ – اهتمام الحكام اليمنيين بالجوانب الاقتصادية .

٢ – مشاركة أهل اليمن فى الحركة العلمية .

أولاً : فى مجال الحديث .

ثانياً : القراء اليمنيون .

ثالثاً : الفقهاء اليمنيون .

رابعـاً : مشاركة الشعراء اليمنيين فى الجانب الأدبى .

خامساً : القصاص ورواة الاخبار والمغازى من أهل اليمن .

١ - اهتمام الحكام اليمنيين بالجوانب الاقتصادية

بلغ عرب الجنوب ثلاثة أضعاف عرب الشمال من القيسيين فى مصر[١] حيث توالت الهجرات العربية فى خلافة عثمان ومن بعده حتى أوائل القرن الثانى الهجرى[٢] ، ومن ثم صاروا أصحاب الاثر الفعال فى الحياة المصرية ، لاسيما فى مجال نشر الاسلام والتعريب والنواحى السياسية الاخرى .

أما الجوانب الاقتصادية سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، فإن الولاة اليمنيين قد بذلوا جهدهم فى هذا المجال من أجل زيادة الموارد المالية التى كان يجبيها هؤلاء الولاة وعمال الخراج الاخرين .

ومن المعروف أن عمر بن الخطاب الذى فتحت فى عهده مصر قد أمر بنهى الجند عن اشتغالهم بالحرث أو الزرع بالأرض المصرية وفى غيرها من الامصار حيث تشير المصادر إلى أن أمير المؤمنين كتب إلى أمراء الاجناد فى تلك الامصار أن يتقدموا إلى رعاياهم من الجند العرب بأن عطائهم قائم وأن رزق عيالهم ماثل ، فلا يزرعون ولا يزارعون[٣] .

---

(١) البرى : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، ص ٢٢٤ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ ، ١٧٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١٧ .

ويبدو أن عطاء الجند لم يكن يكفيهم ، يتضح ذلك من محاولة شريك بن سمى الغطيفى ، وكان من الشخصيات اليمنية البارزة حينذاك ، فقد هم شريك باتخاذ قطيعة له من الأرض لزراعتها كما يذكر ابن عبد الحكم(١) حيث العطاء لا يكفيه فهو يقول لعمرو بن العاص « إنكم لا تعطونا ما يحبسنا افتأذن لى بالزرع ؟ فرأى القائد عمرو أن يستأذن فى ذلك أمير المؤمنين فبعث إليه فى المدينة يخبره برغبة شريك فى الحرث والزرع بأرض مصر ، فكان رد أمير المؤمنين بضرورة أن يرسله إليه ، وعندما بلغ المدينة شريك عنفه أمير المؤمنين على مخالفة أمره ، وكان رد شريك عليه : أو تقبل منى ما قبل الله من العباد ؟ يعنى التوبة ، فكتب عندئذ إلى عمرو يخبره بأن شريك جاء تائبا وأنه قبل منه ذلك .

وهكذا رفض عمر بن الخطاب محاولة شريك اشتغاله بالزرع بالاضافة إلى عمله كمقاتل من بين جند الحامية العربية وحتى يتفرغ هؤلاء الجند للاشتغال بالجندية والحرب والزود عن حدود البلدان من أعداء المسلمين .

أما ماورد فى كتاب فتوح مصر والمغرب وغيره من المصادر التاريخية فيما يتصل بارتباع الجند(٢) وخروجهم إلى مناطق متفرقة بالقرب من الفسطاط وذكر أسماء القبائل التى كانت تخرج للارتباع سواء إلى مدن

---

(١) كان شريك من قواد الفتح العربى ، ومن غطيف وهم بطن من مراد إذ كان لهم مخلاف باسمهم من مخاليف اليمن ، وقد نزل أكثرهم مصر ، وكان منهم شريك على مقدمة الجيش الفاتح ، وهو الذى سمى كوم شريك باسمه ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٠٧ ، هامش ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٩٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٩ . المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١ .

أسفل الأرض كأتريب وعين شمس ومنوف ونمى ووسيم[١] ، أو إلى الصعيد الادنى كالفيوم وغيرها ، فإن القصد كان هو خروج الجند إلى الريف فى فصل الربيع حيث يطلقون خيولهم لترعى ويمارسون أعمال الصيد والفروسية ونحو ذلك ، يتضح ذلك ما جاء فى خطبة عمرو ، كما يرويها بحير ابن ذاخر المعافرى أحد اليمنيين فهو يقول[٢] . « وأربعوا خيلكم وأسمنوها ، وصونوها وأكرموها ، فإنها جنتكم من عدوكم ، وبها مغانمكم وأثقالكم واستوصوا بما جاورتموه من القبط خيرا » .

ولقد استمرت أعمال الجند قاصرة على الجهاد والمرابطة فى الثغور ولم يعمل العرب بالزراعة أو بأية حرفة أخرى ، وذلك حتى أوائل القرن الثانى الهجرى عندما نزحت قبائل من قيس المضرية ونزلت بالحوف الشرقى فى عهد الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك وذلك لايجاد نوع من التكافؤ بين قبائل العرب فى مصر كما اشرنا من قبل[٣] .

وقد استولت تلك القبائل النازحة من الشام على أراضى المصريين وقامت بالحرث والزرع فيها . وكان من جراء ذلك وقوع ثورة القبط الاولى سنة ١٠٧ هـ[٤] ، واستمرارها حتى عام ١٢١ هـ حتى عمت الدلتا والصعيد[٥]

---

(١) كانت بلى تأخذ فى منف وطرابية ضمن الخطط فى الوجه البحرى ، وكانت مهجه تأخذ فى ارتيب وعين شمس ومنوف ، وكانت قبيلة مهرة اليمنية ترتبع فى نمى وهى قرية قديمة من قرى مركز السنبلاوين من أعمال محافظة الدقهلية . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٩٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٣) الكندى : الولاه ، ص ٧٦ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٤٨ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١٤٦ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٨ .

وقد سبقت الاشارة إلى هجرة هؤلاء القيسية من بنى عامر وهوازن وبنى سليم وأن الأمر اقتصر عليهم ، حيث أنزلهم الوليد بن رفاعة بجهة بلبيس وأمرهم بالزرع ، كما ذكر الكندى[١] أن ابن رفاعة نظر إلى الصدقات من العشور فصرفها إليهم حيث اشتروا الابل فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم ، وكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير .

ولاشك أن العرب كانوا يقدرون مصر بسبب خيراتها الوفيرة ومحاصيلها الزراعية المختلفة ، فقد كانت مصر تنتج الحبوب والغلات وخاصة القمح وكذلك الخضروات وأنواع الفواكه الكثيرة[٢] ، كما كان يزرع بها الكتان بوفرة وغير ذلك من أنواع الزراعة فى سائر الكور المصرية[٣] .

ومن أجل ذلك اهتم العرب بأمر الأراضى وعملوا على استصلاحها وزراعتها ، كما عملوا على حفر الترع وعمارة الجسور ، فقد ذكر ابن عبد الحكم نقلا عن يزيد بن حبيب أنه كانت فريضة مصر بحفر خلجها وإقامة جسورها ، وبناء قناطرها ، وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين الفا من الدنانير[٤] .

كما بذل الحكام العرب جهودهم من أجل استزراع انواع جديدة من المحاصيل مثل قصب السكر . فقد أشار المقريزى عند حديثه عن بركة الحبش بجنوب الفسطاط التى كانت تعرف ببركة المعافر وذلك

---

(١) الولاه ، ص ٧٧ .

(٢) يذكر ابن الكندى منها الكروم والتين والموز والجوز وسائر الفاكهة . فضائل مصر ، ص ٤٧ ، تحقيق ابراهيم العدوى ، على محمد عمر .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٨٥ - ١٨٩ .

(٤) فتوح مصر والمغرب ،الخطط ، جـ ١ ، ص ١٣٥ .

نسبة إلى القبيلة اليمنية المعروفة ، كما كانت تعرف ببركة حمير[1] ومحاولة زراعة قصب السكر بها .

وقد تم ذلك فى ولاية قرة بن شريك (٩٠ – ٩٦ هـ) كما ذكر الكندى فهو يقول عن ذلك[2] وقدم قرة من وفادته فى سنة ثلاث وتسعين فاستنبط الاصطبل لنفسه من الموات ، وأحياه وغرسه قصبا ، فكان يسمى اصطبل قرة ويسمى اصطبل القاسى يعنون القصب .

وتشير اوراق البردى إلى زراعة قصب السكر فى مصر خلال القرن الثانى الهجرى[3] ، كما نسب إلى الامام الشافعى قوله الشهير : « لولا قصب السكر ماأقمت بمصر »[4] ومهما يكن من أمر فإن الولاة اهتموا بشئون الزراعة وماتنتجه الأراضى المصرية من أنواع الزروع والمحاصيل ولزيادة خيرات البلاد .

ومما تجدر الاشارة إليه فهو عدم توسع العرب فى مسألة اتخاذ الحرث والزرع كما هو الحال بالنسبة لاهل البلاد من المصريين وأن قبائل اليمن لم تنزل إلى القرى المصرية أو اتخاذها الزرع معاشا إلا بعد زوال الحكم الاموى ، وقيام الخليفة العباسى المعتصم بقطع أعطيات الجند

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٦٣ – ٥٦٤ .

(٢) الولاه ، ص ٦٥ ، المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٥٦٢ .

(٣) Grohmann: Arabic Papyri, Vol, II, PP.46 48. –

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ .

أو عطاء أهل مصر ، فى سنة ٢١٨ هـ على يد كيدر واليه على البلاد حينذاك[١] .

والواقع أن اهتمام الحكام العرب من هؤلاء الولاة اليمنيين وغيرهم بأمر الزراعة لم يكن قاصرا على استصلاح الأراضى وحفر الترع وعمارة الجسور ، بل وفى العمل على بناء مقاييس للنيل من أجل ضبط مائة وتصريفه فى أوقاته ، وفيما تعكسه زيادة النيل من زيادة فى الانتاج الزراعى وارتفاع فى أموال الخراج تبعا لذلك[٢] ، فقد بنى عمرو بن العاص مقاييس للنيل بكل من أسوان ودندرة ، ولاشك أن الذين أشرفوا على بنائها كانوا من العنصر اليمنى ، وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان تم بناء مقياس آخر بأنصنا[٣] وأيضا فى عهد عبد العزيز بن مروان صنع مقياس بحلوان[٤] ، كذلك قام اسامة بن زيد التنوحى عامل الخراج وهو من أحد رجالات اليمن من بطون قضاعة اليمنية ، بالعمل على بناء مقياس جديدة بجزيرة الروضة

(١) الكندى : الولاه ، ص ١٩٣ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) أفرد المقريزى فى كتابه فصلا للحديث عن مقاييس النيل وزيادته ، نقل فيه من رواية ابن عبد الحكم ، ومايتعلق بكتاب عمرو الذى أرسله إلى أمير المؤمنين بشأن عروس النيل ، والبطاقة التى بعث بها إليه لالقائها فى النيل بدلا من العروس أو الجارية التى كانوا يلقونها فى النيل . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(٣) مدينة أنصنا من المدن التى اندثرت وكانت تقع شرق النيل من نواحى الصعيد . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

سنة ٩٧ هـ وكان أكبرها زرعا[١] ، وذلك بالنسبة لمقاييس النيل الاخرى .

أما بالنسبة للحرف والصناعات ، فليس من شك أنها أصبحت محل الاهتمام من جانب الحكام العرب فى أعقاب الفتح العربى ، فقد شجع الولاة الحرفيين والصناع من المصريين الأقباط على جودة انتاجهم لسد احتياجات المجتمع من السلع والمصنوعات وتلبية لرغبات الخلفاء الأمويين ووسائل معيشتهم من أدوات الترف والنعيم .

وقد اشتهرت مصر إذ ذاك بالعديد من الصناعات مثل صناعة البناء والورق والزجاج والنسيج وصناعة الاثاث وأدوات الزينة وغير ذلك من استخراج الزيوت والعطور المصرية . وكان المصريون يستوردون بعض المواد الخام اللازمة لهذه الصناعات من خارج البلاد كالحديد والنحاس والاخشاب[٢] .

والواقع أن العرب حين فتحوا البلاد وجدوا بها من الصناعات الراقية والاساليب الفنية الزاهرة ، وقد انتهز الحكام العرب الفرصة فعملوا على الاستفادة من خبراتهم فى بناء مايحتاجون إليه من أبنية[٣] ،

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٢) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٦٩ – ٧٠ .

(٣) ذكر القلقشندى : أن عبد العزيز بن مروان امير مصر بنى له دار عظيمة بالفسطاط فى سنة ٦٧ هـ ، وقد اسماها دار الذهب وجعل لها قيمة مذهبه ، إذا طلعت عليها الشمس لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره من شدة بهائها . صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٣٥ .

وفى صناعة السفن بجزيرة الروضة وفى الاسكندرية[١] ، وفى غيرها من دور الصناعة الاسلامية الجديدة كما حدث فى بناء دار الصناعة بتونس فى ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر[٢] .

كذلك وردت اشارات كثيرة تتضمن إرسال العمال والصناع المصريين إلى الشام وسورية وبلاد الحجاز للعمل فى بناء المساجد ولزخرفتها بالفسيفساء والجص وغير ذلك[٣] .

كان الولاة أو الحكام المسلمين وأغلبهم من العنصر اليمنى فى العصر الاموى يشجعون هؤلاء الصناع فى صنع ماكان يلزمهم من حاجيات وخاصة فى مصانع البردى والنسيج وغيرها من الصناعات المصرية آنذاك[٤] ، ولا غرو فى ذلك فقد كان اليمنيون أصحاب حضارة وفنون راقية قبل ظهور الاسلام[٥] ولاسيما فى مجال العمارة وصناعة البناء[٦] .

---

(١) Bell: Translation of the Greek Aphrocito,

(٢) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ١٩٩ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ص ٧٣ ، حسن عبد الوهاب : توقيعات الصناع ، ص ٥٤٢ ، بحث نشر بمجلة المجتمع العلمى الغربى .

(٤) اشتهرت مصر بصناعة البردى وكانت تصدره إلى سائر انحاء الدنيا فى عصر الولاه ، وكان من أهم مراكز صناعته بورة ووسيمة وهما من المدن الساحلية المصرية ، اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٣٨ .

(٥) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٧٢ .

(٦) كانت تلك الحضارة قد اضمحلت فى القرون السابقة على ظهور الاسلام ، وقد وصف الرحالة الاوربيون مظاهر تلك الحضارة من أمثال جلاذر العالم النمساوى حيث جاء فى وصفه لسد مأرب الشهير وسعيد صرواح وتلك الابراج التى شيدها أهل اليمن ما يدل على مدى تفوقهم فى صناعة البناء

وثمة صناعات أخرى كالخزف والزجاج والمعادن،، وما اشار إليه المؤرخ الانجليزى بتلر فى وصفه لمدينة الاسكندرية[1] ، ابان الفتح العربى مما يدل على تفوق المصريين[2] ، وقد ظلت تلك الصناعات والمهن الحرة فى أيدى المصريين ، فلم يكن العرب ليشتغلوا بها فى عصر الفتوحات الاسلامية ، فلاشك أن أمور الجهاد والمرابطة فى الثغور هى جل ماكان يشغلهم إذ ذاك . هذا وقد كفاهم المصريون ذلك .

ويمكن القول بأن الأمر ينطبق على حرفة التجارة أيضا ، وذلك على الرغم مما تشير إليه المصادر نحو خبرة العرب الفاتحين بالمواد والسلع والاتجار فيها قبل ظهور الاسلام ، فقد ذكر الكندى أن عمرو بن العاص كان يختلف بتجارته إلى مصر وهى الأدم والعطر فى الجاهلية[3] .

اهتم عمرو بن العاص أمير البلاد بعد الفتح بحفر خليج أمير المؤمنين ، حتى يتم ربط النيل بميناء القُلزم[4] ، حيث بدأت أعمال الحفر

= والعمران منذ العصور القديمة ، زيتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم ، ص ١٥٢ ، ترجمة فؤاد حسنين على ، زكى محمد حسن .

(١) فتح العرب لمصر ، ص ٣٢٦ - ٣٢٩ .

(٢) بلغت هذه الصناعات ذروتها خلال القرنين الرابع والخامس، بعد أن زادت الاسكندرية عمرانا واتسعت، حيث ظلت مركز صناعات وفنون عديدة . زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الاسلامية ، ص ٥ - ١١ ، مقال بمجلة جمعية الاثار القبطية ، المجلد الثالث ، ١٩٣٧ .

(٣) الولاه ، ص ٧ .

(٤) القلزم : من القلازم والدواهى وهى العقبات والصعوبات التى كانت تعترض الملاحة فى البحر الاحمر ويعرفه المقريزى بأن هذا البحر إنما عرف فى ناحية ديار مصر بالقلزم ، لأنه كان بساحله الغربى فى شرق أرض مصر مدينة تسمى القلزم . الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٧ ، =

سنة ٢٣ هـ من فم الخليج شمال الفسطاط لتنتهى عند بداية خليج البحر الاحمر[١] .

ولاشك أن حفر الخليج قد ساعد على نشاط التجارة بين مصر وبلاد العرب ، والظاهر أن العرب عرفت أهمية هذا الطريق المائى خلال القرون الاولى بعد الميلاد ، ففى رواية ابن عبد الحكم مايفيد أن أهل الحجاز كانت تأتيهم سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الاسلام[٢] .

والواقع أن الفتح العربى لم يغير شيئا فى الدور التجارى الذى لعبته مصر منذ العصور القديمة ، فكما اهتم العرب باستغلال خيرات مصر ومنتجاتها المحلية ، اهتموا أيضاً باستغلال الموقع الجغرافى العالمى لمصر . وقد عبر المؤرخون المسلمون عن ذلك الموقع الممتاز فكتبوا أن من فضائل مصر « أنها فرضة الدنيا يحمل من خيرها إلى سواحلها وذلك أن من ساحلها بالقلزم ينقل إلى الحرمين وإلى جده وإلى عمان وإلى الهند وإلى الصين وصنعاء وعدن والشجر والسند وجزائر البحر ، ومن جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلد الروم وأقاصى الافرنجة وقبرص ، وسائر سواحل الشام والثغور إلى حدود العراق ، ومن جهة الاسكندرية فرضة اقريطش وصقلية وبلد الروم ، والمغرب كله إلى طنجة ومغرب الشمس ، ومن جهة الصعيد فرضة بلد النوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن[٣] .

وتشير المصادر التاريخية إلى أن اهتمام عمر بن الخطاب بحفر

Lane — Poole: A History of Egypt in the Middle Ages, P.20. =

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٤٦ .

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢١ .

(٣) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٧٠ .

قناة تراجان والتى عرفت بخليج امير المؤمنين كان من أجل اغاثة أهل الحجاز وتسهيل حمل الغلال والطعام من مصر إلى الحجاز[1] ، ولاشك أن ذلك العمل الذى أشرف على تنفيذه العنصر اليمنى إذ ذاك قد أفاد إلى حد كبير التجارة والتجار سواء المصريين أو العرب المسلمين . حيث يذكر المقريزى[2] نقلا عن المؤرخ ابن الطوير أن هذا الخليج كان مسلكا للتجار وغيرهم خلال العصر الاموى ، ويذكر أن السفن أيضاً كانت تسير فيه إلى البحر الاحمر ، وتمر فى البحر إلى الحجاز واليمن والهند فى العصر الاموى وقد ظلت شهرة الاسكندرية بعد الفتح العربى باعتبارها ملتقى التجارة العالمية ، حيث كان يتم تبادل البضائع منها شعوب عديدة وكان المشرفون على هذا الثغر فى غالبية الوقت من اليمنيين فى العصر الاموى من أمثال كريب بن أبرهة بن الصباح العامرى فقد كان على ثغر الاسكندرية فى عهد عبد العزيز ابن مروان (٦٥ - ٨٥ هـ)[3] .

وكان الحكام العرب يشجعون التجارة ، من أجل توفير السلع والعمل على زيادة الضرائب التى فرضوها على التجار ومن أمثلة ذلك ماأثر عن رزيق بن حيان الذى كان على مكس مصر فى خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) أنه قال : « أن الخليفة كتب إليه أن يراقب من مرّ عليه من المسلمين فيأخذ مما ظهر من أموالهم ، وما ظهر له من التجارات من كل أربعين دينارا وما نقص بحسابه حتى تبلغ عشرين دينارا . فإن نقصت عن ذلك تركها ولا يأخذ منها شيئا ، وإذا مر عليه أهل الذمة

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٥٦ - ١٥٨ .

(٢) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٤٧ .

(٣) السيوطى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٢٩ .

أخذ منهم من كل عشرين دينارا دينارا ، وما نقص عن ذلك لا يأخذ منها شيئا ، وألا يأخذ من التجار مرة أخرى قبل انقضاء العام ، وأن يكتب لهم كتابا بما أخذ منهم[1] .

(1) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٠٨ .

٢ - مشاركة أهل اليمن فى الحركة العلمية

أولاً - فى مجال الحديث :

أشارت المصادر العربية إلى من شارك فى أعمال الفتح الاسلامى من الصحابة رضى الله عنهم والسعى نحو هداية المصريين إلى الاسلام ، كما ذكرت أسماء من نزح إلى مصر منهم فى أعقاب الفتح للمشاركة فى أعمال الجهاد ومواصلة الفتوح نحو المغرب . وكان من مشاهير الصحابة الذين وفدوا على البلاد عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، والزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وخارجة بن حذافة العدوى ، ومسلمة بن مخلد الأنصارى ، وشريك بن سمى العطيفى المرادى ، وعبد الله بن حزم الزبيدى المذحجى وكان آخر صحابى جليل يفد إلى مصر ، وقد توفى بها فى سنة ٨٧ هـ[(١)] .

كان هؤلاء الصحابة فى غالبتهم ممن ينتمون إلى أصول يمنية ، وذلك وفقا لما أورده السيوطى[(٢)] ، وكانوا من القراء والحفاظ لكتاب الله عز وجل

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢١٢ .

(٢) بدأ السيوطى فى ذكر الصحابة رضى الله عنهم الذين وفدوا على مصر فى كتابه الذى أفرده خاصة لتراجمهم دور الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة ، فقد بدأ بحرف الهمزة فذكر الصحابى أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميرى، حيث نقل عنه أنه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ففرش له رداءه ، ثم قدم الشام وكان ضمن جيش عمرو الفاتح ، ثم أشار إلى أن عمرو أرسله على رأس جماعة من الجند إلى الفرما ففتحها . وذلك بعد أن فرغ من فتح الاسكندرية وعاد إلى الفسطاط ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٦٧ .

ومن رواة الحديث . وقد تعمد الخلفاء الراشدون تفريقهم فى البلدان والامصار ليعلموا أهلها الدين الاسلامى ومسائل الحلال والحرام وما يتصل بالعلوم الاسلامية فى نشأتها الأولى .

وتشير المصادر التاريخية إلى عبد الله بن عمرو بن العاص وأثره الواضح فى تأسيس مدرسة الحديث بجامع الفسطاط ، وإلى اتباع أهل مصر له ، فقد ذكر القريزى[1] أن أهل مصر كانوا يتبعون فى الأكثر فتاويه ، كما كان أهل الكوفة يتبعون فى الاكثر فتاوى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، كما ذكر السيوطى[2] أن لأهل مصر عن عبد الله بن عمرو أكثر من مائة حديث . وقد كان عبد الله رجلا واسع الثقافة روى عنه أنه كان يقرأ التوراة ، كما يروى عن شريك بن سمى أنه قال : رأيت عبد الله بن عمرو يقرأ السريانية[3] .

كما ذكر الطبرى[4] أنه كان يقرأ كتب دنيال بمصر ، وكانت قريش تعده عالما إذ ذاك[5] . وقد روى عنه الحديث كثير من الصحابة والتابعين فى المدينة والشام ومصر ، وقد خرج مع أبيه إلى مصر حين توليه اياها

(١) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

(٣) احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٩٠ .

(٤) تاريخه ، جـ ٥ ، ص ٤٧٧ .

(٥) كان عبد الله بن عمرو من أكثر الناس حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدون ما يسمع فقد روى عنه مجاهد قال : رأيت عند عبد الله بن عمرو صحيفة فسألته عنها فقال : هذه الصادقة فيها ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بينى وبينه فيها أحد . سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ١٩ - ٢٠ .

من قبل معاويه بن ابى سفيان وابتنى بها دارا ، فلم يزل بها حتى مات ، فدفن فى داره بمصر وذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان[1] .

ويعد عبد الله بن عمرو بحق مؤسس المدرسة الدينية المصرية بالفسطاط ، ولاغرو فقد كانت دروسه بجامع عمرو تشتمل التفسير والحديث وفيها الفقه واللغة والجدل الدينى . وقد روى المقريزى[2] عن حيوة بن شريح قال : دخلت على حسن بن شفى بن مانع الأصبحى وهو يقول فعل الله بفلان ، فقلت ماله ؟ فقال : عمد إلى كتابين كان شفى سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أحدهما : قضى رسول الله فى كذا ، وقال رسول الله كذا ، والآخر مايكون من الاحداث إلى يوم القيامة فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب[3] .

ويظهر من هذه الرواية الاثر الواضح لما رواه عبد الله بن عمرو من الأحاديث النبوية وما أخذ عنه أمثال حسن بن مانع الاصبحى صاحب الرواية وغيره من أهل اليمن ، مما يدل على نشاطه العلمى آنذاك ، فقد أخذ عنه كثير من أهل مصر ، كما كانوا يكتبون عنه مايحدث .

كما ذكر السيوطى أن الصحابى عبد الله بن الحارث الزبيدى اليمنى كان من رواة الحديث حيث قال : « ولأهل مصر عنه عشرون حديثاً »

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤٧ ، الكندى : الولاه ، ص ٣١ ، ص ٤٦ .

(٢) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٣) الخولة والرباب مركبان كبيران من مراكب وسفن الجسر حيث كانا يكونان عند رأس الجسر فيما يلى الفسطاط ، وقد كانا من الكبر حيث تجوز تحتها المراكب . أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٩١ .

وقد اشار ابن عبد الحكم[1] إلى ماكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحبة وتسمية الرسول له باسم عبد الله بدلا من العاص .

كان هؤلاء الصحابة الذين عاشوا مع النبى وصحبوه خير مصدر لرواية الحديث الشريف والسنن ، ولاغرو فقد سمعوا منه مباشرة وشاهدوا أعماله . وقد وفد منهم من أقام بالفسطاط بعد اختطاطها العدد الكثير مثل ، اياس بن عامر العافقى ، وحسان بن كريب الرعينى الحميرى ، وسليم ابن عتر التجيبى ، وعبد الله بن رزيق الغافقى (ت ٨٠ هـ) وزياد ابن ربيعة بن نعيم الحضرمى (ت ٩٥ هـ)[2] .

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم ، بل أخذ التابعون يفدون من المدينة إلى مصر أيضاً كما تذكر المصادر من هؤلاء الذين رووا الحديث الشريف من أهل اليمن شيبان بن أمية بن قيس القتبانى (وقتبان بطن من رعين الحميرية) وقيس بن سمى التجيبى وكثير بن قلب الصدقى ، وأسلم بن يزيد التجيبى ، نقل السيوطى عنه أنه كان وجيها بمصر فى أيامه ، وكان الأمراء يسألونه فى حوائجهم[3] .

ومن الملاحظ أن الامر لم يقتصر على نزول هؤلاء الصحابة والتابعين بالفسطاط فى ذلك الوقت المبكر وعقدهم حلقات العلم والحديث فى جامع عمرو بن العاص بل كان نزولهم أيضا بالاسكندرية وكان ممن نزل بها ثمامة بن شقى الهمدانى المكنى (أبو

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢١٢ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٧ .

على المصرى)[1] وكان ثقة فى الحديث ، وكانت وفاته قبل العشرين ومائة من الهجرة[2] :

كما ذكر السيوطى[3] من رواة الحديث الحارث بن يزيد الحضرمى فقد روى الحديث بالاسكندرية ، ثم توجه إلى برقة ومات بها سنة ١٣٠ هـ . نقل عنه المحدث الشهير الاوزاعى بالشام ، والليث بن سعد عالم مصر وفقيها الشهير .

والواقع أن غالبية من ذكرهم السيوطى كانوا من أهل اليمن ، يدلنا على ذلك ماتنتهى به اسمائهم أمثال الحكم بن عبد الله البلوى المصرى ، وأبو عشابه المعافرى وكان ثقة نقل عن ابن عمرو وعقبة بن عامر وابن حيان وغيرهم وكانت وفاته بمصر ١١٨ هـ . ودخين بن عامر الحجرى كاتب عقبة ابن عامر ، وكان استشهاده فى احدى المعارك التى خاضها الجيش الاسلامى ضد الروم سنة ١٠٢ هـ[4] .

ومن الجدير بالذكر أن تدوين الحديث على يد التابعين لم يبدأ

(١) وتمامة من قبيلة همدان اليمنية وكانت بلادها أحد مراكز الحضارة فى بلاد العرب وقد تصدت لقائد الجيش الحبشى أبرهة حين حاول تدمير الكعبة فى عام الفيل . وتشير شواهد القبور وأوراق البردى إلى اقامة همدان بالفسطاط خلال القرن الثالث الهجرى .

Grohmann: Arabic Papyri, tome I, P.I36.

Wiet: Repertoire Chro, Tome I, P.I72.

(٢) السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٤) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ .

إلا فى عهد عمر بن عبد العزيز[1] ، وذلك خشية ضياع دروس العلم وذهاب العلماء والمحدثين[2] . فقد كتب إلى أمراء الامصار يحثهم على نشر العلم ، ومما ورد فى كتابه قوله : « ثم أكثر تعاهد شرائع الاسلام ومر أهل العلم والفقه من جندك ، فلينشروا ماعلمهم الله من ذلك ، وليتخذ ثوابه فى مساجدهم » وقد أدى ذلك إلى دخول عدد كبير فى الدين الاسلامى من المصريين حتى أن والى مصر اقترح على عمر بن عبد العزيز الا يعفى من يدخلون فى الاسلام بعد ذلك من أداء الجزية ، ولكن الخليفة عمر ابى أن يجيب هذا الوالى إلى طلبه وكتب إليه يوبخه على اقتراحه قائلاً : « قبح الله رأيك ، إن الله إنما بعث محمد هاديا ولم يبعثه جابيا ، فضع الجزية عمن أسلم ، ولعمرى أشقى من أن يدخل الناس كلهم فى الاسلام على يديه[3] وهكذا كان الخليفة عمر يرى أن هداية المصريين للاسلام هو الهدف المنشود ، وليس الامر هو العمل على جباية الجزية والاموال كما رغب أيوب ابن شرحبيل عامله على مصر[4] حينذاك .

كان المحدثون فى مصر وغيرها من الامصار فى صدر الاسلام يعنون

(١) من أقدم صحائف الحديث المدونة والتى عثر عليها صحيفة عبد الله ابن لهيعة المصرى ، وهى من الصحائف الباقية إلى الآن ضمن مجموعة أوراق البردى بمدينة هيدلبرج . سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٣ .

(٢) عبد الله بن الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، نسخ وتصحيح أحمد عبيد ص ٦٨ .

(٣) ارنولد : الدعوة إلى الاسلام ، ص ١٢٤ ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين .

(٤) الكندى : الولاه ، ص ٦٨ .

بالروايات التى تقرر مبادىء فقهية أو خلقية[1] ، وفيما يحث على حسن معاملة الناس وهدايتهم إلى الاسلام .

وقد إزدادت رواية الحديث ونشطت خاصة بعد أن ظهرت بين المسلمين فرق واشباع من خوارج وشيعة وغيرهم من العصر الأموى[2] وتشير المصادر إلى أن هذه الفرق الدينية وانصارها من العلوية والخوارج ، ما كانت تتحرج فى سبيل نصرة مبادئها إلى وضع الاحاديث ونسبتها للنبى (ص)

---

(١) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٥ .

(٢) وضعت أحاديث كثيرة بسبب الخصومة السياسية بين على وابى بكر وبين على ومعاوية وبين عبد الله بن الزبير وعبد الملك ثم بين الامويين والعباسيين بعد ذلك فمن الأحاديث التى وضعت لتأييد الأمويين كالخبر الذى روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى معاوية : اللهم قه العذاب والحساب وعلمه الكتاب ، وكالذى روى أن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء إنما ولى الله وصالحو المؤمنين . وهكذا كما قيل أن اكثر الاحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيام بنى أمية تقربا اليهم . أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢١٣ .

لتأييد رأيهم وتأكيد مذهبهم وذلك على نحو مافعل عبد الله بن سبأ[1] وأتباعه بمصر وماعلموا على ترويجه من أحاديث نحو أحقية على بالخلافة والقول بالرجعة والوصاية ، والحق أن مصر لم تكن الاجزء من دولة الخلافة الأموية التى تصدت لها تلك الفرق بالقول والفعل من أجل تقويض أركانها والعمل على زوال ملكها .

(١) كان ابن سبأ يتحدث أينما سار فى الأمصار وحين ذهب إلى مصر وجد الأرض الخصبة لكيده ومكره فكان يقول : بأن النبى محمد أحق بالرجعة من عيسى بن مريم ويذكر قوله عز وجل : إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد « كما كان يتحدث إلى الناس بأن لكل نبى وصيا ، وبان النبى أوصى لعلى فى حديث غديريرخم الشهير » من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ... الخ « وهكذا كان يروج بين الناس بأن عليا خاتم الاوصياء كما أن محمدا خاتم الانبياء . الطبرى : تاريخه ، جـ ٤ ، ص ٣٤٠ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٣ ، طه حسين : الفتنة الكبرى ، جـ ١ ، ص ١٣١ – ١٣٢ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٦٧ – ٢٧٠ الطبعة الثامنة .

ثانياً-القراء اليمنيون :

اختلف القراء فى عهد عثمان بن عفان فى قراءة كتاب الله العزيز ويرجع البعض أسباب الاختلاف أو التنوع فى القراءة إلى ماشتمل عليه القرآن الكريم من ألفاظ القبائل العربية المختلفة بما فيها قبائل عدنان من الشمال وقبائل قحطان من عرب الجنوب وإن جاءت ألفاظ قريش فى الغالبية ، تليها قبيلة هذيل ثم كنانة وحمير وغيرهم من قبائل العرب كما يرجع البعض الآخر أسباب التنوع فى القراءة إلى اختلاف المصاحف التى كانت محفوظة لدى الصحابة رضى الله عنهم(١) ، وذلك قبل أن يصلهم مصحف عثمان ، الذى كان خاليا من النقط والشكل ، حتى أن عثمان الخليفة الثالث أطلق للمسلمين القراءة على أى حرف أو لهجة من لهجاتهم(٢)

---

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٥١٠ – ٥١٣ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ – ٢٥١ ، عبد الله خورشيد البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٤٨ – ٤٩ .

(٢) كان التدوين الأول للقرآن فى عهد أبى بكر الصديق وذلك عندما توجه إليه عمر بن الخطاب وقد هاله مقتل زهاء سبعين من القراء والحافظين لكتاب الله فى يوم اليمامة ، وخشية ضياع القرآن ، فإنه أمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع والعسب وصدور الرجال وقد ختم ابو بكر إلى زيد سالما مولى أبى حذيفة ليعاونه فى جمع القرآن على أن يقوم زيد بتدوينه .

أما التدوين الثانى فكان فى عهد عثمان بن عفان أثناء الغزو لارمينية وذلك من أجل جمع القرآن فى نص موحد ، فقد ذهل حذيفة بن اليمان أحد القادة العرب بسبب الاختلاف فى قراءة القرآن بين جنوده من أهل العراق والشام ، فقدم إلى عثمان وقال له : أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى وقد اعتمد عثمان فى هذا التدوين على جماعة من الصحابة هم زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، =

كما كان من الطبيعى أن يتفاوت الصحابة رضوان الله عليهم مقدرة فى فهم القرآن ومعرفة معانيه ، وذلك لتفاوتهم فى معرفة أسرار اللغة والأدب الجاهلى وفى معرفة تاريخ الأمم السابقة[1] ، التى ورد ذكرها فى آيات كثيرة وسور عديدة من القرآن الكريم .

وقد تفرق هؤلاء الصحابة فى البلاد والأمصار المفتوحة[2] ، ولم

= وقال لهم : إذا اختلفتم بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، وقد اتخذ هؤلاء القرآن المسجل الذى طلبه عثمان من حفصة بنت عمر أساساً لعملهم لثقة الناس فى أبى بكر ، وأن اعتمدوا أساساً على ذاكرة القراء وجعلوا النص قرينة على صحة الحفظ ، فلما أتموا جمعه نسخوا منه عدة نسخ أرسلها الخليفة إلى مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن وذلك عام ٣٠ هـ ، وامر باحراق ما سواه والاعتماد عليه دون غيره . ومن ذلك يتضح أن التدوين الأول كان من أجل جمع القرآن وحفظه من الضياع ، كما كان التدوين الثانى من أجل غرض واحد هو جمع المسلمين على وجه واحد من قراءة القرآن خفية مايقع بعضهم من اختلاف فى القراءة أو الزيادة والنقصان حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٥١٠ – ٥١٣ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية جـ ١ ، ص ٤٤٩ ، عبد الله خورشيد : البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٤٨ – ٤٩ .

(١) عطيه القوصى : الحضارة الاسلامية ، ص ١٥١ .

(٢) كان القرآن الكريم أهم ما حمله الصحابة والجند العرب الذين فتحوا مصر سنة ٢١ هـ ، فكان هؤلاء منهم من حمله فى صدره كاملا محفوظاً ، ومنهم من يحمله فى متاعه كتابا مسجلا ، ولم يكن بطبيعة الحال لجميع الجند أو الصحابة الذين جاءوا إلى مصر فاتحين ، إنما كانت نسبة قليلة منهم تملك سور الكتاب المقدس ، مسجلة بالطريقة المألوفة فى شبه الجزيرة العربية إذ ذاك سواء على الرقاع أو اللخاف والاكتاف ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ١٢٧ ، البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ١٣ . مصر » ص ٥٣ – ٥٦ .

يمضى وقت حتى أصبحت هذه القراءات علما مدونا ، يعالج كيفية قراءة الفاظ القرآن وفقا للهجات العرب المسلمين ، وما صاحب ذلك من مغرفة رسم أوضاع الحروف ، حتى أصبحت المعرفة بها فرضا من فروض القراءة الصحيحة .

وقد أخذ أهل مصر القراءة عن أكثر من صحابى جليل من هؤلاء الذين وفدوا إلى مصر[١] ، فقرأوا القرآن بأكثر من قراءة ، واعتمدوا على أكثر من مصحف ، مثل سائر الامصار فى تلك المرحلة الاولى من مراحل قراءة القرآن .

وكان أول من أقرأ القرآن بمصر ممن شهد فتح مصر هو عبيد بن محمد المعافرى أى من قبيلة المعافر اليمنية[٢] .

وقد وقع خلاف بين العلماء حول توزيع المصحف أو ماأطلق عليه مصحف عثمان ، وعدم ذكر مصر من بين الامصار التى أرسل إليها عثمان هذاالمصحف[٣] ومما لا شك فيه أن ما ثار من جدل حول موقف أهل مصر من مصحف

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ ، السيوطى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٨ .

(٣) ناقش هذا الموضوع وأوضح آراء المؤرخين والمهتمين بدراسة علوم القرآن ، عبد الله خورشيد البرى وعقب على ذلك بقوله : إن نقطة الضعف فى جميع هذه الأقوال التى جعلت لمصر نصيب فى نسخ المصحف العثمانى أنها يعوزها الدليل النقلى طبعا على صحة ماتذهب إليه « القرآن الكريم وعلومه فى مصر » ، ص ٥٣ - ٥٦ .

عثمان الرسمى[1] ، وما أتبع ذلك من موقف مسلمة بن مخلد الانصارى أمير البلاد (٤٧ - ٦٢ هـ) ودوره فى مقاومة الثائرين على عثمان ، وكان يتعبد ويجيد حفظ القرآن[2] فقد اهتم اهتماما خاصا بموضوع تلاوة القرآن ومصحف عثمان نظرا لاهتمام أهل مصر من اليمنيين أمثال سعد بن مالك المكنى بأبى الكنود الأزدى زعيم العثمانية بمصر ممن قد شهد فتح مصر[3] .

ومن هؤلاء الرجال الذين كانوا يبذلون الجهد العلمى فى مجال القراءة والحفظ لكتاب الله عز وجل عبد الله بن عمر بن العاص ، وسليم بن عتر التجيبى (ت ٧٥ هـ)[4] .

---

(١) ومن ذلك ماذكر أن مسلمة بن مخلد قال يوما للحاضرين فى مجلسه : أخبرونى بايتين فى القرآن لم يكتبا فى المصحف فلم يخبروه بالرغم من وجود سعد بن مالك الازدى وعند ذلك اخبرهم مسلمة بهاتين الايتين ، والمهم أن مسلمة والى مصر يطلق اسم المصحف عموما ويعنى بذلك مصحف عثمان . البرى : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٢) يشير الكندى إلى حفظ مسلمة القرآن الكريم ، فهو يقول عنه : كان مسلمة بن مخلد يصلى بنا فيقوم فى الظهر فربما قرأ الرجل البقرة « الولاه ، ص ٤٠ ، وفى رواية أخرى أن ابراهيم ابن ميسرة قال : سمعت مجاهدا يقول صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرأ سورة البقرة فماترك ألفا ولا واوا » الولاه ، ص ٣٩ .

(٣) كان ابو الكنود الازدى ممن وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عن ابنه الاشيم ، وبقى احفاده من بعده حتى القرن الثالث الهجرى . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ .

(٤) كان سليم بن عتر وهو من قبيلة تجيب اليمنية يختم القرآن كل ليلة ثلاث مرات ، كما نسبت له الروايات التى تدل على زهده وتهجده بالأسحار . القضاه ، ص ٣٠٧ .

وليس من شك فى أن حركة نسخ المصاحف قد نشطت فى مصر وغيرها من بلاد الشام والعراق ، لاسيما وأن مصر كانت بها صناعة البردى رائجة[1] . ومن المرجح أن يكون معاوية بن حديج التجيبى (ت ٥٢ هـ) وكانت صلته بالعاصمة الأموية قوية ودائمة[2] ، قد احضر من نسخة من المصحف العثمانى إلى مصر ، وأن تكون عملية النسخ قد تمت من هذا المصحف .

ومن هؤلاء القراء من أهل اليمن الذين اهتموا بالقراءة وتعليم ذلك للناس بمصر ، ابا تميم الجيشانى عبد الله بن مالك الرعينى ، يذكر السيوطى أنه قرأ القرآن على معاذ بن جبل الصحابى الجليل فى اليمن كما روى عن عمر وعلى رضى الله عنهما ثم أصبح من أئمة القراء فى مصر ومن عباد أهلها وعلمائهم[3] .

وفى عهد عبد العزيز بن مروان قام الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق بارسال عدة مصاحف إلى مصر[4] كما بعث إلى غيرها من الأمصار[5] وعندما علم أمير مصر غضب من ذلك ، فأمر بنسخ مصحف

(١) اشتهرت مصر بصناعة البردى قبل الاسلام وفى عصر الولاة وكانت تصدر منه إلى سائر أنحاء الدنيا وكما يقول ابن الكندى وليس هى فى الدنيا إلا بمصر ، فضائل مصر ، تحقيق ابراهيم أحمد العدوى وعلى محمد عمر ، ص ٦٩ .

(٢) كان أحد قواد بنى أمية فى غزو بلاد افريقية والمغرب سنة ٣٤ هـ . فتوح مصر ، ص ٢٦٠ .

(٣) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ ، توفى سنة ٧٧ هـ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٣ .

(٥) وقد لعب الحجاج دورا هاما ليس فى تثبيت النص القرآنى فحسب ، ولكن كذلك فى الانتقال بالكتابة العربية من مرحلة الكتابة الناقصة =

وبلغ من اهتمامه بصحة كتابة المصحف آنذاك أنه أمر القراء بتداوله وقراءته بعد أن فرغ من نسخه حتى يطمئن إلى عدم وقوع اية اخطاء أو تصحيف به وقيل أن أحد هؤلاء القراء ويدعى زرعة بن سهل الثقفى لما قرأ هذا المصحف فوجد به حرفاً خطأً ، فأمر الوالى عبد العزيز بالمصحف فأصلح ما كان به وأبدلت الورقة[1] .

ولما فرغ من نسخ المصحف على الوجه الصحيح ، كان يحمل إلى جامع عمرو غداة كل جمعة من دار الامارة ، فيقرأ فيه ، ثم يرد إلى موضعه بعد ذلك[2] . وكان أول من قرأ فيه عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى اليمنى ، وكان يتولى القصص والقضاء يومئذ[3] .

= الخالية من النقط والشكل ، إلى مرحلة الكتابة الكاملة التى تستخدم النقط والشكل . البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٦٣ .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٣ .

(٢) ومما يذكر أنه لما توفى عبد العزيز فى سنة ٨٦ هـ ، عرض مصحفه للبيع فى ميراثه ، فاشتراه ابنه ابو بكر بألف دينار ، وكأنما استكلف أن يقع مصحف أبيع فى حوزه غيره ، ثم توفى ابو بكر فاشترته اسماء أبنة ابى بكر بن عبد العزيز بسبعمائه دينار ، فأمكنت الناس منه ، وشهرته فنسب إليها وقيل مصحف اسماء ، فلما توفيت اشتراه أخوها الحكم بن أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان من ميراثها بخمسمائة دينار ، وكانت أسماء قد سمحت للعلماء والقراء بالقراءة فيه والرجوع إليه والنسخ منه . وقد سار أخوها فى هذا المنوال فقيل اقترحه عليه صاحب القصص من بقاء المصحف فى المسجد بصفة دائمة فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٣ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

واشتهر من القراء اليمنيين فى أوائل القرن الثانى الهجرى توبة بن نمر الحضرمى ، فكان يقرأ القرآن بالمسجد الجامع ويقص على الناس يومئذ وذلك بعد عقبة بن مسلم الهمدانى[1] وذلك فى سنة ١١٨ هـ ، وان كان السيوطى يذكر عقبة بن مسلم التجيبى[2] ، وسواء أكان من قبيلة همدان أو من تجيب ، فالقبيلتين كلاهما من قبائل اليمن ، وذلك مما يدل على كثرة القراء اليمنيين فى عهد بنى أمية بالفسطاط والاسكندرية .

كان توبة بن نمر أول من قرأ فى مصحف أسماء بعد أن أقر فى الجامع ، وكان الحكم بن أبى بكر ، قد أمر بانزال المصحف من دار الامارة فجعله فى المسجد الجامع ، وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير فى كل شهر[3] .

وعندما تولى القصص ابو اسماعيل خير بن نعيم الحضرمى فى سنة ١٢٠ هـ بعد توبة ، كان يقرأ فى المصحف قائما ، ثم يقص وهو جالس فهو أول من قرأ القرآن فى المصحف قائما ، وقد استمر الائمة والقراء يقرأون فى المسجد الجامع فى هذا المصحف فى كل يوم جمعة حتى نهاية الدولة الأموية ، كما ظل القراء اليمنيون وأصحاب القصص فى العصر العباسى ، ولم يتغير ذلك اليوم ، إلى أن ولى القصص أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانى فى سنة ١٨٢ هـ فقرأ فيه يوم الاثنين من كل اسبوع[4] .

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ .

(٢) ذكر السيوطى أن عقبة كان امام الجامع وقد روى عن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ومات قريباً من سنة ١٢٠ هـ . حسن المحاضرة جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٦٣ ، المقريزى : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

وكان للقراء تأثير ونفوذ كبير فى ذلك الوقت ، فقد ذكر الكندى[1] أنه حين خرج وهيب أحد الشراة اليمنيين على الوليد بن رفاعة وهم ليفتك به فأخذ وقتل كما أشرنا من قبل ثار القراء وخرجوا على الوليد غضبا لمقتل وهيب فقاتلوا الوالى بجزيرة الفسطاط ، وكان على رأسهم شريح بن صفوان التجيبى الفقيه ، ولاشك أن ذلك يدل على كثرتهم ومدى نفوذهم حينذاك بالفسطاط .

والواقع أن القراءات كعلم من علوم القرآن لم توضع فيه المصنفات إلا فى أواخر القرن الثانى الهجرى وخاصة بعد شيوع قراءة ورش المعروفة[2] ، وهى إحدى القراءات السبعة وحيث أصبحت للقراء دار خاصة تجمعهم بالفسطاط وكانت هذه الدار توجد فى مسجد عبد الله[3] ، وهو المسجد الذى أنشأه والى مصر الأموى عبد الله بن عبد الملك (٨٦ – ٩٠ هـ) ، ولما جاء العباسيون كان من الدور التى تهدمت سنة ١٣٢ هـ ، وثم عمل على اصلاحه وتجديده قاضى مصر عبد الرحمن العمرى سنة ١٨٨ هـ[4] .

---

(١) الولاه ، ص ٧٨ .

(٢) وهو عثمان بن سعيد المصرى المعروف بورش لشدة بياضه مولى آل الزبير بن العوام وكان من أصل قبطى ، ونبغ فى قراءة القرآن واشتهر باحدى القراءات المنسوبة إليه ، وانتهت إليه رياسة الاقراء بالديار المصرية . وكان ماهرا فى العربية ، مات بمصر سنة ١٩٧ هـ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ .

(٤) الكندى : القضاه ، ص ٤٠٦ .

ثالثاً – الفقه[1] والفقهاء اليمنيون :

الفقه كما عرفه ابن خلدون هو معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والاباحة وهى متلقاه من الكتاب والسنة .

وليس من شك فى أن بعض الصحابة والتابعين الذين تفرقوا فى الامصار كانوا هم الفقهاء أو الائمة الذين التف الناس حولهم يسمعون منهم ، ومن المعروف أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان أهل مصر يتبعون فتاويه ، وذلك باتباع أهل المدينة فى الاكثر لفتاوى عبد الله بن عمر ، واتباع أهل الكوفة فتاوى عبد الله بن مسعود وكاتباع أهل مكة فتاوى عبد الله ابن عباس[2] .

وقد واجه أمراء البلاد فى مصر وغيرهم من الحكام المسلمين مسائل كثيرة كانت تتطلب إلى تشريع لم يكونوا يحتاجون إليه وهم فى بلاد اليمن أو جزيرة العرب ، فنظام الرى فى مصر يخالف مثلا رى الجزيرة ، ومتطلبات الجند فى أعقاب الفتح ومعاملة المغلوبين وعلاقة الفاتحين بهم ، ومايؤخذ من الضرائب ممن اعتنق الاسلام ، وممن بقى على الملة من الأقباط وغيرهم من أهل الذمة ، كانت جميعها من بين المسائل التى كانت فى مسيس الحاجة إلى الاجتهاد واستعمال الرأى حيث لا توجد نصوص شرعية

(١) الفقه فى اللغة العلم بالشيء والفهم له والفطنة ، وفى الاصطلاح أنه العلم بالاحكام الشرعية العملية ، والمسمى بعلم الحلال والحرام والشرائع والاحكام . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ ، ابو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢١٦ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

من الكتاب والسنة يمكن الأخذ بها[1] .

وكان من أوائل الائمة المجتهدين من أهل اليمن كما ذكر ابن يونس المؤرخ المصرى عبيد بن مخمر المعافرى وكنيته ابا أمية وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وممن شهد فتح مصر[2] .

ومن الفقهاء اليمنيين أبو الخير بن مرثد بن عبد الله اليزلى الحميرى ، روى عن ثابت وابن عمر ، وعقبة بن عامر الجهنى ، وقد أخذ عنه يزيد بن أبى حبيب وجعفر بن ربيعة وآخرين . وكان مفتى أهل مصر فى وقته ، وكان الأمير عبد العزيز بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا[3] .

وكان معظم الائمة من المشرعين والفقهاء لا يرتاحون إلى حكام بنى أمية نظرا لما كانوا يرونه من استيلاؤهم على السلطة مستغلين فى ذلك العصبية القريشية حيث نشأت الخصومة بينهم ، ولم يحاول الأمويين تبعا لذلك تقريب الفقهاء أو الاعتماد عليهم لتأييد حكمهم كما فعل العباسيون بعد ذلك[4] .

ومما تجدر الاشارة إليه أن فريقا من هؤلاء الفقهاء والائمة اليمنيين رفض الاشتراك فى السلطة أو تولى منصب القضاء ، وأصبح فى مصر فريق من القضاة الذين قبلوا المشاركة فى الحكم كما أشرنا إليهم من قبل ، وفريق آخر من الائمة الذين عاشوا بعيدين عن الدول وأصحاب السلطة فيها ،

(١) احمد امين : فجر الاسلام ، ص ٢٣٥ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٣) توفى سنة ٩٠ هـ ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

(٤) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٣ .

فكانوا يجتهدون أنفسهم من أجل استنباط الاحكام والعمل على تطبيقها[1] .

وقد اشتغل هؤلاء الأئمة بالعمل على اقامة تشريع منظم فى مصر ومحاولة تعليم ذلك وتفهيمه للناس بالمسجد الجامع بالفسطاط ، وفى غيره من المساجد التى كانت تعقد بها حلقات الدرس والعلم فى صدر الاسلام .

ومن هؤلاء الفقهاء اليمنيين بكر بن سواده الجذامى من قبيلة جذام اليمنية ، فقد كان مفتى مصر ومن ثقاتها ، روى عن ابى عمر وسهل ابن سعد ، كما روى عنه عمر بن الحارث والليث بن سعد بمصر[2] .

ولاشك أن أمثال الائمة المجتهدين المستقلين كانوا فى عصر بنى أمية فئة قليلة . كما يذكر السيوطى منهم أيضا على بن رباح اللخمى المصرى فهو من قبيلة لخم اليمنية . وكان من الفقهاء العاملين ، روى عن عدد من الصحابة رضى الله عنهم ، وقد توفى سنة ١١٤ هـ بمصر وقيل سنة ١١٧ هـ[3] .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز كانت الفتوى فى مصر كما أوضح عون ابن سلمان الحضرمى أحد الرواة اليمنيين لثلاثة من الأئمة[4] حيث جعلهم الخليفة عمر على الفتيا بمصر رجلين من الموالى ، وأما الثالث فهو جعفر بن ربيعة الكندى من عرب اليمن[5] . وكان المولیان هما يزيد بن أبى حبيب ،

---

(١) السيد احمد خليل : الليث بن سعد

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٣) نفس المصدر : ص ٢٩٧ .

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٥) كان جعفر من قبيلة كندة اليمنية وكان شيخا من أصحاب الحديث ثقة . مات سنة ١٣٦ هـ . السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

وعبد الله بن جعفر[1] .

وقد نشأ يزيد بن أبى حبيب[2] (٥٣ - ١٢٨ هـ) فى الفسطاط فى وسط حركة علمية نشطة ، يقودها عدد من هؤلاء الصحابة الذين نزلوا مصر وكثير من التابعين الذين يكبرونه سناً ، فلقى عبد الله بن الحارث الزبيدى (ت ٨٧ هـ) وروى عنه وهو آخر صحابى مات بمصر[3] كما أشرنا من قبل ، كما روى عن التابعين ، واستمع إلى القاضى عبد الرحمن بن حجيرة (٧٧ - ٨٣ هـ) ، وكان اعجاب يزيد به ولم يكن قد بلغ من العمر بضعة عشر عاماً ، وكان ابن حجيرة من افقه الناس فى ذلك الوقت[4] .

رحل يزيد إلى الحجاز ، ولقى من التابعين عطاء بن أبى رباح

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

(٢) كان أبوه من النوبة ومن الجنود الاسرى الذين رجع بهم عبد الله ابن سعد بن أبى سرج سنة ٣١ هـ بعد أن أبرم معاهدة البقط مع ملك دنقلة آنذاك ، وقد أعتق بالفسطاط وسماه مولاه سويد وكناه بأبى حبيب ، وزوجه من مولاه تنتمى لقبيلة تجيب من كندة اليمنية ، حيث كانت لهم خطة بالفسطاط تعرف باسمهم ، وأنجب سويد طفلاً سماه يزيد ، فوهبه مولاه لاسرة من الازد كانت تعيش فى الفسطاط ايضا ، فعاش يزيد فى رعايتها منذ طفولته وفى صباه حتى اعتقه الازدى وهو شريك بن العقيل ، وقد أشار ابن دقماق عند حديثه عن زقاق الموالى بالفسطاط إلى ابنة شريك حيث كان يزيد احد مواليها ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ١٧ ، عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٥٦ .

(٣) السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

(٤) الكندى : القضاه ، ص ٣١٤ .

(ت ١١٥ هـ) بمكة ، وعراك بن مالك الغفارى فى المدينة ، وروى عنهما ، ثم عاد من رحلته العملية إلى مصر حوالى سنة ٩٨ هـ[١] والواقع أن نشاط يزيد العلمى قد بدأ فى خلافة عمر بن عبد العزيز فى سنة ٩٩ هـ ، وقد ذاع صيته وعمت شهرته بمصر منذ ذلك الحين وتجاوزت حدودها إلى غيرها من الامصار الاسلامية[٢] .

كان يزيد من أبرز الشخصيات العلمية فى أوائل القرن الثانى الهجرى وكان رجلا واسع الثقافة فى الناحيتين التاريخية والفقهية ، فقد روى عنه الكثير من أخبار الفتح العربى لمصر[٣] .

وهو أول من عنى بالتشريع فى مصر ، بعد أن كانت العناية قاصرة على الاجتهاد والفتوى وعلى القصص والتاريخ ويذكر السيوطى : أنه أول ، من أظهر العلم بمصر والمسائل فى الحلال والحرام ، وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الترغيب والملاحم والفتن[٤] .

ولاشك أن يزيد بن أبى حبيب الازدى كانت له حلقة للدرس والعلم بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، فهو من أعلام المدرسة المصرية الأولى ، وعنه تلقى العلم عالمان جليلان وهما عبد الله بن لهيعة والليث بن سعد[٥] من كبار الائمة والفقهاء والمشرعين الاوائل بمصر الاسلامية .

ومن هؤلاء اليمنيين المصريين الذين عاشوا بالفسطاط ، وكان

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ، ص ٢٩٩ .

(٢) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٤٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٧ .

(٤) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

لهم نشاط ملموس فى مجال الفقه والفتوى ، ذكر السيوطى أيضا حيوه بن شريح بن صفوان التجيبى ، وكان أحد الفقهاء والزهاد والعلماء ، وقد عرض عليه قضاء مصر فأبى وكانت وفاته فى أعقاب زوال الدولة الأموية[1] .

ومن أشهر الفقهاء اليمنيين عبد الله بن لهيعة الحضرمى المصرى وكان من الائمة المشهورين بمصر ، وقد عاصر الامويين فى أواخر أيامهم ، وكان له نشاط واضح فى جمع العلم وتحصيله من شيوخ الفسطاط ، فهو كما يقول الذهبى عنه[2] من الكتابين للحديث ، والجماعين للعلم والرجالين فيه . وكان ابن لهيعة يكنى : ابا خريطة ، وذلك أنه كانت له خريطة معلقة فى عنقه ، حيث كان يدور بمر ، فكما قدم قوم يدور عليهم ، فكان إذا رأى شيخا سأله : من لقيت ؟ وعمن كتبت ؟ وقد نقل عنه الكندى كثيرا من أخبار الفتح العربى لمصر وكانت وفاته بمصر سنة ١٧٤ هـ[3] .

كما ذكر السيوطى يحيى بن أيوب الغافقى المصرى ، أخذ العلم عن بكير ابن الاشج ويزيد بن أبى حبيب وكان كثير العلم ، فقيه النفس ، ومن هؤلاء الأئمة الذين نزلوا الاسكندرية وعاشوا أواخر ايامهم من أهل اليمن أشارت المصادر إلى عبد الرحمن بن شريح المعافرى ، وقد اشتهر بالعلم والتقوى والعبادة[4] .

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ .

(٢) كتاب دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١١٤ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٨٨ .

(٤) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ .

ومما هو جدير بالذكر أننا لا نذكر فى هذا الصدد إلا أصحاب الفتوى وهؤلاء الفقهاء الذين لم تسند لهم وظيفة القضاء فى عهد الامويين ، ولاشك أن كثير من القضاء ممن كانوا على جانب كبير من العلم والتقوى ، وكان لهم نشاط ملحوظ فى الحياة العلمية . من أمثال خير بن نعيم بن مرة الحضرمى ، قال يزيد بن أبى حبيب عنه : ماأدركت من قضاة مصر أفقه منه ، وقد ذكر الكندى كثير من المسائل الفقهية التى قضى فيها وكانت وفاته سنة ١٣٧ هـ .[١] .

ومما تجدر الاشارة إليه أن فقهاء أهل اليمن كانوا هم أول من أدخل مذهب مالك والمذاهب الأخرى إلى مصر ، ولكن بعد سقوط حكم الأمويين . فمن هؤلاء عثمان بن الحكم الجذامى ، وقد كان من الفقهاء المشاهير من أصحاب مالك ، فهو أول من أدخل علم مالك بمصر ، ولم يأت مصر أنبل منه ، وكانت وفاته سنة ١٦٣ هـ[٢] .

كما يذكر السيوطى[٣] أيضا طليب بن كامل اللخمى ، والموصل بن فضالة بن عبيد الرعينى وغيرهم من الفقهاء من كبار أصحاب مالك وجلسائه ، فقد اخذ عن طليب الفقيه كل من ابو القاسم وابن وهب ، وبه تفقه ابن القاسم قبل رحلته إلى مالك بن أنس بالمدينة ، وقد مات فى حياة مالك بالاسكندرية سنة ١٧٣ هـ .

(١) الكندى : القضاه ، ص ٣٤٨ ، السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(٢) السيوطى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ .
(٣) نفس المصدر والصفحة .

رابعاً – مشاركة الشعراء اليمنيين فى الجانب الأدبى :

كان أكثر الفاتحين من جند العرب من اليمنيين ، وقد أخذت أفواج من الهجرة تسير نحو الديار المصرية وتنزل بالفسطاط حيث اختلطت بها على نحو ما أشرنا من قبل ، ومن المعروف منذ العصر الجاهلى أنه كان لكل قبيلة شاعرها وربما نبغ فيها أكثر من شاعر ، وكانت القبائل العربية سواء فى أقصى جنوب الجزيرة أو فى شمالها تفاخر بشعرائها وتعلق قصائدهم فى جوف الكعبة(١) فيما عرف بالمعلقات(٢) ونحو ذلك من الاعتداد والتفاخر بالعصبية القبلية المعروفة .

ومن الملاحظ أن العناصر اليمنية بمصر لم تهتم بالشعر اهتمام العناصر المصرية من عرب الحجاز أو عرب الشمال ، ولذلك جاءت القصائد لشعراء اليمن أقل جودة ، وهى تمثل الجانب الملحوظ فى الادب والفكر العربى فى أعقاب الفتح الاسلامى(٣) . والواقع أن اشتغال العرب بالفتوح وتنظيم دولتهم التى اتسعت أرجاؤها ، لم يدع الفاتحين فى صدر الاسلام ليهتموا بالأدب أو قرض الشعر . كما كان عليه الامر فى الجاهلية ، وقد

---

(١) كان إذا نبغ شاعر فى القبيلة احتفل أفرادها به وتناقلوا أخباره وتباهوا به على القبائل الاخرى ، وربما كانت تكتب قصائده بماء الذهب . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥٢٥ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ط ١ ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(٢) كما فعل امرؤ القيس بن حجر النابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمى وعنتره بن شداد وطرفة بن العبد ، وعلقمة بن عبده والاعشى من أصحاب المعلقات السبع وغيرهم ، نفس المصدر والصفحة .

(٣) شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، العصر الاسلامى ، ص ١٦٧ .

حاول بعض المستشرقين تفسير ذلك على أساس أن الدين قد جعل الشعر أقل أهمية حتى لا يطغى على القرآن ، وهذا الزعم لاأساس له لأن القرآن ليس من الشعر فى شيء مهما حاول الخطباء والشعراء والمجادلين من المشركين الاتيان بكلام يشبه فى بلاغته وخصائصه الفنية ، فالقرآن هو المعجزة الخالدة ، وقد تحدى الرسول عليه الصلاة والسلام العرب جميعا برغم فصاحتهم أن يأتوا بقرآن مثله فعجزوا[1] .

ولم يكن هناك ثمة تعارض بين القرآن ومايقرضه هؤلاء الشعراء ولو أنه غض من شأنهم لأنه كان بعضهم يحاول النيل من الدعوة وهداية الناس إلى الاسلام قال تعالى[2] : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون » .

وليس أدل على احترام الاسلام للشعر من قول النبى صلى الله عليه وسلم[3] « إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة » وذلك حين قام الشعراء بنصرة المبادىء والانتصار للحق والدفاع عن الاسلام ، من أمثال الشاعر المخضرم حسان بن ثابت الذى قربه الرسول إليه .

ولعل هناك تفسير آخر يعزى إليه عدم اهتمام اليمنيين بالشعر والأدب كاهتمام عرب الحجاز أو بادية الشام ابان الفتح العربى ، وهو

---

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ط ١ ، ص ٥١٨ ، ٥١٩ ، شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى ، ص ٤٤ – ٤٥ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتان : ٢٢٤ ، ٢٢٦ .

(٣) حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٥١٨ .

ما كان عليه طابع سكان اليمن من الاستقرار وحياة الحضر[1] ، التى تختلف بطبيعة الحال عن حياة البادية والصحراء ، حيث صناعة الشعر والحماسة والتشبيب والفخر والهجاء والمديح والمنافرة على الخصوص والتى تعبر عن طبيعة البدو وحياة الصحراء الشاقة وما تدفعه إلى الفرد والغارة على الوديان والاعتداء على القوافل ونهبها وسلبها[2] .

ومهما يكن من أمر فإن هناك أشعارا كانت تنظم من حين إلى آخر فى الأحداث السياسية التى وقعت بين العلوية والعثمانية وبين الأمويين والخوارج من أنصار الزبيريين بمصر - كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

ولاشك أن هذه الأشياء المنسوبة إلى هؤلاء الشعراء اليمنيين لم تكن لترقى إلى المنظوم من شعراء المراكز الأخرى فى الحجاز ونجد والعراق والمشرق الاسلامى[3] .

ومن أوائل الشعراء اليمنيين الذين شهدوا فتح مصر بحر بن صبغ

(١) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ، ص ٦٧ .

(٢) وقد عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله : « أن العرب جعلوا ارزاقهم فى البادية فى أطراف رماحهم ، ومعاشهم فيها بأيدى غيرهم » المقدمة ، ص ٢٣٨ .

(٣) شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، ص ١٦٧ .

ابن يحمد الرعينى (وهو من قبيلة رعين الحمير) يقول فى قصيدته وهو يمدح جده لمبايعة الرسول عليه الصلاة والسلام[1] :

وجدى الذى عاطى الرسول يمنه   وجدت إليه من بعيد رواحله

وكان من الشعراء اليمنيين من له ميول عثمانية أو أموية فهو يمدح الوالى مسلمة بن مخلد الانصارى (٤٤ – ٦٢ هـ) ويثنى عليه عندما اهتم بتنظيم المساجد فى الفسطاط وآذانها ، حيث أمر المؤذنين أن يكون آذانهم فى الليل عند طلوع الفجر ، فكان مؤذنوا المسجد الجامع يؤذنون للفجر فإذا فرغوا من آذانهم إذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد[2] . وكان الشاعر اليمنى الذى امتدح ذلك العمل هو عابد بن هشام الازدى فمن قصيدة له[3] :

وكم لك من مناقب صالحات   وأجدل بالصوامع للآذان
كأن تجاوب الأصوات فيها   إذا مال الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوى   وأرعب كل مختطف الجنان

ومن هؤلاء الشعراء اليمنيين من كل يميل إلى عبد الله ابن الزبير وواليه على مصر ابن حجدم ، فعندما أجمع الوالى المصرى على حفر الخندق حول الفسطاط نرى الشاعر أبن أبى زمزمة الخشنى[4] ينظم الشعر لاعجابه

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ١٧٣ .

(٢) الكندى : الولاه ، ص ٣٩ .

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١١١ .

(٤) وخشين احدى بطون قضاعة ، قد شهدت فتح مصر وانضمت إلى لخم فى ديوان الجند ، وظلت كذلك حتى استخرجت منه سنة ١٠٢ هـ . الكندى : الولاه ، ص ٧١ .

بالسرعة التى تم بها حفر هذا الخندق لمواجهة جيش عبد العزيز بن مروان الذى بلغ أيله على حدود مصر ، يقول فى قصيدة له[1] :

ماالجد إلا مثل جد ابن جحدم وما العزم إلا عزمه يوم خندق

ثلاثون الفا هم اثاروا ترابه وخدوه فى شهر حديث مصدق

وكان من الشعراء اللخميين فى الفسطاط زيادة بن قائد اللخمى وقد انشد القصائد حين قتل الأكدر بن حمام سيد لخم فى جمادى الآخرة سنة ٦٥ هـ[2] . وهكذا كان الشعراء ينظمون قصائدهم الشعرية من حين لآخر حين تجد الاحداث ويشتد الصراع بين اليمنية وبين الحكام الأمويين فى مصر .

كما كان بعض قواد الجند من هؤلاء الشعراء من أمثال زهير بن قيس البلوى ، حيث يذكر الكندى أن زهير حينما خرج للقاء عبد العزيز وصده عن مصر ، فانهزم ببصاق وهى سطح عقبة أيلة ، ويبدو أنه انضم إلى جيشه بعد هزيمته ، فهو يقول مادحا له :

منعت بصاقا والبطاح فلم ترم
بطاحك لما أن حميت ذماركا
قسرت الآلى ولواعن الأمر بعدها
أرادوا عليه فأعلمن اقتسارك

(١) الكندى : الولاه ، ص ٤٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤٢ .

وحين هدأت الأمور فى عهد عبد العزيز بن مروان بعد أن تم القضاء على أنصار الزبيريين من الخوارج فى مصر ، ترى الحركة الأدبية تزداد ازدهارا وذلك بفضل تشجيع أمير البلاد للشعراء من الشام والحجاز واليمن ، ونذكر من هؤلاء الشعراء ايمنيين أبا المصعب البلوى[1] وكان معاصرا لامير البلاد من سبقه من الولاة بمصر الذين حكموا البلاد .

وقد حفلت المصادر بالقصائد الشعرية كالتى وردت فى كتاب فتوح مصر والمغرب لابن الحكم المتوفى (٢٥٧ هـ) وكتاب الولاه والقضاه للكندى (ت ٣٥٠ هـ) وغيرهما من مصادر التاريخ الاسلامى مما يدل على نشاط الحركة الادبية فى عهد عبد العزيز بن مروان وذلك لشدة سخائه وسعة عطاياه ، حيث قصده الشعراء من كل صوب ، وكان كما يقال بحرا فياضا وغوثا مدرارا ، ومن هؤلاء الشعراء الذين وفدوا على ابن مروان يمدحونه وينالون من عطاياه ، جميل بن معمر العذرى صاحب بثينة وهو من قبيلة بنى عذره[2] وابن قيس الرقيات وذلك

(١) ذكر ابن عبد الحكم أن ابا المصعب البلوى هجا فى احدى قصائده اشراف مصر من العلويين الذين كانوا ضد بنى أمية فى مصر ، ويشير فيها إلى حجابة قيس بن كليب لعبد العزيز مروان ، ويتضح من أبيات الشعر أنه يهجو الحضرميين والقحزميين والتجيبيين وغيرهم من العناصر اليمنية وقتذاك . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٩ .

(٢) وقد أذن له الأمير فى الانشاد وأحسن جائزته وسأله عن حبه لبثينة فذكر له وجدا كثيرا ، فوعده فى أمرها ، وأمره بالمقام ، فما أقام إلا قليلا حتى مات سنة ٨٢ هـ وكان من أفصح الشعراء فى زمانه . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ .

بمناسبة خروج عبد العزيز إلى الاسكندرية ومعه وجوه الناس من الأشراف والشعراء فى سنة ٨٣ هـ[١] . كما وفد على مصر فى عهده كثير بن عزة بن عبد الرحمن الخزاعى[٢] ونصبب وايمن بن حزيم وعبد الله بن الحجاج الثعلبى وغيرهم من الشعراء ، وإن كانوا لا ينتمون إلى العنصر اليمنى[٣] .

وحين توفى عبد العزيز بن مروان وابنه عام ٨٦ هـ رثاهما الشعراء كابن أبى معيط ، وسليمان بن ايان بن أبى حدير الانصارى وغيرهما مما أوضحه الكندى فى هذه المناسبة[٤] .

ومن هؤلاء الشعراء اليمنيين الذين اسهموا بنصيب فى الجوانب السياسية والأدبية كريب بن مخلد الجيشانى وهو من قبيلة رعين اليمنية ، وكان انشاده للشعر عندما أمر الخليفة الاموى يزيد بن عبد الملك بهدم التماثيل وتكسير الاصنام التى كانت توضع فى الحمامات فى سائر الأنحاء كما هو الحال فى الفسطاط وغيرها .

وقد أورد كل من ابن عبد الحكم والكندى[٥] أبياتا من قصيدته التى قالها فى مناسبة كسر تمثال حمام زبان بن عبد العزيز بن مروان وكان مشهورا انذاك . فهو يقول فيها :

---

(١) الكندى : الولاه ، ص ٥٣ .

(٢) قيل أنه كان من أشهر شعراء الاسلام وقتئذ ، أقام بمصر مدة من الزمن يمدح عبد العزيز بن مروان ، وهو فى كنفه ، وزار قبر عزه صاحبته بها ، توفى ٧٠ هـ . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ .

(٣) شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، ص ١٦٧ .

(٤) الكندى : المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٥) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٩ ، الولاه ، ص ٧٢ .

من كان فى نفسه للبيض منزلة
فليأت أبيض فى حمام زيان
تميل لطيف هضيم الكشح معتدل
على ترائبه فى الصدر ثديان

ومن قبيلة المعافر اليمنية من كان يقرض الشعر ، وذلك مثل شاعر كاسر المدى ، نسبة إلى قيام شيخ هذه القبيلة بتكسير هذه المكاييل التى أرسلها الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك كما أشرنا من قبل ، يقول شاعرهم يفتخر بكسر المدى حين عرض عليهم[1] :

قومى الذين تبادروا مدى الخليفة بالحجر
وتخربوا وتعصبوا وجثوا عليه فانكسر
من بعدما ذلت له أعناق يعرب بل مضر

ولا شك أن الشعر وما كان ينشده الشعراء من قبائل اليمن فى مصر لم يكن ألا تعبيرا عن المناسبات أو للرد على هؤلاء القيسية وشعرائهم فابن عبد الحكم[2] يشير إلى أحد هذه المواقف عندما كان يفاخر جذل الطعان من قبيلة خولان اليمنية أحد شعرائهم فيرد عليه رجل من خولان فى قصيدة له :

من مبلغ عنى فراسا رسالة فنحن لخولان بن عمر وبن مالك
إلى سبأ الاملاك أصلى ومنبتى .يحدثنى جدى به غير هالك

كما اشتهر من قبيلة حمير أكثر من شاعر فى أواخر أيام الامويين ، أمثال

(١) الكندى : الولاه ، ص ٧٩ .

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

الغطريف الحميرى ، ومرسل بن حمير ، قال الغطريف الشاعر فى قصيدة له حين قاتلوا القيسية انصار الأمويين :[1]

ومن زامل لا قدس الله زاملا ‏ ‏ ‏ ‏ ومن أعد الماطل المراغل
ومن شيخ سوء خرق الله عظمه ‏ ‏ ‏ ‏ حفص وأتباع له غير طائل

ويبدو أن قبيلة خولان ظهر منها أكثر من شاعر حينذاك فحين احتدم الامر وقتل حفص بن الوليد الحضرمى ، وقف مسرور الخولانى الشاعر يرثيه فى قصيدة له[2] :

فاياك لا تجنى من الشر غلظة
فتؤذى كحفص أو رجائى الأشيم
فلا خير فى الدنيا ولا العيش بعدهم
فكيف وقد أضحوا بسفح المقطم

كما أنشد أحد شعراء اليمن وهو مرسل بن حمير يبكى حفصا لما قتله حوثرة بن سهيل فى سنة ١٢٨ هـ ، وكذلك قام برثائه أحد شعراء اليمن الآخرين لعله من قبيلة حمير حيث انشد قائلاً[3] :

يا عين لا تبقى من العبرات ‏ ‏ ‏ ‏ جودى على الأحياء والأموات
بكى الذى مضوا فهم صاد ‏ ‏ ‏ ‏ قوا صدقات بطلت تارات
يا حفص ياكهف العشيرة كلها ‏ ‏ ‏ ‏ يأخا النوال وساتر العورات

ومن الجدير بالذكر أن نظم القصائد والقائها فى ذلك الوقت لم يقتصر على قبائل اليمن أو القيسية من مضر بل ظهر من موالى

(١) الكندى : الولاه ، ص ٨٧ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٩١ .
(٣) نفس المصدر ، والصفحة .

تلك القبائل ومن نسائها أيضا ممن ينشد الاشعار ، نذكر من هؤلاء على سبيل المثال سعيد بن شريح مولى تجيب[١] والشاعرة سلمى أم الاسود النخعى[٢] .

وهكذا كان حال الشعر والشعراء لا يقال إلا فى المناسبات أو للرد على هجاء الشعراء من القيسية فى الحاضرة الفسطاط ، ولاشك أن هؤلاء الشعراء اليمنيين ومواليهم وأن شاركوا فى الحياة الأدبية بنصيب فإنهم لم يصلوا إلى تلك الدرجة التى بلغها خصومهم أو منافسيهم من قيس وغيرها من المضريين ، فقد كانت أشعارهم المنسوبة اليهم لا ترقى إلى خصائص الشعر فى المراكز الحضارية الأخرى كالحجاز والعراق فى ذلك العصر .

---

(١) كان الشاعر سعيد قد انضم إلى زيان بن عبد العزيز بن مروان وأنشد قصيدته وفيها يهجو والى مصر حفص بن الوليد ، الكندى : الولاه ، ص ٨٧ .

(٢) أنشدت قصيدتها فى رثاء مالك الأشتر الذى أرسله على بن أبى طالب إلى مصر حاكما عليها من قبله لكنه مات مسموما عند القلزم ، ومن المعروف أن النخع هم بطون من قبيلة مذحج اليمنية ، وعثر على شواهد قبور تدل على وجودهم بالفسطاط خلال القرن الثالث الهجرى . الكندى : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

Wiet: Rép, Chro, Tomel, PP. I08, I50, I83.

خامساً - القصاص ورواة الأخبار والمغازى من أهل اليمن :

أخذ وضع الحديث ينمو ويزداد منذ وقوع الفتنة الأولى فى الاسلام فى خلافة عثمان بن عفان ، كما اتفق أئمة الحديث على أن احاديث كثيرة وضعتها الفرق الدينية المختلفة بعد ذلك . وحين آل الحكم لبنى أمية واستولوا على الخلافة ، أخذوا يعملون على ترويج الاحاديث فى فضائل عثمان وفضائلهم[1] ، وقد وجدوا خير وسيلة للرد على هذه الفرق وما اختلقته من الاحاديث لنصرة مبادئها وتأييد مذاهبها فى مصر ، وإزاء هذا التحدى ، أن يتخذوا وظيفة القاضى فكان أول قاص رسمى بمصر وهو سليم بن عتر التجيبى من قبيلة تجيب اليمنية ، وقد سبقت الاشارة إلى اسنادى الخليفة معاوية له وظيفة القضاء ، كما يذكر الكندى أن معاوية حدث له هذه الوظيفة قبل توليه القضاء سنة ٤٠ هـ . يقول الكندى[2] : أن أول من قص بمصر سليم ابن عتر التجيبى سنة ٣٩ هـ .

أدرك معاوية أن القصص أداة قوية التأثير على نفوس العامة من أهل مصر ، وأنها ضرورة للتصدى لما يذكرون لهم من أحاديث ينتحلونها وما تروجه تلك الفرق كالعلوية والخوارج من أهل اليمن وغيرهم من المسلمين . فكان لابد أن يستغل هذه الاداة لصالح الدولة وتأييد حكمها من جهة ، والعمل على تضييق الخناق على أصحاب القصص العام من ناحية أخرى[3] . وكان عليه أن يمنع القصص العام

---

(١) سيلة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٠ .

(٢) الولاه ، ص ٣٠٣ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٢٠ .

إلا بإذن منه[١] ، وقد روى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عليا – رضى الله عنه – قنت فدعا على قوم من أحل حربه ، فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو له ولأهل الشام[٢] .

ويبدو أن أهل مصر لم تكن لتخفى عليهم هذه الوسيلة التى اتخذها معاوية التى لم يكن لها وجود إلا فى مصر إذ ذاك ، فقد نقل الكندى عن سعيد بن عبد الرحمن الغفارى ، أن سليما كان يقص على الناس وهو قائم ، فقال له أحد الصحابة ، وهو صله بن الحارث الغفارى[٣] : « والله ما تركنا عهد نبينا ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا » .

وفى رواية أخرى أوردها الكندى أن سليما كان قاص الجند فى

(١) ومما يروى أن معاوية عندما قدم مكة حاجاً بلغه أن قاصا يقص على أهل مكة فارسل إليه قال : « أأمرت بهذا القصص قال لا قال : فما حملك على أن تقص بغير إذن ؟ قال : ننشر علما علمناه الله عز وجل ، قال معاوية : لو كنت تقدمت إليك لقطعت منك طائفة ، ثم قام معاوية فقال : قال النبى صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب تفرقوا فى دينهم على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة . عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٩٦ – ٩٧ .

(٢) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٦٠ .

(٣) القضاة ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

ولاية عمرو بن العاص ، والواقع أن القصص الرسمى حكايات وروايات يرددها القاص كما كان يفعل القصاص من قبل ، وإنما كان القاص منذ بداية الحكم الاموى كما يذكر المقريزى[1] إذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولاهل ولايته ولحشمه وجنوده ، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة .

ومن هؤلاء القصاص بصفة رسمية عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى فقد تولى القصص والقضاء يومئذ وذلك فى سنة ٧٦ هـ فى خلافة عبد الملك بن مروان وواليه على مصر وأخيه عبد العزيز بن مروان ، وفى رواية المقريزى[2] مايوضح لنا أن عبد الملك الخليفة حينما شكا إلى العلماء ماانتشر عليه من أمور رعيته ، وتخوفه من كل وجه ، اشاروا عليه بما ينبغى على القصاص التصدى لهؤلاء الخارجين ، فكتب ذلك إلى القصاص ، فكانوا يرفعون أيديهم بالغداة والعشى بالدعاء والتأييد لحكم الأمويين .

وعندما ولى عبد العزيز بن مروان ابن حجيرة القصص ، وأرسل إلى أبيه يعلمه بذلك وكان بالشام قال عندئذ : الحمد لله ذكر ابنى وذكّر . فلما ولاه القضاء يقول الكندى[3] : وأخبر أبوه بذلك فقال : هلك ابنى وأهلك ، وهكذا كانت وظيفة القصص تفضل القضاء حينذاك عند أهل الشام .

---

(١) الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) القضاة ، ص ٣١٥ .

وقد اختلف فى أمر القصص ، لاسيما بعد أن ارتفع شأنه فى مصر وغيرها من الأمصار ، حتى اصبح عملا رسميا ، يعهد به إلى رجال الفقه والحديث ويتقاضون عليه الأجر الوفير ، وكان هؤلاء القصاص يعملون بما يشبه المحدثين والفقهاء الاخرين ، ولا ريب أن هذا القصص هو الذى أدخل على المسلمين كثيرا من الروايات والاساطير عن الامم الاخرى السابقة[1] ، كما كان بابا دخل منه على الحديث الشيء الكثير من الانتحال أو الاختلاق[2] ، وأفسد على التاريخ بما تسرب إليه من قصص وحوادث عديدة لا تمت إلى الحقيقة أو وقائع التاريخ بصلة .

(١) ومما يلفت النظر أن رواية القصص والجلوس لها بالمساجد ومراكز العلم آنذاك ، لم تكن ليرضى عنها هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم ، أو غيرهم من التابعين ، وإنما تعزى إلى كل من تميم الدارى ، ووهب ابن منبه ، وكعب الاصار ، فهؤلاء من أهل الكتاب فى اليمن ، فكان دخولهم فى الاسلام سببا مباشرا فيما رووا وما تعلموا لاسيما وأن اليمنيين كانوا أكثر حضارة من يهود الحجاز ، ولذلك كان لهم أكبر الاثر فى نشأة القصص وترويجها بين عامة المسلمين ، فيما عرف بالقصص العام ، الغزالى : احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٧٧ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٦٢ .

(٢) وقد افتى الامام مالك بن أنس بكراهة القصص بوجه عام . وحين سئل فعلى ما كان يجتمع من مضى قال على الفقه ، وكان من الاسباب التى فسر بها علماء اهل السنة المتأخرون كراهة القصص ، وأنها مفسدة لعقول العامة ومدعاة إلى التأثير على سلامة العقيدة وشغلهم عن الكتاب والسنة ، وقد انحى باللوم الغزالى على القصاص والوعاظ هؤلاء ، وعد عملهم من منكرات المساجد ، لما كانوا يقترفون من كذب ، وأن استثنى الحسن البصرى وأمثاله .=

ومهما يكن من أمر فإن وظيفة القاص ظلت بمصر تمارس فى ظل الحكم الاموى ، ومما يلفت النظر أن معظم هؤلاء القصاص كانوا من قبائل اليمن التى كان أغلبها من الجند الثائرين على هذا الحكم ، سواء أكانوا من العلوية أو من الخوارج ، فقد ذكر المقريزى أن توبة بن الحضرمى كان متولى القصص بالمسجد الجامع بعد عقبة بن مسلم الهمدانى وذلك فى سنة ١١٨ هـ[١] .

كما تولى القصص بعد توبة أبو اسماعيل خير بن نعيم الحضرمى ، وذلك فى سنة ١٢٠ هـ . وقد جمع له القضاء والقصص[٢] ، وقد ذكر المقريزى[٣] أنه كان يقرأ القرآن واقفا ، ثم يقص وهو جالس ، وقد استمر الحال على ذلك بشأن القصص فى المسجد الجامع حتى ولى القصص أبو رجب العلاء ابن عاصم الخولانى فى سنة ١٨٢ هـ ، أى بعد زوال حكم الامويين وتولى العباسيين بعدهم بنصف قرن من الزمان . وهكذا كان معظم القصاص من قبائل اليمن خاصة من تجيب وهمدان وحضرموت وجولان حتى ايام العباسيين .

= احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ١٤١ – ١٤٢ ، احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٦١ ، عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية ، ص ٩٧ .

(١) وقد ورد ذكر عقبة بن مسلم فى ترجمة السيوطى له ونسبه إلى قبيلة تجيب اليمنية بدلا من همدان ، وكانت وفاته قريبة من سنة ١٢٠ هـ . حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) الكندى : القضاه ، ص ٣٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

أمـا رواة الاخبـار والملاحـم فقـد كـان جلهـم مـن اليمنييـن ، ولا غـرو فـى ذلـك إذا علمنـا إن تميـم الـدارى[1] ووهبـة بـن منيـة[2] ،

(١) كان تميم نصرانيا من نصارى اليمن ، أسلم فى سنة ٩ هـ ، وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال ، وتكادالروايات تتفق على أنه أول قاضى فى الاسلام ، ونقل السيوطى عن ابن الربيع الجيزى أنه مهد فتح مصر ولاهل مصر عنه حديث واحد ، وكانت اقامته بفلسطين بعد مقتل عثمان . وقد استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه ، حتى كان آخر عهده ، فأذن له أن يذكر يومين فى الجمعة ، ثم استأذن تميم عثمان فأذن له أن يذكر يومين فى الجمعة فكان تميم يفعل ذلك . المقريزى : الخطط ،جـ ٣ ، ص ١٢٠ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٧٧ .

(٢) أما وهب بن منبه فهو يمنى من أصل فارسى ، وكان يهوديا فأسلم وينسبون إليه معظم ماورد من الاسرائيليات فى المصادر العربية ، وكان وهب يجيد العديد من اللغات القديمة كاليونانية والسريانية والحميرية ، وكان يستطيع قراءة الكتابات القديمة التى يتعذر على العلماء قراءتها ، وقد نقل المسعودى رواية عن أحد اليمنية وهو عثمان بن مرة الخولانى ، أنه لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق وجد فى حائط المسجد نوعا من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به إلى وهب بن منية فقال : هذا مكتوب ايام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه « ولوهب أخبار كثيرة وقصص تتعلق بأخبار الأولين ويبدأ العالم وقصص الانبياء . وقد توفى حوالى سنة ١١٠ هـ بصنعاء باليمن . المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٦٦ ، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٤٦ .

٢١٤ ح

وكعب الأحبار[١] كانوا من اليمن .

وقد أمدنا ابن عبد الحكم والكندى وابنه فى مؤلفاتهم التاريخية بأسماء الكثير من هؤلاء الرواة الذين تناقلت رواياتهم الشفوية خلال العصر الاموى وأوائل العصر العباسى عن طريق الحفظ أكثر من التدوين[٢] .

ومن المعروف لدى الدارسين لمصادر التاريخ الاسلامى أن كل حادثة تاريخية كانت تسجل مسبوقة برواتها الذين كان بعضهم أيضاً من رواة الحديث ، لذلك كان يطلق على المهتمين بجمع الاخبار وحفظ الوقائع « أصحاب الاخبار - أو الرواة » وذلك لقصدهم جمع الاخبار . والمحافظة على كيفية اتصالها من حيث رواتها[٣] .

وكان من هؤلاء الذين وفدوا على معاوية : عبيد بن شريه الجرهمى اليمنى ، فقد كان قصاصا اخباريا ، يذكر المسعودى[٤] أنه وفد

---

(١) ويعد كعب الأحبار اليمنى من أوائل المهتمين بأخبار اليهود ، وقد أسلم فى عهد عمر وانتقل بعد اسلامه إلى المدينة ثم إلى الشام ، وقد اخذ عنه ابن عباس وابو هريرة رضى الله عنهما ، ولم يؤثر عنه أنه ألف كما أثر عن وهب بن منبه ، وكانت رواياته شفوية ، ومانقل عنه يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية وأساطيرها .
أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٢) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ، ص ٢١ .

(٣) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

على معاوية بن أبى سفيان وأنه برز فى بلاطه ، وكان يسمع معاوية منه كل ليلة شيئا من أخبار العرب وأيامها وأخبار العجم وملوكها وسياستها لرعيتها وأنه ألف له « كتاب الملوك وأخبار الماضين »[1] .

لكنه لم يرحل إلى مصر ، كما فعل عروة بن الزبير بن العوام الذى كان من مؤرخى المسيرة والمغازى فى مدرسة المدينة ، وكان ثقة فيما يرويه من الحديث ، وقد مكنه ذلك من رواية الكثير من الأخبار والأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، كما روى عن أبيه الزبير وعن أمه أسماء وعبد الله بن عمرو ابن عباس وغيرهم من الصحابة رضوان الله عنهم .

وقد رحل عروة بن الزبير إلى مصر وأقام بها مايقرب من سبع سنوات كما تزوج فيها[2] ، ومما لاشك فيه أن اقامته فى مصر كان لها أثر على الرواة والمحدثين من أهل اليمن ومشاركتهم فى جميع الأخبار والروايات التاريخية والعمل على تدوين بعض الصحائف والتى لم تعثر على شىء منها

(١) مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٤١ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ١٣٢ نشر دار المعرفة ، بيروت .

(٢) ولعل عروة كان ينزل مع أخيه عبد الملك بن الزبير فى تلك الدار التى اختطها أبوهما الزبير بن العوام فى أعقاب الفتح ، وقد كان عبد الملك بن مروان اصطفاها منهم ، لكن كما يذكر ابن عبد الحكم حين تولى هشام الخلافة ردها لآل الزبير بمصر ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٩ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٢٣ .

مع شديد الاسف كصحائف مدونة[1] .

ونحن إذا تتبعنا رواة الأخبار فى مصر إذ ذاك نجد منهم الكثير فقد روى ابن عبد الحكم عنهم ، ومن هؤلاء تتبع بن عامر الحميرى ، ويكنى بأبى عبيدة ، وكان عالما بالكتب القديمة ، وقد روى أخبار مصر القديمة ودخول أهل يوسف عليه السلام مصر ، كما نقل عن كعب الاحبار كثيرا من روايته التاريخية . وقيل أنه كان من طبقة التابعين وأنه مات بالاسكندرية سنة ١٠١ هـ[2] .

ومن الذين عاصروا فتح مصر وأقاموا بالفسطاط بعد تخطيطها ، نذكر سفيان بن وهب الخولانى ، وكان من الرواة وجامعى الاخبار التى نقل ابن عبد الحكم والكندى وغيرهما من أوائل المؤرخين فى مصر ، وقد أشار ابن عبد الحكم إلى رواية سفيان عن مسألة فتح مصر بغير عهده أو عنوة ،

---

(١) فمن المعروف أن الرواد من كتاب السير كانت عنايتهم بجمع السيرة ، وتدوينها كما وهو الحال بالنسبة لكل من عرو بن الزبير بن العوام المتوفى سنة ٩٣ هـ ، وابان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) وشرحبيل بن مسعد (١٢٣ هـ) وابن شهاب الزهرى (ت ١٢٤ هـ) فى كتابه المغازى وعبد الله بن أبى بكر بن حزم (ت ١٣٥ هـ) وموسى ابن عقبة (ت ١٤١ هـ) فى كتابه المسمى أيضا بالمغازى ، وفى مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية ، ومنها قصة تم طبعها فى أوروبا سنة ١٩٠٤ . ابن هشام : السيرة النبوية ، المقدمة ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٧ - ٢٩ .

(٢) فتوح مصر والمغرب ، حاشية ص ٢٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ، ص ١٧٨ .

وذلك الحوار الذى دار حول تقسيم الأرض المصرية على الجند بين كل من عمرو بن العاص والزبير بن العوام[1] .

ومن رواة الفتح تشير المصادر إلى يحيى بن ميمون الحضرمى ، فقد كان أحد الرواة الذين نقل عنهم ابن عبد الحكم وغيره بشأن عقد الصلح بين العرب والمقوقس ، وما ورد عن قيمة الجزية وكيفية جبايتها من الاقباط[2] . كما اشار ابن عبد الحكم إلى الراوية سعد بن مسعود التجيبى من قبيلة تجيب اليمنية ، وعما اورده من وصف مدينة الاسكندرية قبل الاسلام ، وعن سؤال اليهود للنبى عليه الصلاة والسلام وماقاله عن ذى القرنين ، وغير ذلك من الأمور والأخبار[3] .

ونذكر من هؤلاء الاخباريين أيضا حنش بن عبد الله السبئى (ت ١٠٠ هـ) وعمار بن سعد التجيبى (ت ١٠٥ هـ) وعلى بن ربيعة اللخمى (ت ١١٤ هـ) والحجاج بن شداد الصنعانى المتوفى سنة ١٢٦ هـ[4] . ومن التابعين الذين روى عنهم الكتب ودون حسين بن شفى بن مطيع الاصبحى المتوفى سنة ١٢٩ هـ ، وكان حيوه بن شريح المحدث يزوره مرة فوجده فى غاية الألم بسبب استيلاء بعضهم على كتب أو صحائف مدونة له ، وكان أبوه شفى قد قرأها على عبد الله بن عمرو

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٢٩ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٥٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٢٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٧ .

(٤) حسن أحمد محمود : الكندى المؤرخ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

ابن العاص ، ومن هذه الكتب كتاب تضمن أقضية الرسول ، وآخر بعنوان قال الرسول[1] ، مما يدل على جمعه إذ ذاك بين رواية الحديث والأخبار ، كما أنه يدل على أن التاريخ أخذ طريق الحديث فى أوائل تأليفه فى صدر الاسلام .

ونخص بالذكر أيضا من رواة الاخبار فى مصر فى عهد الأمويين عبد الكريم بن الحارث الحضرمى ، فقد ذكر السيوطى أنه كان أستاذ الليث ، كما روى عنه الأحاديث والأخبار[2] ومن قبيلة الصدف أشار ابن عبد الحكم إلى الراوية معاوية بن يحيى الصدفى ، وقد خصى فى روايته أخبار المتآمرين من الخوارج على قتل كل من معاوية وعمرو بن العاص ، وعلى بن أبى طالب وأن اختلفت تلك الرواية فى ذكر على بن أبى طالب ، حيث ذكر بدلا منه حبيب بن مسلمة وذلك على خلاف ماذكره المؤرخون فى أمر الامام على بالكوفة على يد عبد الله بن ملجم الخارجى عام ٤٠ هـ[3] .

ومن قبيلة همدان يشير ابن عبد الحكم وغيره من المؤرخين الاوائل إلى الرواية الحسن بن ثوبان الهمدانى الذى نقل عن هشام بن أبى رؤية اللخمى ، فقد اشار ابن عبد الحكم إلى روايته المتصلة بمعاملة عمرو بن العاص للأقباط المصريين ، وما يتصل بأمور الجزية والخوارج[4] ، والتى

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ ، حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

(٣) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٤٢٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

كانت من المسائل الهامة التى أدت إلى تدوين أخبار الفتوح فى القرن الثانى الهجرى ، وذلك لرغبة أولى الأمر فى معرفة مافتح من البلدان صلحاً وما فتح منها عنوة ، من أجل تقدير حجم الخراج والمسائل المالية الأخرى المقررة على أهل البلدان المفتوحة .

وقد ظهر من قبيلة المعافر أكثر من راو لجمع الاخبار وحفظ الوقائع أو المغازى وأيضاً فى جمع الحديث ، وممن اشار إليه ابن عبد الحكم فى كتابه « فتوح مصر والمغرب » يحيى بن ذاخر المعافرى ، وقد حفظ لنا نص الخطبة التى ألقاها عمرو بن العاص فى الجند عندما كانوا يتأهبون لمرتبعهم فى الفسطاط . كما روى عن يحيى أيضا الاسود بن مالك الحميرى ، ونقل عنه المحدث عبد الله بن لهيعة ورواية الاخبار الشهير(١) .

ولاشك أن هؤلاء الرواة لانكاد نعرف شيئا عن حياتهم وذلك على خلاف من ترجم لهم السيوطى فى مصنفه الشهير « حسن المحاضرة » فقد ذكر طرفا من مراحل حياتهم الاولى وعمن أخذوا العلم أو الجهات التى أقاموا بها وغير ذلك مما يهم المحقق أو المؤرخ معرفته فى المقام الأول ، وذلك للنظر والتدقيق فى صحة تلك الروايات الشفوية وقيمتها التاريخية على وجه الخصوص .

وقد أمدنا السيوطى بمعلومات من هذا القبيل عن أحد هؤلاء الرواة من قبيلة المعافر اليمنية ، وهو حيى بن ناضر المعافرى جاء فى ترجمته أنه كان له علم بالملاحم والفتن وأنه روى عن عقبة بن عامر الجهنى

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

وابن عمرو وهما من صحابة رسول الله (صلعم) وممن شهدوا فتح مصر ، كما أخذ عنه عمر بن الحارث والليث بن سعد وغيرهما من المحدثين والفقهاء ، وكانت وفاته بمصر سنة ١٢٨ هـ[١] .

ومن هؤلاء الرواة والاخباريين من قبائل اليمن ومواليها نذكر يزيد بن أبى حبيب مولى قبيلة الأزد فى الفسطاط ، وتلميذه عبد الله بن لهيعة الحضرمى ، وقد كان يزيد عالما بالفتن والحروب ، وخاصة مايتعلق بفتح مصر وشئونها وولاتها[٢] ، وهو أحد الرواة الذين نقل عنهم الكندى فى كتابه « ولاة مصر وقضاتها » وقد ذكر السيوطى[٣] أن أهل مصر كانوا يحدثون قبل ذلك فى الترغيب والملاحم والفتن . وكانت وفاته فى سنة ١٢٨ هـ .

---

(١) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٢) ومن الروايات الشفوية التى نقلها عنه تلميده ابن لهيعة ان عمر بن العاص قدم مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة ثلثهم غافق ثم مد بالزبير ابن العوام فى اثنى عشر الفا « الولاه » ص ٨ . كما نقل عنه الكندى من روايته التى نقلها عنه ابن لهيعة أن العقد الذى تم بين مصر والاساود (يعنى أهل النوبة) لم يكن عهدا وإنما كان عقد أمان أو بما يعرف بالمعاهدة التجارية فى العصر الحديث وقد جاء فى روايته أنه : « نعطيهم شيئا من قمح وعدس ويعطونا رقيقا » قال ابن لهيعة : لا بأس بما يشترى من رقيقهم منهم ومن غيرهم . الولاه ، ص ١٢ – ١٣ .

(٣) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

أما عبد الله بن لهيعة ، فقد أشرنا إليه من قبل فى مجال الفقه والفقهاء كما هو الحال بالنسبة لشيخه ابن أبى حبيب ، لكنه شاع ذكره ايضا فى حفظ الاخبار عن غيره من التابعين الذين قابلهم وأخذ عنهم ، حيث قام بتدوينها انذاك[1] . وقد عاصر ابن لهيعة الفقيه والمحدث والراوية للأخبار بنى أمية فى أواخر أيامهم وقيام الدولة العباسية أيضا حيث بدأ عصر التدوين وتصنيف المؤلفات فى الاخبار والمغازى على نطاق واسع لاسيما بعد انبعاث روح العصبية للعرب ، وظهور نعرة الشعوبية وتفشيها فى المشرق الاسلامى ، الأمر الذى دفع العرب والموالى على حد سواء للبحث فى أمجاد تاريخهم القديم[2] والعمل على تدوين أنسابهم وأيامهم ، وكذلك التوسع فى تدوين المغازى وأخبار الفتوح الاسلامية والتى كانت قائمة على الرواية الشفوية من قبل فى مصر وغيرها من البلدان المفتوحة فى العصر الأموى .

(١) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٢٠ ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٩١ .

(٢) عطيه القوصى : الحضارة الاسلامية ، ص ١٨٦ .

مصادر البحث

أولاً : المصادر العربية :

١ – البلاذرى ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م) .

★ فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، طبعة بيروت ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ .

٢ – ابن حزم ، أبو محمد على بن سعيد بن حزم الاندلسى (ت ٤٥٦ هـ)

★ جمهرة أنساب العرب ، من سلسلة ذخائر العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة دار المعارف ، الثالثة ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م .

٣ – ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ – ١٤٠٦ م)

★ المقدمة ، مطبعة الحاج عبد السلام محمد بن شقرون ، القاهرة

٤ – ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد العلائى (ت ٨٠٤ هـ/ ١٤٠٧ م)

★ الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، الجزءان الرابع والخامس ، طبعة بولاق ١٣٠٩ هـ .

٥ – السيوطى ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م) .

★ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، مجلدان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الاولى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م .

٦ - الطبرى ، محمد بن جرير ، (ت ٣١٠ هـ) .

★ تاريخ الطبرى ، الطبعة الرابعة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف . القاهرة .

٧ - ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧١ م) .

★ فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، الناشر لجنة البيان العربى .

٨ - الغزالى ، الامام أبو حامد ، (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١ م) .

★ احياء علوم الدين ، الاجزاء الثلاثة الاولى ، الطبعة الثانية ، دار الغد العربى ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

٩ - القلقندى ، الشيخ أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) .

★ صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، الجزء الثالث ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٢٢ هـ/ ١٩١٤ م .

١٠- الكندى ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م ٢ .

★ كتاب الولاة وكتاب القضاه ، طبعة بيروت ١٩٠٨ - ١٩١٢ م .

١١- ابن الكندى ، عمر بن محمد بن يوسف (توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) .

★ فضائل مصر تحقيق الدكتور ابراهيم العدوى ، على محمد عمر ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

١٢– المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٦ م) .

★ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الاجزاء الثلاثة الاولى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م .

١٣– المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م)

★ المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والاثار ، ٣ أجزاء ، طبعة دار التحرير عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ .

★ البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ، تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

١٤– ابن المقفع ، ساويرس أسقف الاشمونين (توفى أواخر القرن الرابع الهجرى) .

★ سير الآباء البطاركة ، مطبوعات جمعية الآثار القبطية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

١٥– ابن كثير ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م)

★ تفسير القرآن العظيم ، الاجزاء الأربعة ، مكتبة الدعوة الاسلامية ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م .

١٦- ابن النديم ، محمد بن اسحق (ت ٣٨٣ هـ/ ٩٩٢ م)

★ الفهرست ، طبعة دار المعرفة ، للطباعة والنشر ، بيروت .

١٧- ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى (ت ٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م) .

★ السيرة النبوية ، أربعة أجزاء فى مجلدين ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

١٨- ياقوت الحموى ، الامام شهاب الدين أبى عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م)

★ معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، الناشر : دار احياء التراث العربى بيروت ، ١٩٧٩ م

ثانياً : المراجع العربيــة :

١٩ - أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، الناشر مكتبة وهبة القاهرة ، ١٩٦٤ م .

٢٠ - أحمد أمين : فجر الاسلام ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٢١- السيد عبد العزيز سالم : ★ تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ م .

★ دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، الاسكندرية ، ١٩ م .

★ التاريخ والمؤرخون العـــرب ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ م .

٢٢ – الفريد «ج» بتلر : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٣ م .

٢٣ – امين الخولى وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر اليونانى والرومانى والعصر الاسلامى ، المجلد الثانى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة .

٢٤ – ف . بارتولـد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزه طاهر ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ م .

٢٥ – حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام العباسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الجزء الاول ، الناشر : مكتبة النهضة العربية ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٥ م .

٢٦ – حسن أحمد محمود : الكندى المؤرخ ، مطبوعات الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م .

٢٧ – ذيتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم ، ترجمة فؤاد حسنين على ، زكى محمد حسن ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٢٨ – سعـاد ماهـر : البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، الناشر : الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٢٩ – سعدزغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

٣٠ – سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ، الناشر : دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

٣١ – سيرتوماس وأرنولد : الدعوة إلى الاسلام ، بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية ، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ، واسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٣٢ – شوقـى ضيـف : تاريخ الادب العربى – العصر الاسلامى ، دار المعارف ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ١٩٨١ م .

٣٣ – طـه حسيـن : الفتنة الكبرى ، جزءان ، دار المعارف ، الطبعة التاسعة والطبعة العاشرة ، ١٩٧٨ م ، ١٩٨٤ م .

٣٤ – عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربى وبعده ، الناشر : مطبعة الشبكشى بالأزهر ، ١٩٦٤ م .

٣٥ – عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جزءان ، الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

★ تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ م .

٣٦ – عبدالله خورشيد البرى : ★ القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، الناشر : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

★ القرآن وعلومه فى مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٣٧ – عطيه القوصى : الحارة الاسلامية ، دار الثقافة العربية ، ١٩٨٥ .

٣٨ – محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ م .

٣٩ – محمد جمال الدين سرور : ★ قيام الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .
★ الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٨٨ / ٧٥٤٣

ثالثاً - المراجع الأجنبية

40 — Aly M ohamed Fahmy:

— slim Sea — Power in the Eastern Mediternean From the Sev h to the Tenth Gentury A.D. Second Edition, Cairo, 1980.

14 — Bell, I.I,: Translations of the Greek Aphrodito Papyri, (Der Islam) Vol, I 6.

42 — Grohmann, A.; ph. D;

ArabicPapyriin the Egyption Library Vol.; I,2, Cairo, 1934, 1936.

43 — Lane — Poole, Stanley,:

A History of Egypt in the Middle Ages, Fourth Edition, London, 1925.

44 — M. Hassan Hawary & H. Rached;

Stéles Funeraire, tome I, Le Caire, 1932.

45 — Wiet. G., Repertoire Chronologuique D. Epigraphraphie Arabe, tome I,2, Le Caire, 1931.

46 — The Encyclopeadia of Islam.

الروضة للتجهيزات الفنية

١٨ شارع المحكمة - محرم بك ت : ٤٩٣٦٢٠٦